المكتبة الثقافية
(490)

القصة القصيرة والحكاية
في الأدب الفارسي
دراسة ونماذج

د. عبد الوهاب محمود علوب

هيئة المصرية العامة للكتاب
1994
تقديم

تعد القصة القصيرة من أخصب ميادين الأدب الفارسي المعاصر، ولما أنها كنوع أدبي لم تلق ما تستحق من دراسة من جانب الباحثين والمتخصصين حتى الآن، وتحظى القصة القصيرة في العقود الأخيرة بشعبية كبيرة سواء لدى كتاب القصة أو قراءها، وربما أمكن القول أن شعبية القصة القصيرة في إيران قد قاربت الشعبية التي حظى بها الشعر قرون طويلة رغم أنها لم يمض على تطورها إلى نوع أدبي مستقل في الأدب الفارسي بضع عقود من السنين.

والرجاء أن يقدم هذا البحث اسهامًا متواضعًا في دراسة هذا النوع الأدبي المتميز في الأدب الفارسي، يقدم البحث دراسة عن ماضي القصص القصيرة والتمثيل في شكل « الحكاية » الكلاسيكية المعروفة في الأدب الفارسي.
باعتباره جزءاً من آداب الشرق الإسلامي، كما يقدم الكتاب خلفية ودراسة عن ظهور فن المقامات في الأدب الفارسي، وكيف تطورت منه الحكاية الكلاسيكية لتصل في القرن العشرين إلى مزيج جديد من القصص يجمع بين عناصر "المقامة" و"الحكاية" وقواعد "القصة القصيرة" الأوربية مما نتج عنه شكل من القصص القصير ذو طابع إيراني متميز. كما يتعرض البحث لتاريخ ظهور القصة القصيرة بصورةها الأوربية الحديثة في العقد الثالث من القرن الحالي.

هذا ويضم البحث في هوايته وفي نهاية نبذة عن حياة كتاب القصص القصيرة ومن ورد ذكرهم في البحث وقائمة بأعمالهم في مجال القصة القصيرة.

ويجدر بي أن أنوه إلى مصطلح "الأدب الشرقي" أو "أدب الشرق الإسلامي" اللذين استخدمهما في هذا البحث واختصى بكل منهما الأدب في البيئة الشرقية الإسلامية أي الآداب العربية والفارسية والتركية والأوردية وغيرها من آداب العالم الإسلامي. ورجائي أن يكون ما بذلت فيه هذا البحث من جهد عونا لغيري من الباحثين، وعلى الأخص السبيل.

د. عبد الوهاب علوب
آداب القاهرة
1989
القصة القصيرة والحكاية

لم تكن القصة القصيرة تمثل فنا جديدة على الأدب الشرقي حين وردت في صورتها الأوربية مع مطلع القرن العشرين، وما القصة القصيرة الحديثة إلا شكلا متطورا للحكاية الشرقية التي نجدها في كثرة من الأعمال الأدبية في الآداب الشرقية منذ القدم، ولكن النقطة التي يجب أن نركز على مضمونها هي أن الحكاية بصورها الشرقية العديدة - الشعرية منها والنشر - لم تتطور باعتبارها شكلا أدبيا مستقلا، وإنما اتخذت أسماطا مختلفة ابرزها في المقدمة وما كتاب ألف ليلة وليلة الا مجموعة من الحكائيات والقصص القصيرة في مرحلة من تطورها.

وفي مناقشتنا للأنواع القصصية الموجودة في الأدب الشرقي الكلاسيكي علينا أن نأخذ في الاعتبار أنه ليس ثمة أطر محددة بصورة صارمة تصف كل نوع قصصي على حدة.
بل إن الأنواع تتدخّل بصورة يصعب معها وضع حد فاصل بين نوع وآخر منها، وبنفس القدر من الصعوبة نجد مسألة تحدد نشأة كل نوع قصصي من حيث المكان أو الزمان، فتحديد المكان الذي نشأت فيه الحكاية مثلاً أو الزمان الذي شهد أول قصة موجزة يعد أمراً بالغ الصعوبة، وتعود صعوبة تحديد نشأة الأنواع القصصية سواء جغرافياً أو تاريخياً إلى معظمه إلى صعوبة تحديد إطار كل نوع وأيها ينتمي إلى هذا النوع وأيها لا ينتمي إلى ذلك، فإذا عدنا إلى آداب الشرق القديمة وكتبه المقدسة نجد أنهما وفيرة على القصص النثرية الموجزة، وفي الأدب المصري القديم نجد أقدم نماذج القصص القصيرة من قبيل قصة ٣ سنواتِي أي قصة البحار وسفينتيه المحتزمة والتي كتبها المصريون في الألف الثانية قبل الميلاد، وتعد هذه القصص المصورة القديمة إبداعاً أديباً صرفاً له قيمة جوهرية هي التسلية، وإذا تقدم بنا الزمن قليلاً نجد التوراة وقد حفلت بنماذج من القصص النثرية القصيرة، كقصص يوسف (سفيرو التكوين) وشمشون (سفرد القضاة) وغيرهما، ولو أن هذه القصص لم تعرض كابداع أدبي خيالي ولا كاسهام في فن القصة، بل يفترض أنها صحيحة تاريخياً وله غرض تعليمي صريح يعرف حكمة الله على البشر (١)، وكذلك في القرآن نجد وفرة من القصص التي يفترض أيضا أنها صحيحة تاريخياً، ولها نفس الغرض التعليمي كقصص نوح والطوفان، ويوسف وأمه آية العزيز، وذى النون وغيرها.
وهذه القصص وإن كانت لم تعرض كابداع أدبي إلا أنها تضم مقومات قصصية أساسية تجعل من كل منها كلاً متكاملاً، كما أنها تختلف عن القصص الأسطورية الذي يتناول موضوعات تنتمي إلى ما وراء الطبيعة كقصص الآلهة والشياطين والخيالات وما فوق الواقع.

وهناك بالطبع اجتهادات كثيرة بصد وضعت أطر محددة تقريبا لكل نوع قصصي، إلا أن هذه الاجتهادات تعتمد في معظمها على ما جرى العرف عليه – يقول إيان ريد:

(«باستثناء ما ذكر (القصص الأسطورية عن الآلهة والشياطين) يمكن القول أن اصطلاح "قصة قصيرة" في الاستعمال الجارى ينطبق عامة تقريبا على أي نوع من السرد القصصى النثرى الخيالى أقصر من الرواية(2)»).

ولو شئنا الدقة لتساءلنا: وماهي "الرواية"؟، ولكن بالطبع يقصد ريد ماجري العرف على تسميته "رواية"، نعود إلى القصة القصيرة فنقول أن فونتين الشاعر الفرنسي (1621-1695) في "حكاياته" الرمزية على لسان (Nouvelle) الحيوان لا يفرق بين مصطلحي "القصة" و"الحكاية" (Conte) فتأطلق على مجموعة من (Contes et nouvelles)، وحين حاول أحد نقاد الأدب – البرت جورج – التقريب بين المصطلحين قدم تعريفا "للحكاية"
يُطابق هذا على الأدب الفارسي كذلك، فقد عرف الأدب الفارسي منذ القدم ألوانًا عديدة من فن القصص باعتباره جزءًا من آداب الشرق، وهناك العديد من الألفاظ العربية والفارسية للأنواع القصصية، مثل "قصه، حكايات، نقل، سركنشت، داستان، وغيرهما". إلا أنها أيضًا من هذه الألفاظ لم تحدد له معالم أدبية تميزه عن غيره من فنون القصص فكانت جميعها متلاصقة لمعنى واحد عام، ورغم ذلك فقد تشتت المقامات في الأدب العربي وانتقلت منه إلى سائر الأدب الشرقية وغير الشرقية مكونة نوعًا أدبيًا مستقلًا له سماته المحددة والمتميزة، وعلى الرغم من ذهب البعض إلى رأي منفاده أن فن المقامات قد أُولى جل اهتمامه إلى اللغة وفنونها دون التركيز على الجانب القصصي إلا أننا نرى من جانبنا أن القصص المقامية لا تقل تحديدا وقوة بناء عن أي فن قصصي محدد العالم. فالقامعة لها حبيبة ثابتة وتفتت حياة الإنسان الأرضي الدنيوي لا الأسطوري في حياته العادية، ويفتت المقامة له سماته المحددة التي تميزه عن غيره من أبطال سائر الأشكال القصصية. فهو صنع له قضية، يتجول العالم الإسلامي بحثًا عن المعيرة كأشخاف لأوجه الفساد في عصره، وهو شخصية نمطية بمعنى أن معالم شخصيته ثابتة لا تتغير في كل مقالة، وتتسم بنية

8
المقامة كذلك بالنمطية فتتبع في بنائها خطوات متتابعة في كل وحدة مقامية كما يلي:

١ – الراوي يحل بمدينة

٢ – الراوي يتعرف على البطل الصعلوك المحتال متخفيا ويكشف تخفيفه

٣ – الراوي يغادر المدينة

٤ – البطل المحتال يبدأ مغامراته

٥ – البطل يروي حكايته في تلك المدينة

٦ – البطل يغادر إلى مدينة أخرى، وتتكرر الدائرة من جديد

وإذا كانت اللغة تمثل جانبا رئيسيا في هذا الفن القصصي فإن هذا يرجع إلى سمة عامة من سمات العصر الذي نشأت فيه، حيث كانت اللغة وامتلاك ناصبيتها واستعراض فنونها سطوة ظاهرة فاضحت جزءا لا يتجزأ من المقامات ولا يقل أهمية فيها عن شخصية البطل والبنية النمطية.

المقامة في الأدب الفارسي:

تعد المقامة والحكاية أقرب الأشكال الأدبية إلى القصة القصيرة في الأدب الفارسي ويرجع دخول فن المقامة من الأدب العربي إلى الأدب الفارسي إلى القرن الثاني عشر.
الْمِلَائِدِي وَرِبَّما كَانَ القَاضِي حَمِيد الْدِين بَلْخِي ( تُوفِّي ۱١٤۴ م ) أَوَّل مِن كَتِبِ الْقِامَة بِالفارسِيَّة، وَيَذُكرِّهِ نَظَامٌ عِروضي سَمرقَنْدِي فِي كِتابِهِ جَهَار مُقَالَة ( كَتَبَ فِي حُدُودِ عَامِ ۵۵۱ هـ) فِي مَقالَةٍ "مَهَيَّة دِبِيرَى" ضَمَّن كِتاب كُتَب عَضْرِه المُتَمِيْزِين مِنَ الْعَربِ وَالْعُجْمِ (٤) .

وتَضَمْ مَقَامَات حَمِيدِي مَا يُقَرِّب مِنَ التين وَعَشَرَين مَقَامَة، وَعَلَى خَلافِ المَقَامَاتِ الجِرَبِيَّةِ يِتَتَّدُّ أَبْطَالْ مَقَامَات حَمِيدِي بَعْدُ مَقَامَاتِه، فَخَتَارَ لَكِلِ مَقَامَة بَطِلًا يَنَاسَبْ مَوْضوُعَهَا دُونَ ذُكُرَ اسمه فِيهِ تَأْرِيْةٌ فِي زَيِّ الشِّيُبَاء وَتَأْرِيْةٌ أَخَرَ فِي ثِيَابِ النِّسَاءِ وَأَحِيَا اَنُّجِد شِيْخًا هِرْمَا وَما إلَى ذَلِك، وَبِنَذِ هَمِيدِ الْدِينِ جِهَدًا فَائِقًا فِي سَبِيلٍ أَخْتِيَارِ جُمْلَهُ وَالحَفَاظ عَلَى الْتَكْوِينَ السِّمِّع لِعِبَارَتِه، وَلَهُدَا يَصِفُ بِهَارِ مَقَامَاتِه بَانِهَا "تَقْلِيدٍ فَجُ وَفْظُ مَقَامَاتِ كِلٌّ مِنْ بَديعِ الزَّمانِ الْهَمْدَانِي وَالْخَرِيْرِي (٥) .

تَناول القَاضِي حَمِيدِ الْدِين فِي مَقَامَاتِه مَوْضُوُعَاتٍ مَخْلُوَظة اَتَّبِعُها إِدْبِي، فَتَناولَ فِي بَعْضِهَا مَوْضُوُعَاتِ صُرُفِيَّة وَدِينِيَّة وَفِي بَعْضِهَا كَتِبَ فِي الْرَّوْعَة وَالْخَطَابَة أُوْ في الْهِجَاءِ وَالْهُزَّل، وَتَمِيِّزَ بَعْضِهَا بَالْرَّوْعِ النَّقْطِيَّ وَضَمَّ بَعْضً آخَرَ جَوَانِبِ عَلَمِيَّة وَتَارِيْخِيَّة (٦) .

وبَعْدِ مَقَامَاتِ حَمِيدِي اَصْبِيَتْ كِتَابَة المَقَامَة بِالرَّكْوَة حَتَّى كِتَب سَعِيدِ كَلْسَتَانِ فِي الْقَرْن التَّاسِعِ الهَجِرِيَّ وَهِوَ عِبَارَةٌ ١٠
عن مجموعة حكايات قصيرة راعى فيها الكاتب الخصائص البلاغية لفن المقامات ومزج النثر فيها بالشعر وهو الأسلوب الذي كان يعرف باسم "النثر الفدنى"، يقول بهار:

"إن كُلْسِتَان سعدى هو في الحقيقة مقالات، ويمكن اعتباره الثاني بعد مقالات حميد الدين، وإذا كانت مقالات حميد الدين ماهي إلا تقليد فج وفظ (لمقالات) بديع الزمان والحريرى فإن مقالات سعدى ابتكر خالص وإبداع ومهارة وصِنعة ولا مجال فيما للتقليد" (٧).

وربما كان بعض "مقالات سعدى" أو حكاياته مشاهدات شخصية أو تجارب ذاتية وقعت للكاتب، إلا أن أغلب حكاياته من وحي الخيال وأبطالها يتصفون بصفات واقعية ولا مجال في قصصهم وشخصياتهم للمبالغات والأسطورية، فكانت حكايات سعدى حلقة فاصلة بين المقالة بصورتها العربية التقليدية والحكاية الفارسية الأصيلة التي تناسب البيئة واللغة الفارسيتين وسوار على نهج كُلْسِتَان سعدى كثرة من الكتاب في القرون التالية، فإذا مررت بكتاب بهارسِتَان (القرن التاسع الهجري) الذي تأثر فيه الشاعر والكاتب جامي على حد ما كُلْسِتَان سعدى، ووصلنا إلى القاضى أحمد غفارى كاشاني وكتابه تكارسِتَان (القرن العاشئر الهجري) نجد أنهما حكايات يناسبها الكاتب إلى أحداث تاريخية حقيقية.
وأحياناً نقلًا عن كتب معاروفة، فيورد الكثير من الحكايات القصيرة والنوادر والأمثال تسبقها أسناها التاريخية التي يفترض فيها الصحة مما يخرجها من نطاق بحثنا هذا.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي ظهر كتاب بريشان لمؤلفه ميرزا حبيب الله الشهير بقانى وقد اقتفى فيه قانى أثر كلستان سعدي إلى حد بعيد، وأورد فيه حكايات شبيهة بمقامات سعدي في كلستان ولها شخوصها الخيالية فيماعد شخصية البطل حيث جعل الكاتب من نفسه بطلاً لحكايته ومقاماته وأسنده آذارها في بعض حكاياته لشخصيات من رجال عصره وأمرائه، وتناول في مقاماته هذه موضوعات شتى من عشق وكدية وفكاهة وهجاء وعرفان وتاريخ.

وكتب أيضاً عبد الرزاق دنبلي (ولد عام 1162 هـ / 1797 م) حكايات قصيرة في كتابه حدائق الجنان ضمن الموضوع الأصلي وهو سيرة نادرشاه أفشار وكريمخان زنده وأوائل ملوك آل قاجار، وقد صاغ حكاياته في قالب يشبه قالب المقامات ولا أن شخصياتها تاريخية وليست خيالية تماماً.

وفي أواخر القرن التاسع عشر كتب آديب الملك فراهانى (ولد 1860) مجموعة مقامات عنوانها مقامات أميرى إلا أنها حسب قول إبراهيمي حريرى (290) - مفقودة.

12
تطور الحكاية في أوائل القرن العشرين:

وفي أوائل القرن العشرين برزت كتابات على أكبر
دهخدا كتطور جديد على أسس قديمة راسخة فقد جمع
دهخدا بين أسهل سعدى الجزل ولغته القوية وبين صورة
ادبية جديدة تبنتها الصحافة التي كانت حديثة العهد حينذا
في إيران، كتب دهخدا مجموعة مقالات تحت عنوان:
جرنده برنه كعمود أسبوعي ثابت في صحيفة صور إسرافيل
بين عامي 1907-1908 بامضاء "دخر"، وكانت هذه
المقالات بمثابة حكایات قصيرة ساخر فيها الكاتب من الظروف
السياسية والاجتماعية لعصره بلغة قريبة من اللهجة العامية
التي يحدثها الإيرانيون في أسواق تهران وأزقتها، ويمكن
القول أن حكايات دهخدا تمثل حلقة فاصلة بين الحكاية
التقليدية والقصة القصيرة الحديثة، ونستجيب دهخدا في
حكایاته بين الواقع المعايش في إيران ذلك الوقت وبين الخيال
القصصي لينتج عن ذلك صورة ساخرة بلغة أدبية متميزة.

نخلص مما سبق إلى أن القصة الموجزة أو الحكاية
القصيرة لم تكن نوعا أدبيا حديثا في الأدب الفارسي كجزء
من آداب الشرق الإسلامي، بل يمكن القول أنها مثلت
واحدا من أكثر الأشكال الأدبية شيوعا في الأدب الشرقى،
الفرق هو أن الحكاية قد توزعت في صور شتى شعرية
وثرية وقصة وقصصية وخبيرة وما إلى ذلك من اصطلاحات
دون حدود حاسمة تفصل بينها وتميزها عن بعضها البعض.
والحكاية كذلك من أكثر الأشكال القصصية شيوعاً في
التراث الشعبي الشرقي، و «الحدثة» الشعبية خير مثال
على ذلك، وإذا كانت اصطلاحات مثل «يريؤى أن» و «يحكي أن» وغيرها قد ميزت «الحكاية» في الأدب
الرسمي الشرقي فقد دلت تعبيرات شعبية مثل «كان
ياما كان» و «يقولون» في العربية ومثيلاتها في
الفارسية مثل «يكي بود ويكى نبود» و «ميكود» على بداية قصة شعبية تتداولها الأجيال، ويري أحد
الباحثين الإيرانيين الحديثين أن الخيال الأدبي الإيراني
يبدى على الدوام اهتماماً زائداً وارتياضاً إبداعياً شديداً
بالأشكال الأبية «المضغوطة» أو القصيرة، وامثاله
على ذلك القصيدة الغزلية في الأدب الكلاسيكي وما تحوية
من صور خيالية غنية.

وهكذا كانت الساحة معدة لاستقبال الصورة الحديثة
للحكاية التقليدية وهي «القصة القصيرة»، وبعبارة
أخرى جاء الاتصال بالأدب الأوروبي باطار محدد لخصوص
قائم بالفعل في الأدب الشرقي، ورغم هذا التطور الذي
طرأ على «الحكاية» التقليدية فلزننا نجسند كتاب الأدب
الشرقي من إيرانيين أو عرب أو ترك - يمكنهم قصصهم
القصيرة في دولة «الحكاية» التقليدية بل ويطلق كتاب
قصصي مثل جمالزاده على سبيل المثال - اسم «كان
يا ما كان» عنواناً على أولى مجموعاته وأول مجموعة
في الأدب الفارسي - من القصص القصيرة، ولا تكاد القصة
القصيرة الحديثة في الأدب الشرقي تخلو من عناصر القامة والحكاية التقليديتين سواء من حيث البناء أو الحبكة أو الشخصيات كما سنرى في تحليلنا لأول «قصة قصيرة» فارسية وهي فارسی شکرآست لحمد على جمالزاده.

* * *

١٥
القصة القصيرة الحديثة في الأدب الفارسي

جمالزاده رائد القصة القصيرة:

ظهرت «القصة القصيرة» بصورةها الأوربية الحديثة، وباعتبارها نوعًا أنيبيًا مستقلًا في الأدب الفارسي لأول مرة في عام 1921، وكانت أول «قصة قصيرة» بالفارسية هي قصة فارسي شكاراست للكاتب محمد علي جمالزاده (ولد 1892) ونشرت على صفحات جريدة كاوه(1) التي كانت تصدر في برلين، وعندما لاقت القصة نجاحًا بين الجالية الإيرانية في برلين اضيف إليها خمس حكایات أوقصص قصة أخرى ونشرهم في مجموعة تصميمية بعنوان: يكي بوديكي نبوود(2) (كان ياما كان 1922) صدرت من مطبعة كاويانی برلين، وهذه الحكایات الخمس الأخرى هي:
1 - رجل سياسي (السياسي)
2 - دوستي خاله خرسه (حب الدب لصاحبه)
3 - درد دل ملا قربانعلي (أحزان الشيخ قربا نعل)
4 - بيله ديك بيله جفندر (كل في واديه)
5 - ويلان الدولة

وقد جمالزاده لهذه المجموعة القصصية بمقدمة أدبية هامة عن فن الكتابة القصصية ومكانته الهامة بين فنون الأدب، وباختصار وسيلة لتعليم العامة وابتكار لغة أدبية محلية للأدب، ولا تقتصر أهمية هذه المقدمة الأدبية على تاريخ الأدب الفارسي الحديث بل تتجاوزه إلى تحليل الصلات الأدبية بين الشرق والغرب ورد فعل آداب الشرق تجاه تقدمات القرن العشرين ومستجداته.

ورغم أهمية هذه المقدمة الأدبية لجمالزاده إلا أنه لم يكن أول من يكتب مثلها، فقد سابقه بحوالي نصف قرن ميرزا فتحعلی آخوندزاده بمقدمة الأدبية لسرحاته، وانتقد جمالزاده في مقدمةه أيضا: "التقاليد" في الأدب وركز على مكانة النوع الروائي كسبيل لحفظ التراث اللغوي والمفاهيم والعبيرات الدارجة، كما الحق جمالزاده بمجتمعه يكي بودويكي نبود معجما مؤجرا مرتبتا ترتيبا أبجديا لمشاعرات من الألفاظ والعبيرات العامية التي استخدمها في المجموعة، وذكر في مقدمة صراحة تأثره

17
(م 2 - القصة القصيرة)
في إيراد هذا المعجم بكتاب فرنسيين مثل ف. دو فيبون، وج. ريشبيان، وتشكل هذا المعجم نواة لمعجم أكبر لجمالزاده تحت عنوان فرهنك لغات عاميته قام بنشره محمد جعفر محبوب في تهران عام 1964.

استخدم جمالزاده في هذه المجموعة من الحكایات لغة أدبية تميز بها الفصيح بالعامة مع التركيز على إيراد تعبيرات وإلفاظ دابة من لغة السوق والبارة بصورة متعمدة، فكانت اللغة في حسكيته جزءًا لا يتجزأ من عمله وكانه يكتب قصصه بهدف تجميع أكبر قدر ممكن من التعبيرات المسمية الدابة، وفي ذلك أيضًا لم يكن جمالزاده ندأ في جديد. فكانت هذه اللغة الأدبية الأقرب الى لغة الحوار اليومي في الحياة الإيرانية شائعًا بالفعل في الأدب الفارسي لعدة عقود قبل ظهور مجموعة يكي بودوكي تيوود، فكانت هذه اللغة في مقدمة القضايا التي شغلت أديباء النصف الثاني من القرن التاسع عشر في حركتهم نحو تجديد الأدب الفارسي، وفي هذا المضمار لايمكن إنكار الدور الذي لعبه الاتصال بالغرب والأدب الأوروبي في المضي قدما بهذه الحركة التجديدية، فكانت من أولى نتائجه بداية تحرير لغة المراسلات الحكومية من التعميدات اللغوية القديمة على يد رئيسي الوزراء قائم مقام فراشاني وميرزا ندي خان أمير كبير بأواست القرن التاسع عشر، ومن خلال حركة الترجمة من اللغات الأوروبية بلغة اللغة الأدبية مكانة غير مسبوقة على يد مترجمين كفاءة مثل
ميرزا حبيب اصفهاني في ترجمته الفارسية لرواية هاجي باحاول حسابه من تأليف الكاتب الترجمي هایس خوربيه (1824) و في أدب الرحلات حق هاجي زين العابدين مراغه أغلو أسلوب أديبيا ميسطا تميزا في كتابه سياحتهما إيراهم بك (1888) و طو ميرزا عبد الرحمين طاليف لغة أدبية متميزه كانت نواة لكتابة الأدب العلمي و أدب الأطفال في الفارسية من خلال كتابه كتابة أحمد إسلامي طالبي (1892) و حين عرفت إيران عن المسرب الطبساعة والصحافة المطورة برز رواد في تجديد اللغة الأدبية التي تتناسب والكلمة الصحافية السريعة ومنهم علي أكبر دهخدا وأغلب الطلمن جمالزاده و عددا من معاصريه قد تأثروا إلى درجة كبيرة على أكبر دهخدا في لغته المتميزة وأسلوبه الساخر، وكان دهخدا (17) بمقالاته تحت عنوان جرائد برئد جذبها في عصابات صحيفي صوراسريتين بين عامي 1907 و 1908 (14) في طليعة رواد الأسلوب الأدبي الجديد.

اذن تكمن زيادة محمد علي جمالزاده في مجال كتابة
"القصة القصيرة" الأوروبية لا في مجال اللغة الأدبية،
ونركز من جانبيا على هذه النقطة الأخيرة ونرى أن لغة
جمالزاده في مجموعته يكي وادريكي ذو تبدو مفعمة وبها
تعمد لتنوير الألفاظ العامة والتغييرات الدارجة، في حين
أن اللغة الأدبية في أعمال مثل هاجي باحاول اصفهاني ومقالات
جربك بندر تتسم بالطبيعية والاستخدام غير المفتعل للألفاظ
العامة، إلا أن جمالزاده قد ذاع صيته في هذا المضمور لتركيزه عليه في مقدمته الأدبية وفي كثرة من كتباته مما جعله يبدع كما لو كان أول من استخدم اللغة الأدبية الأقرب إلى لغة الحوار، ورغم هذا ينبغي أن نذكر دوره في تطوير هذه اللغة ضمن غيره من الكتاب وفي تعريف الأدب الفارسي بالقصة القصيرة كنوع أدبي مستقل.

بتصره لحكاية فارسية شكرات ست قدم جمالزاده أول مثال للقصة القصيرة "الحديثة في الأدب الفارسي". وانتقد فيها مزج الفارسية بوفرة من الألفاظ العربية على لسان "رجل الدين" ومزجها بالألفاظ الفرنسية على لسان "المتفرج"، ودعا إلى العودة إلى الفارسية "الخالصة" المستخدمة في حياة العامة من أهل إيران، وينذكر البعض أن مجموعة يكي بودوكي نيد أثرت رد فعل معاصرة في الأوساط الدينية في إيران حين ظهرت لأول مرة بسبب الصورة المزيفة لرجل الدين الشعبي والذي رسمها جمالزاده في إحدى قصص هذه المجموعة وهي سرد دل ملاقيات علية، كما تضمنت المجموعة أيضا نقدا للسياسة الإيرانية ونماذج أخرى من المجتمع الإيراني، بل وظين بعض نقادات الأدب أن الكتاب أثار مظاهرات عدائية وأنه قد أحرق في بعض مناطق
ايران تعبيرا عن ادانتة الكاتب ونقده لمثلث اهل وطنه(12) ، الا أن هذا القول مبالي فيه الى درجة بعيدة ، إذ لم يكن نموذج جمالزاده لرجل الدين الشهير في مجموعة القصصية أول نموذج ساخر لرجال الدين الايرانيين ولا أكثرها ازراء بهم ، فصورة رجل الدين الايراني في رواية حاجي بابا اسسها تذهب الى درجة ابتعد كثيرا من صورته لدى جمالزاده في السخرية والتحقيق ، ورغم ذلك لم تثير ما يدعى البعض أن كتاب جمالزاده قد اثاره رغم أن مؤلف حاجي بابا انجليزي وظهرت ترجمته الفارسية قبل ظهور يكي بودويكي ثورى بما يقرب من نصف قرن.

**

21
القصة القصيرة بعد عام 1921:

الفترة من 1921 إلى 1941:

رأينا فيما سلف كيف كانت حكايات مساعدة حلقة الوصل بين القامة العربية التقليدية والحكاية الفارسية الأصلية، وتطورت الحكائية في أوائل القرن العشرين على يد على أكبر هزتنا لتكون هزة الوصل بين الحكاية التقليدية والقصة القصيرة الحديثة بصورتها الأوربية، وتحدثنا أيضا عن زيادة جمالزادة في فن القصة القصيرة ومزجه فيها نفسيا بين أسس القصة القصيرة الأوربية وعناصر المقدمة والحكاية التقليدية مما أضافات للقصص لونا متميزا، وفيما يلي نناقش تطور هذا الفن القصصي بعد عام 1941 وهو تاريخ نشر أول مجموعة منه وهي يكى بود ويكى قبود لمحمد على جمالزادة.

22
رغم النجاح الذي حققه مجموعة يكي برود وكري ديفيز إلا أن ظهور مجموعات من القصص القصيرة الحديثة الأخرى قد استغرق ما يقرب من عقد من السنين، وكان جمالزاده قد لجأ إلى العملية الأدبية تحت شعار.. واحتجاجاً على.. الرقابة على المطبوعات والذي ضرره نظام رضا شاه منذ أن تولى العرش في عام 1925 كأول ملك الأسرة البهلوية، فاحم جمالزاده عن نشر أي من كتاباته حتى عام 1942 حيث أصدر أولى رواياته وهي دار المجانين ثم تولت أعماله، وفي فترة حكم رضا شاه (1925 - 1941)، ركزت الرقابة على المطبوعات عقبة في طريق نشر أي مطبوعات، لا في مجال النص القصيرة وحسب بل في كل المجالات الأدبية والصحية، فدخلت الساحة للكاتب المؤيدين لنظام رضا شاه الشمولي، فازدهرت الرواية التاريخية التي كانت بمثابة وعاء جيد يحوي الأفكار التي يروج لها النظام بصورة مكثفة ومنها فكرة القومية الايرانية واحياء اعمال ايران القديمة قبل الإسلام، وفي مجال الرواية الاجتماعية أيضاً روج الكاتب للأفكار التي نادى بها النظام ويأتيها من سلسلة القرود حرية المرأة والمجاب وخروج المرأة للعمل والمطالعات والحب وما إلى ذلك من الأمور التي سعت البرجوازية الايرانية الجديدة وأقومها جيل الشباب الجديد ممن تلقوا تعليماً حديثاً، ولكن يجدر بنا أن نذكر أن بعض كتاب ايران قد كتبوا الرواية الاجتماعية وغيرها من الأشكال.
الأدبية وتناولوا فيها القضايا التي تهم المجتمع الإيراني الجديد بدافع التأييد للنظام الذي علقوا عليه آمالاً كبيرة للاخت بيد إيران إلى مصاف العالم الحديث، ففي حين أن بعضهم الآخر منهم كان دافعه إلى ذلك الهروب من قبضة النظام الجديد على المطبوعات الساسية التي تمس النظام الديكتاتوري الحاكم، أما كتاب الرأي الحري المناهضون للنظام فكان أمامهم أحد طرقين (17): أما اللجوء إلى الرمزية لتفادي الصدام غير المتكافئ مع نظام لم يتوان عن الطاش بآي صوت معارض، أو اللجوء إلى الرحل من إيران لنشر أعمالهم (18)، وفي أواخر الثلاثينات بدأت الأصوات الموازية للنظام في التحول عن موالاته نتيجة للامعاب الذي ألم بهم على أثر فشل النظام في تحقيق آمالهم، ونتيجة لإحجام النظام عن منح بعض الحريات للطبقة المستثمرة التي حرمت من أيّة مشتركة سياسية فعلية في إدارة أمور البلاد، وهكذا حين اكتشف القناع الزائف عن وجه النظام الشمولي انتقلت عليه الفتنة التي سادته في البداية، ولكن أيضاً بسبب الخوف من بطش النظام لجاؤوا في كتاباتهم إلى الرمزية أو إلى النقد الاجتماعي أو أي من القضايا العامة طالما أنهم لا يقربون النظام السياسي بنقد صريح.

خلت الساحة - كما ذكرنا من قليـل - للرواية التاريخية والاشعار الحماسية التي تجسد النظام الجديد ومرامية في أواخر العشرينات، وانزوعت القصة القصيرة
الحديثة العهد بلجوء رائدها جمالزاده إلى الصمت الأدنى، إلى أن قام برزك عليوي (ولد عام 1904) بنشر مجموعة جمده عام 1934، وقد استفاد علوي في هذه المجموعة القصصية من الأفكار الفرودية في التحليل النفسي والتي ألم بها في أثناء سنوات دراسته في ألمانيا(19)، وفي حين خلت مجموعة جمده من أي لون سياسي اصطغبت كل كتاباته القصصية منذ 1942 - أي منذ سقوط نظام رضا شاه - بصبغة سياسية ولو أنه لا يعتبر نفسه كاتبا سياسيا في المقام الأول، وأظهر عليوي في كل أعماله قيمة فذة على اتباع التكتيكي الأوروبي في القصص بينما علبت المحلية الإيرانية بصورة متميزة على مضمون قصصه.

وعام 1937 أصدر سعيد نفيسي مجموعة قصصية بعنوان ستركان سياه (النجوم السوداء) وتضم قصصا يعود تاريخ كتابتها إلى عام 1916، أي أن سعيد نفيسي كان لايزال يجري قلمه في كتابة القصة القصيرة حين ظهرت مجموعة يكي بود ويكي بود لجمالزاده في عام 1921، ولما كانت مجموعة جمده تجريبية فقد أنصب اهتمامه فيها على الشكل والأسلوب دون محاولة التوحييد الأدبي، فتميزت كتاباته بالتزام الحرفية الفنية التي لا تثير الجدل(20).

وكانت أواست الثلاثينيات من هذا القرن بداية انطلاق القصة القصيرة إلى أفق جديد في الأدب الفارسي على
يد الكاتب القصصى الإيرانى الفذ صادق هدايت(31) ، وقد تتميز كتاباته القصصية بالتعقيدات الفلسفية والنفسية العميقة ، وعبر في بعض منها عن اتجاهاته الفلسفية كاتجاهه النباتى وحبه للحيوان ودعوته إلى إحياء كل ما اعتبره إيرانيا « خالصا » ، وشغله بشكل خاص موضوع « الضصبحية » الذي يعاني من القهر والظلم ، فنجده في قصصه شخصية الأحباب الذي يلقى السخرية من الجميع ، ورجل الدين المراى ، والتاجر الجشع والعانس الحاقدة وما إلى ذلك من النماذج الاجتماعية الحية بقاع المجتمع الإيرانى ، وفي استخدامه للهجة العامية الفارسية ذهب هدايت إلى درجة أبعد كثيرا مما ذهب إليه جمالزاده في أواخر العشرينات ، أما من حيث التكنيك فقد أصبح أسلوبه معيارا ونهجا ممن تلاه من الكتاب في العقود التالية ..

فترة الأربعينيات والخمسينيات :

في أواخر الأربعينيات احتلت قوات الحلفاء أجزاء من الأراضي الإيرانية وأجبروا رضا شاه على التنازل عن عرشه لابنه محمد رضا بهلوي في عام 1941 ، ومنذ ذلك العام ولمدة أعوام تالية خفت قبضة الرقابة على المطبوعات إلى حد ما ، ونتيجة لذلك شهدت الحياة الثقافية بعض الازدهار ، وانتمعت القصة القصيرة ، وكان التجديد الذي أضافه صادق هدايت على الكتابة القصصية مصدر الهام لعدد من الكتاب الذين خاضوا هذا المضمار كوسيلة
للتعبير السياسي، وقد تأثرت كثرة من هؤلاء الكتاب بكتابات جان بول سارتر الفلسفية والأدبية ضمن تأثيرهم بالتطورات الفكرية والأدبية في فرنسا بشكل عام، ومن ثم كانت كتابات هديت وسانترديللا الجديدة أحاد كتاب إيران الجديد على ضوء النظر في الفنون الأدبية الراسخة، كما ازداد نشاط حزب تورس شيوكي الايراني في ظل مناخ الحرية النسبي في الأربعينيات(23)، كانت كل هذه عوامل أدت إلى استغلال الحياة الثقافية في البلاد والى قيام نهضة أدبية جديدة في هذا العقد.

من أبرز الكتاب القصصيين الايرانيين الذين بدأوا إنتاجهم الأدبي في هذه الفترة صادق جوبيك (ولد عام 1916)، وبرز اسم هذا الكاتب في مجال كتابة القصة، فجعل مكانة لا تقل عن مكانة صادق هديت وجمالزاده، وإنصب اهتمامه في القصة على التحليل النفسي والوصول في أعمق النفس الإنسانية، وتعالج أعماله المصير الأسوي لبعض الناس في عالم «لا إنساني» وهو الموضوع الذي يوجي برتب طين أعماله وأعمال إبراهيم آل برو. وتتميز كتابات جوبيك أيضا بقدة التصور والصراحة في الوصف وحيوية اللغة التي يستمدها من اللهجة العامية الجارية.

في أولى مجموعاته القصصية حيمة شب بارز (خيال الظلم، 1945) تجلت بعض السمات المميزة في أسلوب جوبيك مما بدأ واضحاً في أعماله اللاحقة، وهي محاولة
صباح القضايا الاجتماعية الملحة بصيغة فلسفية، وتعاطفه مع أقدار الضعفاء وضحايا القدر، ويركز في قصصه على ضعفة الحياة وما يؤلب إليه الإنسان، ويشور العوازم الضيقة الكثيرة للمؤسسات والعوالم والانتماءات وغيرهم ومن نبذه المجتمع (23).

ومن أبرز كتاب القصة القصيرة في الأربعينيات أيضا جلال آل أحمد (1923 - 1979) ، ورغم غزارة انتاجه القصصي إلا أنه لم يلق بعد ما يستحقه من عناية ودراسة من جانب نقاد الأدب الفارسي المعاصر، بدأ آل أحمد حياته الأدبية بنشر قصته زيارته في عام 1948 على مسافات مجلة سفن الأدبية، وظهرت أولى مجموعاته القصصية متضمنة القصة المذكورة وتحت عنوان ديد ديد في عام 1946، ثم توالت مجموعاته القصصية في فترات قصيرة (24)، يقول رضا مراهني الناقد الأدبي الايراني المعاصر في نقده لقصص آل أحمد:

٣٠٠ وليستنا آل أحمد صاحب سلوب نثرى يه، أفضل من أساليب هدایت وربما يعد أفضل أساليب نثری معاصر، ولكن هذا الأساليب الأسواف لا يدلى ما يكي من عناية غالبا لقصصه أغوار نفس شخصية ٣٠٠، فحيانا تمر شخصياته أمام عيون القارئ كأنها البرق دون أن يتمكن القارئ من أن يمسك بهم أو أن

٢٨
يعلقوا بذائه، قال أحمد لا طاقة له على وصف أحوال الأقردان أو المجتمع ذهنياً أو نفسياً، وبعد مليته المتمثل في الوضع السلبي للشخصيات نتيجة لعدم رؤيته للعالم من الداخل، من أعمق العلل والنتائج، فبُدأ من أن يخلق شخوصاً يخلق صورة هزيلة تركز فيها على وصف المرتفعات والمنخفضات الجسدية(5).

أما من حيث الموضوع فويُرد ذكرآ خير أن استغراق الديانة في الموضوعات الأخلاقية والاجتماعية قد جعلته بعض أعماله أقرب إلى المقالات المرتبطة منها إلى القصص، واستغرق في السخرية فلم يقلت من سخريته النبرة أي من المؤسسات الاجتماعية أو الدينية أو السياسية في المجتمع الإيراني(26).

وفي أعقاب فشل حركة مسيرة عام 1953 عادت الأوضاع السياسية إلى ما كانت عليه من قهر وكبت للحريات في أواخر عهد رضا شاه، ومن جديد أشتدت قبضة الرقابة على المطبوعات متأكدة قوة النظام الحاكم وقدره على إسكات الأصوات المعارضة في الأوساط الثقافية. وأعاد محمد رضا شاه سيرة والده بشأن مكافحة الشيوعية فطورد أعضاء حزب تود وآخرين، واضطر أحمد شامش الشاعر المعروف، اضطر أعضاء الحزب من ذوي الفعالية من أمثال أحمد.

٢٩
ومحمد على افراشته إلى اللجوء للترجمة والكتابة فيما لا يقرب السياسة إلا بالرمز والتلميح.

واسدا خلال هذه الفترة من الاضطراب السياسي صمت أدبي نشط بموازاته أصحاب الأنشطة السياسية من مختلف الإتجاهات، وفي أواوست الخمسينيات عادة الحياة الأدبية إلى الانتشار بروح جديدة وتباين في الاتجاهات والأنشطة، فكان ظهور المجلات والدوريات الأدبية حافزاً على نشر الأعمال القصصية لكتاب ناشئين، وفي الوقت نفسه شهدت حركة الترجمة عن الأدب الغربي طفرة كبيرة وبخاصية ترجمة الأعمال القصصية لكتاب بريطانيين وأمريكيين، وكان النوع الغالب في هذه الترجمات القصص البوليسية وقصص الجريمة ومعظمها للاستهلاك الشعبي لكن هذا لا ينفي ظهور ترجمات هادفة قام بها كتاب لهم مكانتهم الأدبية مثل سليمان دانشدور (1931) ومحمود به آتن (1915) فترجمت سليمين دانشدور ضمّ ما ترجمت أعمالًا مثل: بياتريس، أرثر شنتسلاو، والكوميديا الإنسانية لسارويان، وقام محمود به آتن بترجمة عطيل لشكسبير، وبالإضافة إلى العائد المادي الذي وفرته الترجمة للكتاب كانت مختاراتهم من الأعمال الأدبية والنصوص من ذلك النوع الذي يحتوى ظروفاً سياسية أو اجتماعية شبيهة بظروف إيران، ومن خلال هذه الترجمات عبر هؤلاء الكتاب عن وجهة نظرهم السياسية ولو بطريق غير مباشر.
كما ظهرت أعمال قصصية لم يحاول كتابها تجربة أشكال جديدة أو حتى على نهج الخيال السابق من الكتب المسرحيين كهدایت وجوبک بل عادوا أدراجهم إلى أسلوب جمالزاده في مزج عناصر الحكاية التقليدية بعناصر القصة القصيرة الحديثة، إلا أن هذا الأسلوب القصصي كما يرى ظفرزاده، وأن كان قد اعتبر تجديدا وطفرة إلى الإمام في العشرينات فكان يعد ركودا وقفزة إلى الوراء في الخمسينيات، وربما كان اتباع هذا "الأسلوب البسيط" متاثرين في نهجهم هذا باتجاه مشابه في الأدب الأمريكي لدى همنجوإي مثلا(27)؛ ونجد هذا النهج الأدبي لدى إبراهيم كلستان في مجموعته شکر سیاه (السکر الأسود 1955) التي تنبذ فيها التكلف في التكتيك وتعتمد على الأسلوب البسيط ذي الحبكة واللغة الباقراتين السهلتين.

وفي أواخر الخمسينيات ظهر إلى جانب هذا الاتجاه "الفلاسفي" في القصة القصيرة اتجاه آخر واقعي ركز اهتمامه على قضايا الإنسان العادى والمواقف المألوفة في الحياة الإيرانية كما نجدها لدى هدایت وکتایب جيله، ومن أبرز أصحاب هذا الاتجاه جمال میر صادقی ورضا حضيري اللذان تناولوا على صفحات مجلة سمط(28)، وفي أعمال تالية له اتجه میر صادقی إلى السخرية المرة كأسلوب له كما سنرى في قصة تدریس درباره دل انکیز المترجمة في هذا الكتاب، في هذه القصة يلجأ میر صادقی إلى الرمزية

31
الساخرة التي نجدها في رواية أولاد هارون باتنا لنجيب محفوظ،
كما سنرى فيما بعد.
وهني غلا محمد سعدي (1965 - 1985) نفس هذا النهج الواقعى في أعماله، وتدور معظم أعماله حول آمال الإيرانىين البسطاء وآلامهم في الصراعات الداخلية والإحياء النسوية بالهندي، وقد استخدم مهارته كطبيب نفسه في كتابته القصصية والسرحية.

فترة الستينيات والسبعينيات:
ومنذ أوائل الستينيات شهدت القصة القصيرة حركة ازدهار ملحوظة إلى درجة أن أصبحت ضمن الفنون ذات الشعبية الكبيرة بين الشباب الإيرانى، فظهرت كتب عن كيفية كتابة القصة ومن أشهرها كتاب هذ لدى داستان نوسي لابراهيم يونسي (تهران، أمير كرير، 1976)، وكان لوفرة الدوريات الأدبية دور كبير في تحقيق هذه الشعبية للقصة القصيرة، ولكن لا ندرى هل أتى شعبية القصة القصيرة إلى التوسع في نشرها أم العكس، على أية حال لا يسعنا أن ننكر الدور الاقتصادي في زيادة الاقبال على هذا الشكل الأدبي القصير، فكان الانخفاض النسبي لسعر المجلة الأدبية أو الصحيفة يعد عاملاً في تفضيل كثرة من القراء للقصة القصيرة على الرواية التي كانت تنشر في شكل كتاب، فكان الكتاب لايزال مرتفع الثمن نسبياً، إلى

32
درجة أن بدأ اتجاه في نشر الروايات والترجمات الأدبية على صورة مسلسلة في الصحافة لمواجهة العامل الاقتصادي.

ظهر في تلك الفترة وما تلاها جيل من كتاب القصة القصيرة بدليل جهداً ملحوظاً لشق طريق جديد لهذا الفن الأدبي بعيداً عن الانغماس في اللون المحمي أو الاستفراغ في الالتزام بقواعده الأوروبية أو في مزيج من هذين الفنين، فكانت أعمال هذا الجيل من الكتاب تتسم بما يمكن أن نطلق عليه اسم "أدب إنساني" يخاطب الإنسان في كل مكان ويفتقد عن البشر دون تمييز ومعالج آلههم وآمالهم دون تفرقة، ويتلف كل من كتاب هذا الجيل عن غيره من الكتاب في أسلوبه أو التكيك الذي يتناول به قضاياه، فمنهم من اتخذ من الهزل أسلوباً بينما استخدم آخرون الرمزية الساخرة وتبني غيرهم الواقعية الدرامية، وأنه من الصعب وضع إطار عام يجمع بين الكتاب الحديثين جميعاً تحت عنوان واحد وذلك أولاً لكثرته عددهم، وثانياً لوفرة ما انتجوا من أعمال، وثالثاً لتشعب القضايا والأساليب التي عالجوا بها قصصهم، ومن ثم نبرز فيما يلي أبرز سمات هؤلاء الكتاب المحدثين وأعمالهم كاملاً لا للحصر، مع تقديم نماذج لأعمالهم روعى في اختيارها.

(32
م 3 - القصة القصيرة)
نادراً ما تتناول قصص هذه الفترة عاطفة الحب نفسها، إذ ركز كتاب هذه القصص على ما لهذه العاطفة من ردود فعل إجتماعية، فالمجتمع الايراني كمجتمع شرقي محافظ يدين الحب خارج إطاره المحدد وهو الزواج، ولو أنه يغض النظر عن خروج الرجل على هذه القساعة الاجتماعية، أما الفتاة فيحكم عليها المجتمع بالتدني الاجتماعي أو السقوط وسوء المصير، كما أن عاطفة الحب كانت موضوعاً ثانوياً بالنسبة للقضايا الملحة التي عرضت للطبقة المتوسطة في الستينيات والسبعينيات، فاولوا جل اهتمامهم إلى مسائل أكثر شمولية والحاجة على انسجام العصر الحديث ومجتمعه السريع التغير، ومن ناحية أخرى مثلت القصة القصيرة شكلًا أدبيًا أقصر من أن يسجع قصة حب بكل أبعادها وظروفها، أما في الرواية الطويلة فنجد قضية الحب في مجتمع محافظ من أبرز القضايا التي شملت كتاب القصة منذ عشرينيات هذا القرن، ومن خلال هذا النوع من القصص عولجت قضية تحرير المرأة ونظرة المجتمع إليها، وعلى أيّة حال كانت غالبية هذه القصص تنتهي بالإحباط أما نتيجة للظروف الاجتماعية أو العامل الاقتصادي.

بعده طفيان الأب وسيطرته على الأسرة من الموضوعات التي عولجت في أكثر من قصة في هذه الفترة، فالأب في المجتمع الايراني يمثل الدعامة الاقتصادية الأولى وربما الوحيدة في النظام الاقتصادي الايراني مما يحول دون
استقلالية الأبناء حتى سن الشباب. تظل صورة الأب الطاغية مسيطرة على خيال الكاتب وتعكس سنوات طفولته الفعلية في كتاباته، أو ربما لماذا ان الكاتب يظل متشغلا بسنين طفولته وأحداثها من منطلق محدودية خبراته وتجاربه في الحياة. وكذا كانت شخصية الأب، الطاغية والابن المظهور - كما نجدها في قصة جيشن فرحانة (الحفل السادس). لجمال آل أحمد - شخصيات ثابتة نجدها في كثير من تقاسم الكتاب المحدثين.، وغالبا ما نرى القصة من وجهة نظر الابن.

وتتمد فكرة الرغبة في الخلاص من سيطرة الأب الى رفض الماضي التاريخي للبلاد، في قصة البرج التاريخي لخسرو شاهاني نجد الكاتب يسعى من البرج الأخرى الذي يمثل تاريخ ايران القديم برمته ويتمثى زواله، فالكاتب الايراني المعاصر يتساءل عن جدوى التاريخ وقيمته في مقابل انجازات الغرب الحديثة. وإذا كان صادق هدايت قد أوجد ما تعانيه ايران من مشكلات في العشرينيات والثلاثينيات إلى «الفوزي العربي» وانتشار الإسلام الذي أعاد «امجاد» ايران القديمة فإن خسرو شاهاني يرجع تخف ايران في السنين على ذلك التاريخ القديم الذي يعى هدايت على اطلاعه، والحقيقة أن الاتصال المكثف بين ايران والغرب منذ أواخر القرن الحالي قد زاد من حدة الهوة التي تفصل بين ايران وأوروبا في العصور الحديثة، بل وزادت هذه الهوة اتساعا لتخلق نوعا من

٣٥
القرية لـ بين أبناء الجيل الجديد وواضي ثقافاتهم وحسب بل وبينهم وبين ذويهم وبنين وطنهم أيضا

تحتل فكرة الاغتراب مكانا بارزا في قصص السبعينيات والسنين. ولكننا هنا لا نعني احساس الإيراني باللغة. في أثناء اقامتهم خارج إيران، بل على النقيض من ذلك، رتبت السيرة التي يحسها في وطنه وثقافته وبين أهله، وفي قصة الأشخاص في الليل (رواية ها درشبي) لغلا محسن نظرى نعبد البطل يروي قصـته في أثناء اقامتـه بغوغنف بابلانيا الشرقية بعد عودته من زيارـة قصيرة لإيران.

وقدرب احداث القصة في أثناء هذه الزيارة، يشعر البطل زمن營انتبة الأولى بالاغتراب عن أسرته، يسود الصمت بينهم، يتبادلون نظرة باردة، الزمن لا يتحرك هنا، إلا إن زادت الأم عجافا وعينا الأخ هولا، وظام البطل أن "شيئا قد انكسر في قلوبنا"، "كسروا شيئا في قلوبنا"، ونتيجة لهذا التباعد بين البطل ومامضيه يفضّل العودة إلى ديه لا أغتراب، وكتب قصته في "ليلة العيد".

وتلقت الصور الدرامية في هذا النوع من القصص بطلاء الحزن والключаها على القصة كلها فتعكس صمود الكاتب في تجريبه وما يعاني. ففي قصة "كفرشات في الليل" نجد صورا مثل: "كأنهم أخذوا عينيه"، "نظرات باردة سامته"، "عين زجاجية"، "القصيدة الفراشات بشعاع الصباح"، "رأس أختى سقط على ركن من المقدار..."
كُرَاسَة دَمْية مَخْلُوَّاة "..." ... رَتَّبَ الْفَلَّة المَسْتَخْبَتة
والإِفْتَالِيَات هَذِه الصُّوُرَة الْدِرَامِيَّة: مِثْل: "عَفْفَارُ يَدْ..." 
شيء: أَخْسَافًا، دُعْبًا، صَسْمَاتة، هُما أَقْل؟
فِراشات... "

ويعبِّر الكاتِب فِي قَصَة (الْبِرْج الفَارِسِيّ) بِأَسْطَاب عِن جَهَلِ الإِيرَانِيِّين بِتَبَارِيَّتهِم وَاعْتِصَامِهِم بِمَا كَارَاهُم
أَلا، إِذَا ما أَبْدَى الْغُرْب اَهْتِمَاهُ بِهَا، فَيْيُظِل أَهَلِّي الْبَلْدَة
يُتَجَاهَلُون الْبَرْج فِي وَقُولُهُ اَهْتِمَاهُم، وَحَيْن رَحْلَت الْبَلْدَة دُون جَرَى
عَادَ الأَهَلِّيَّين سِيرَتِهِم الأَوْلِيَّة، وَلا يَقْتَصِر تَأثِيرُ الْغُرْب عَلَى
العَلَقَة بَيْنِ الإِيرَانِي وَوُطِنِه وَماضِيَه وَجَذُورِه بَل وَيَتْمِد لِتَثَمِّلِ الْلِّغَة، فَفِي قَصَة فَارْسِيٍّ شكَّرَاتُ إِلَّا جَمَالُ زاده نَجَد
البَطْل يُعَنَّى مِن عَدْمٍ فِي مَا يَقُوَّلُه المُقْتَرِنُ الَّذِي يُسْتَخْدَم
فِي فَارْسِيَّة اَلْفَاظِ أَورَبِيَّة (فَرْنِسِيَّة... "

وَمِن عَوَامِل اَحْسَاسِ الْتَّقَفَين الإِيرَانِيِّين بِالإِغْتِرَاب
أيضاً الْطَرِيفِ الْسِيَاسِيَّة الَّتِي شَهِدَتِها إِيرَان فِي ذلِكَ نَظاَم حَرَّمْشَاه (1925 - 1941) وَولِدَ هُمْدُدُ وَرْضَاءُ شاه
(1941 - 1979) فُكَان حُرْماَنُهُم مِن آية مشارِكة سياسِيَّة
فِي إِدَارة الْبَلَد إِلَيّا سِيَاسَات الْسِيَاسِيَّة الْعَلَمِيَّة
وَالْسِيَاسِيَّة بَعْدًا لِلمَثْعَاقِين الإِيرَانِيِّين لِمُعَارَضَة الْجَهَّاز
الحاكِم، إِلَّا أن قُبْضَة الْسِيَاسَة الْحَدِيدَة قد حَالَت بَيْنهم وَبِيْن
الْتِصْرِيح بِسَخْطُهُم، فَلَجِأَا فِي كِتَابَاتِهم الْأَدْبِيَّة إِلَى الْرَّمْز
27
التلميح لتفادي الرقابة، ففي قصّة غصن ينسج من أجل عديد من السجَّا يحاولون تعزيز سوء السبب الذي القبض على ياسين وعديد واقعًا إلى المعتقل، لكننا من بعض العبارات نستشف أنهما قد اعتقلًا لأسباب سياسية:

"... في الطريق إلى المدعى العام، كان (المعتقلون الآخران) يروجون الهيروين والآفيون، أو متهمين بالسرقة..." كانوا عديدًا حزينا لأنه لم يكن يستطيع أن يحرك يديه، وينعكس رأس المثقفين الإيرانيين في حدوث أي تغيير في الأفضل في استسلام كل من ياسين وعديد مصيرهما في المعتقل، وربما كانت مستشفى الأمراض العقلية في قصة القيد لبهرام صادقة رمزًا للمعتقلات السياسية التي أعدها النظام البهلوي للمعارضين السياسيين، وربما ترمز "المدينة القصصية" إلى إيران نفسها.

"كان المحافظ في مدينة تؤخت بالبيزة (وجود مستشفى للأمراض العقلية)، وأي أنه أحيا بتحسس على وجوده في هذه المحافظة المهدئة للأسرار والقابعة في الصحراء الواسعة وحيدة تفصلها أميال عن أدن البهجة..."

وتتصاعد حدة السخط على النظام السياسي الشمولي لدى بعض الكتاب إلى درجة السخط على الحياة الإنسانية.
عامة، فتبرز في أعمالهم الجوانب القاسية في الحياة على الأرض، فتبدو مغزعة في الكابحة والسوداوية. ومن أمثلة هذا النوع من القصص الخوف للجميل مير صادقى، تصور هذه القصة عالمين يسيران في خطوط مترامية وفي اتجاه واحد: عالم الكبار وهو العالم الحقيقي بما فيه من كوارث وحروب مفجعة ومجازات كما يحكمه والد الطفولة ندى عن الصحيفة، فينص الوالد الصحفية جانباً ليفضح المجال لعالم آخر من خلال عيون طفليته المريضة، وهو عالم قوامه الطفولة والقسوة، فالطفلة مريضة ومسرح الأحداث عيب، طبيب أطفال، والطفلة عرضة لقوة كبرى تفترس براءاتها هي المرض، ومن ناحية أخرى تتزعم الطفلة لمرايا الوحشية كسمة من سمات العالم الأرضي متمثلة في سمكة كبيرة وعدة أسماك صغيرة في حوض أسماك الزينة، وبلا سبب تعتدى السمكة الكبيرة على السمكات الصغيرة و تقضي عليها دون رحمة، وإذا ما نظرنا إلى الحوض وأسماك الزينة على أنها رموز يقصد بها الكاتب معاني خفية فربما كان الحوض هو العالم الأرضي يعتدى فيه القوي على الضعيف دون سبب، بل ربما قصد الكاتب هذا المعنى على المستوى الدولي كالمعركة بين القوى العظمى والدول الصغيرة، على أي حال فالقصة تحمل في ثناها وعلى أي مستوى رمزى أو واقعي السخط على فكرة الصراع غير المتكافئ في الدنيا.
وتتمد فكرة المسرح على النظام السياسي الجاشع والحياة الإنسانية إلى مستوى أعلى لتشمل السخرية من النظام التشيكي واقعه وذوبه كما ذُكِر في الدرس في ربيع بهجي له يهام صادق، يدخل الكاتب في هذه القصة بصوته كروية للأحداث يدعو القراء إلى مشاركته خياله، فمخجل مدرسة لها ناظر ومدرسين وطلاب، يتوافد المدرس على الفصل الذي تدور فيه أحداث القصة الخيالية، ويخالف الطلاب بين مواقب ومهمة، وفي النهاية يخضعون جميعاً لإغراء الفتاة الحسناء إلا شهاب متهدين لم يمنعه من الخضوع لها الا كاهونتها، ونعلم أن هناك ضباباً بين المدرس والطلاب لا يبتعد الا في نهاية القصة حيث يكتشف المدرس أن الطلاب جميعاً قد حلوا حديثه وذهبوا في أمور الحسناء إلا الشيخ، فبدا المدرس في استجوابه.

تنتمي هذه القصة إلى نوع من الموضوعات الفلسفية الرمزية التي أتقل عليها عدد لا يبالاً به من كتاب القصة الإيرانيين الحديثين، وجدير بالذكر أن يهام صادق لم يكن أول من كتب هذا النوع من القصص، فقد كتب صادق جواكر قصة مشابهة عنوانها القفص ( من مجموعة عنتري كه لوطيش مره، يوم 1949) تحكي عن قفص نجا جناح يفتح بابه من حين إلى آخر وتمتيد ضخمة وتخرج بأحد الديكة أو احدى الدجاجات لذبحها أمام اعين الآخرين، إنه صراع بين الإنسان وقوى أكبر منه ولا يسمع فيها إلا

40
الاستسلام، وهي فكرة تسيطر على كثرة من القصاصين المحدثين.

فترة ما بعد ثورة 1979:

أما عن تطورات عالم القصة القصيرة في أعقاب ثورة 1979 فليس بين يدي سوى قصة واحدة حصلت عليها من استاذي الجميل بروفر / جرنوت وندفور استاذ اللغة والدرب الفارسي بجامعة ميشينيغان بالولايات المتحدة الأمريكية، وهي قصة يركن باتوي روح من (ملكة روحي) التيكتبتها الكاتبة القصصية كلي ترقى (1979) - في صيف عام 1979 أي بعد شهر قليل من استقرار السلطة في يد الثوار وأعلن الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

تحكي القصة عن استاذ جامعي يعاني الأحداث في الشارع الايراني في أيام عنفوان الثورة، ويصور التضارب الشديد في موقف الناس من حروبه متمنين في أفراد استره وأصدقاءه وجيرانه وهو نفسه، ففي حين يتشغل والله بالبحث عن الزبيب لصنع العرق الذي يفضله يجعل زوجته بتعلم قواعد الصلاة والدين وتكرد آراء الثورة، وبينما يؤمن ولده بالشيوعية ويبشر بقيام ثورة «حقوقية» أخرى غير الثورة الدينية تهمه ابتذله حبا بشخص مجهول وتفرط في الطعام، أما صديقه الشاعر فلايزال هائما في شاعريته الحالية و«فجأة يتذكر الله»، والبطل نفسه بين أولئك.
جميعاً مناهض للثورة وهارب من جحيم الأحداث إلى حلم يراوده، فترى في منامه يوتوبيا أو داراً مثلياً «تحل 000 من منطق العالية وحسب اللحظات، من آداب الحياة الصحيحة وأسلوب الوجود، بعيداً عن سيطرة المادة والتماثية التاريخية والحقيقة المطلقة للمثل 000». وفي أثناء استغراقه في «آيام الغليان الآتيّة» تلوح صورة الدار المثلى أو مدينته الفاضلة في مخيلته من جديد.

تعبر الكاتبة من خلال قصتها عن حالة احباط تعلينها فلا تملك حيالها إلا الاستغراق في مثالية حالية، وهذه النظرية اليوتوبية نجدها في كثير من الأعمال الأدبية الفارسية العاصرة والحديثة نتيجة لحالة الاحباط المتكررة على الصعيد السياسي في إيران منذ أواسط القرن التاسع عشر وحتى الوقت الراهن، وتستخدم الكاتبة زمن المضارع في سرد قصتها مما يضيف على الأحداث سمة الحالية والتوتر السريع، ويدعم هذا التواتر السريع التكتيك الذي استخدمته الكاتبة في تداخل السرد الوصفي والحوار المباشر، فهي تصف الطبيعة وتتبعها بحوار بين الشخصيات ثم تستأنف وصف الطبيعة أو الحلم وتعود مرة أخرى إلى الحوار وهكذا حتى نهاية القصة مما يعزز جو الاضطراب الخارجي والداخلي، ويمتاز فيها الواقع الأليم بالخيال البهيج.

ورغم ذلك فلاشك أن الوقت لايزال مبكاً للحكم على
الأدب في عهد الثورة الأخيرة واتجاهاته وتوجهاته من حيث الشكل أو المضمون، ونقدم في الصفحات التالية نماذج مترجمة للقصة القصيرة، وقد تم اختيارها على أساس التسلسل الزمني كنماذج لتطور هذا الفن الأدبي في فترات متتالية، وأيضًا على أساسات الاختلاف في الموضوعات والأسلوب منذ بداية ظهور القصة القصيرة الحديثة في العقد الثالث وحتى أواخر السبعينيات، وقد روعي في ترجمة هذه النماذج ان ترد الصيغة اللغوية في النصوص كما هي في متنها الأصلي، فما كان في المتن الفارسي فصيحا ترجم بما يقابله في العربية الفصيحة وما ورد بصيغته العامة ترجم إلى ما يقابله في العامية المصرية، وذلك بهدف الحفاظ على روح النص الأصلي قدر الامكان.

※※※

٤٣

George, Albert. *Short Fiction in France*, P. 239.

(2) المرجع السابق، ص 9.

(3) سمرقندي، نظامي عرولي، جهار مقالة. مقاله أول ص 21 - 27، نقل عن خريري، فارس ابراهيمي: مقاومة نويسي.

(4) ص 135 - 136.

(5) بهار، محمد تقي: سبيك شناسى، ج 3، ص 126.

(6) حريري، فارس ابراهيمي: مقاومة نويسي، ص 116.

(7) بهار، محمد تقي: سبيك شناسى، ج 2، ص 126.

Zafarzada, Masud. «The Persian Short Story since the second WW. : An Overview».

(8) بدأت صحيفة كاوه في برلين عام 1916/1925، وكانت تصدر باللغة الفارسية لتتمثّل وتتحدث باسم الحركة الموالية.
الاثنیانی بهینه نمایندگان، و در اینجا همین تهران، که به‌درستی کرست این صحیحیت جهودها را برای این‌که شایستگی‌ها و عرصه‌های بالقوه تا ۱۹۲۵ و حتی قبل از آن دو ساله (و مفروضه با اسم «دوره جدید») تجربه کاره ما در ادب و فرهنگ درابازه‌ی گنج و گنجان‌ی که در جامعه‌ای مکان ندارد، به محترم و مناسب‌ترین روزنامه‌ها و مجله‌های تめたازی ادبی و فرهنگی در خارج از این کشور تحریک و آگاهی و عیان در زمینه‌ی ادبیات فارسی در این کشور، را به‌عنوان یکی از پیشرفت‌های مهم ادبیات فارسی در دهه‌های خود بازسازی داده‌ام.

Kubickova, Vera. «Persian Literature of the 20th Century.» P. 373.

۰۳ صدرت الطبعة الأولى عن كاوه عام ۱۹۲۲ في ۱۵۱ صفحة، وأعيد طبعتها عام ۱۹۴۱ في ۱۲۸ ص، وبلمرة الثالثة عام ۱۹۴۸ (شركت سهلمي جاب) في ۱۳۵ ص، وطبعة رابعه ۱۹۴۸، وطبعة خامسة (ابن سينا) عام ۱۹۵۴ في ۱۵۹ ص، وطبعة سادسة (كانون معرفت) عام ۱۹۶۰ في ۱۵۲ ص، وطبعة تاسعة ۱۹۶۵.

۱۱ ترجمه هذه الัยدة الأدبية بالجزء الثانی من هذا الكتاب.


۱۳ ولد دهخدا (۱۸۷۲ - ۱۹۵۶) وتعلم في تهران، وقضى عامين في فینیا لتعلم اللغة الفرنسية وفي آواره هذا القرن تعاون مع مریزا جهانی‌کار خان ومریزا قاسم شیرازی فی نشر صحفیة صوراسفیل وی‌ن من اهم صحاف العهد العتيقی، وفی آنها
منفاه بأوروبا استمر في نشر هذه الصحيفة هناك. ونشر أيضًا صحيفة سروش باسطنبول، ومن بين أهم إنجازاته الأدبية موسوعة لفت نامه الفارسية وكتابه ذو المجلدات الأربع عن الأمثال الفارسية وعنوانه إمثال وحكم.

-- Bashiri Iraj. The Fiction of Sadeq Hedayat. P. 136

Green, John. The Modern Persian Short Story. (14)
رسالة دكتوراه بجامعة ميشيغان، وقد وردت ترجمة إنجليزية
لبعض مقالات جون براون في كتاب براون.

الجلد الرابع


(15) قام المؤلف بعمل رسالة للدكتوراه تحت عنوان "الرواية الاجتماعية في إيران منذ 1900 إلى 1941" (The Persian Social Novel 1900 — 1941) بجامعة ميشيغان / آن آربر بالولايات المتحدة عام 1988 (323 صفحة).

(16) من الشعراء البازرين تداول بحار وعارف قزويني، وبروين اعتصامي الموضوعات والسجال السياسي عن طريق الرمز، ومع ذلك توقفوا تماما عن النشر حين زادت الأمور حدة والنظام بطشا، ففر لاهوتري بعفته إلى الاتحاد السوفيتي، وأصبح سيد أشفن نسم شمال بالجندون بينما اختار عارف المنصدة التامة في أواخر سنة حياته، وكان اغتيال الشاعر عشقت عام 1924 عبيرة للاخرين.

46
(18) بينما امتدت فترة حكم رضا شاه - اضطر الكاتب الإيراني صادق هدایت (1902 - 1951) إلى اللجوء إلى الهند لنشر عمله الأدبي الشهير بوشكور (الزاهد، 1937) خوفاً من بطش الرقابة داخل إيران في ذلك الوقت.
— Mashiah, Yaakov. «In Search of an Insane Universe»
P. 156

(19) قضى بزرك علوي - مثل جمالزاده - عدة سنوات في أوروبا حيث تلقى جزءاً من تعليمه الثانوي والتعليم الجامعي بالانجليزية حيث تأثر بالمدرسة المقربة في التحليل النفسي، وحين عاد إلى إيران اعتقل بين الأعوام 1937 - 1941 بتهمة القيام بأنشطة شيوعية ومخالفة القوانين التي استناداً نظام رضا شاه ضد الشيوعية والتضييق لها، وكان بزرك علوي فيما بعد من مؤسسي حزب تهذ الشيوعي الإيراني، وفي أعقاب الاضطرابات السياسية التي شهدتها آواخر الخمسينات عاد إلى أوروبا حيث يعيش الآن ويعمل بالتدريس بجامعة هامبورغ بالانجليزية الشرقية.
— Jazayeri, M.A. «Modern Persian Prose Literature»
P. 260 — 1.

وتتضمن القصصية التي أصدرها علوي هي:
- جمانه (الشامطة) 1934
- مقاله، باره هاي زندان (العذاريات السجن) 1941
- نامه ها (الرسائل) 1952
- ميرزا 1978
- ديو، ديو (العفريت، العفريت، العفريت) 1979

47
ولد صادق هدايت بتهران عام 1902 لأسرة موسرة، وقد ارسله والده للدراسة في فرنسا حيث قضى شتارا من حياته. وقد مات هناك بباريس في 1951، و чтобы كتابه A Short، أحد أشهر كتابه، يمنقح عن عدائه للإسلام والتاثير الثقافي العربي في الثقافة الإيرانية. فكان يعد داعية لكل ما كان يعتبره خاصا بالثقافة الإيرانية «الخالصة» كأحياء التراث القديم ودراسة اللغة البهلوية القديمة ومع موارد من تراث إيران الشعبي، فكان رائدا لحركة فنية واسعة امتزاج تأثيرها إلى العقود التالية.

وتضمن مجموعاته التخصصية ما يلي:

- زردة بكور (مديون حي)، 1936

- سه قطره خون (ثلاث قطرات من الدم)، 1937

- سه روض (اللال)، 1936

- سه ولد (الكلب الضال)، 1942

- مجموعة نورشه هاي براكنده صادق هدايت (مجموعة كتابات صادق هدايت المتوفرة)، 1955 - 6


وقد الحق كامشاد بكتابة قائمة بالأعمال الكاملة لصادق هدايت:
ولد صادق جوبك في بيوشهر عام 1916 وتلقى تعليمه الأولي في تلك المدينة، وفي عام 1927 انتقل والده إلى شيزار التحق بمدرسة حياته بتلك المدينة، ثم التحق بكلية البرز وهي كلية أمريكية بتهران، وفي عام 1937 التحق بوزارة التعليم وبدأ حياته العملية، ومن أعماله في مجال القصة القصيرة ما يلي:

- خيمه شب باب (خيان الظل) 1945
- انتريه كه لوطيشه مره بود (القرد الذي مات صاحبه) 1949
- روز أول قبر (أول أيام القبر) 1960
- جراخ آخر (المباح الأخير) 1966

(24) وأعمال آل أحمد القصصية القصيرة هي:

- ديد وبازديد (الزور) 1946، (12 صفحة)
- زن زياده (امرأة غير مرغوب فيها) 1952، (9 قصص)
- سهحار 1949، (12 قصة)
- زن زياده (امرأة غير مرغوب فيها) 1952، (9 قصص)

(4) م 4 - القصة القصيرة
Zafarzadeh, Mas'ud. «The Persian Short Story since the Second World War». P. 151.


Southgate, Minoo. (ed.) Modern Persian Short Stories. P. X.
تحليل أدبي من منظور آخر

ينظر معظم نقاد الغرب إلى الأدب الفارسي الحديث باعتباره ينحدر بصورة مباشرة عن الأدب الغربي، وقد تبعهم في زعمهم هذا معظم نقاد الأدب الايرانيين بدورهم، ونتيجة لذلك فإن أي عمل أدبي فارسي منذ الفترة السابقة للعهد الدستوري تقوم في نظر هؤلاء النقاد من منظورين محددين ضمنين: أي نوع أدبي أوربي يندرج تحته العمل، والى أي مدى روعيت في بنائه المعايير الأدبية الأوربية، ومن ثم فقد حصر كل عمل أدبي فارسي تفسفًا في إطار أدبي أوربي أو آخر دونما اعتبار للاشكال والأطر الأدبية الشرقية الأصلية.
أهداف في مقالي هذا إلى بيان منظور آخر للأدب الفارسي الحديث بصورة عامة والقصص بصورة خاصة، متخذًا من قارئي شكر است لمحمد على جمالزاده وهي أولى حكايات مجموعة يكي يود ويكي نيو (كان يا ما كان؛ 1931) كمثال تطبيقي لهذا المنظور التحليلي.

تدور الحكاية في فارسي شكر است (الفارس سكر) حول شاب أردني عادل من أوروبا في زيارة لآسيا وطنه، فيهبط بميناء انزلي حيث ينتمي ويسكن من الأوضاع المتدنية بالفناء كجزء من التدهور العام الذي شهدته البلاد في ذلك الوقت، ويؤدى تحسُّن رئيس الجمارك واستعداده بالمثقف إلى الحبس المؤقت بسبب المprintStats، وفي زمنته يلتقي المثقف بشخصين يمثلان في الحكاية طرفين نقيضين للمجتمع الأردني، وبعد برهة يلتحق بثلاثة بائع يلقب به من باب الزنزانة إلى داخلها وهو «رمضان» البطل وهو ساق رقيق الحال بمقهى الميناء، يدور حوار بين البطل - رمضان - وكل من الأشخاص الثلاثة، ويقوم التوتر في الحكاية على عدم قدرة البطل على فهم أسلوب الحديث الفارسي لدى اثنين من النزلاء، فيحاول المثقف أن يقنع البطل بان الآخرين يتحدثن الفارسية أيضا ولكن باسلوب مختلف، ويطلق سراح الأشخاص الأربعة، وفي حين يبقى البطل بالميناء يغادر المثقف والشخصان الآخران المكان، وفي الطريق يرى المثقف رئيسًا جديدا للجمرك متجها صوب الميناء.

52
يرى كل النقاد تقريبا فيما يشبه الإجماع أن محمد عليجمالزاده هو الكاتب الذي قدم القصة القصيرة كفن قصصي أوربي إلى الأدب الفارسي، ويعتبرون هذه الحكاية على وجه الخصوص - فارسي شكرست - أول أعماله في هذا النوع الأدبي، وأرى من جانبٍ أن فارسي شكرست لا تنتمي إلى القصة القصيرة الأوربية تماما بل تندرج تحت نوع المقامات أو قصص الصالحية في آداب الشرق الإسلامي، أو بعبارة أخرى فإن فارسي شكرست أقرب إلى المقامات التقليدية المحلية منها إلى القصة القصيرة الأوربية.

ظهر فن المقام في الأدب العربي في القرن العاشر الميلادي على اثر ظهور مجموعة مقامات بديع الزمان الهمذاني (توفي عام 1080)، وقد نشأت في الأدب العربي كثرة على النفاق وإزدواجية القيم بشكل عام في المجتمع العربي وكدعاوة إلى الإصلاح الاجتماعي، وكل وحدة مقامية هي حكاية قصيرة مستقلة كاملة تنسب حول شخصيتين خياليتين، أحدهما نموذج للشخص الظريف المغامر الآخر بطل عاجز لا يطرد العالم الإسلامي بحثا عن المعرفة، والآخر «راوي».

تحتوي فارسي شكرست على كل العناصر الأساسية للمقامة تقريباً:

1 - الإطار القصصي والبنية العامة
2 - البناء الهامشي للشخصيات
2- شخصيتنا الرواية والبطل وما بينهما من علاقة تلميز
باستاذته أو خادم بسيده.

4- اللغة كعنصر أساسي وكموضوع بالحكاية.

5- الإصلاح الاجتماعي كفرض أساسي.

6- السخرية كتقنية أساسية.

7- النهاية المفتوحة.

يدلل الناقد العربي عبد الفتاح قليلتو(1) خطوات
محددة تتبعها بنية الحكاية في فن المقالة وتتمثل معظمها
بصورة شبه ثابتة في تقنيات كل مقالة في حين يختلف
الموضوع من مقالة إلى أخرى وهذه الخطوات هي:

(أ) الرواية يحل بمدينة.
(ب) الرواية يتمتع على بطله.
(ج) البطل يستعرض بلاغته أو ذكائه.
(د) الرواية يلوم بطله على التخفي أو الاحتياج.
(ه) البطل يبرر موقفه.

Kilito, Abd el Fattah. «Le genre «Séance» :
Une introduction», in : Studia Islamica, 43 (1976),
PP. 25 — 51.
(و) الراوي يغادر المدينة أو المكان ويترك البطل وحده، حين تطبق هذه البنية القصصية المحددة في التتابع المتباينة في الموضوع على حكاية فارسية شكر斯塔 نجد ما يلي:

1) الراوي ويقوم بدوره المثقف الذي يقد من أوروبا إلى إيران ويذهب بميناء انزلي.

2) يعرف الراوي ببطله رمضان في زنزانة الجمرك.

3) يعبر رمضان عن احساسه بالظلم مستخدما أسلوبا فارسيا "خالصا" من لغة الحوار اليومي.

4) المثقف يلوم البطل على سوء فهمه لأسلوب حديث النزيلين الآخرين وها الفارسية العربية لدى الشيخ والفارسية الفرنسية لدى المتفرنج.

5) البطل يبرر احتفاظه بغموض لغتي حديث النزيلين.

6) بعد إطلاق سراحهما يرحل الراوي ورمضان فيغادر الأول الميناء بينما يبقى الآخر.

7) - بناء الشخصيات: فيما عدا الشخصيتين الأساسيةين وهما الراوي والبطل لا يتم التركيز على تكوين الشخصيات كعنصر أساسي في فن القامة، يلتقي البطل في هذا الفن بالعديد من الأشخاص توظف في مشهد أو اثنين ثم تختفي.
والبطل في فارسي شكرست هو رمضان وليس المثقف، كما يبدو لأول وهلة، أما المثقف فهو الرأوي، وينبغي أن يُؤخذ في الاعتبار كذلك أن البطل هو الشخصية الوحيدة المميزة باسم علم في الحكاية، أنه بطل مقامى أصيل، فهو شاب فقير يعاني من ضربات القدر وظلم الآخرين، فيلقى به مَامور الجمرك في السجن لغير سبب بين، وتضح مضطرابه النفسي من خلال خوفه من النزلاء الذين يستخدمون في لغتهم الفارسية الفاظاً "غريبة" على سمعه من اللغتين العربية والفرنسية والتركية، وفي الوقت نفسه يستخدم البطل كعادنة لانتقاد بعض العيوب الاجتماعية وعلى الأخص تباين الأساليب اللغوية بين مختلف فئات الشعب، مما يفرق بين الطباق ويعرض الوحدة والتماسك الوطني للخطر، فتبرع مشكلة التباين في أساليب الحديث بالفارسية كعرض من أعراض مشكلة أكبر واجهت المجتمع الإیرانی في أثناء الفترة الدستورية وما تلاها ألا وهي انقسام المجتمع بين التقليدية والحداثة بين القديم والجديد، بين الأصيل والوافد.

وإذا كانت شخصية المثقف ( بلا اسم ) تؤدى دور الرأوى في الحكاية المقامية وتقابل شخصية عيسى ابن هشام في مقامات بديع الهمذانى فإن شخصية رمضان ترافق شخصية البطل ابی الفتح الأسکندري، أما الشخصيات الهامشية فهي رجل الدين ( بلا اسم ولكنه يدعى باسم "الشيخ" ) والتغريب ( أيضاً بلا اسم ويدعى...
المحترفون بالشيوخ وحراس السجن

ويقول الاستاذ الذي يوجه تلميذه: "ويهديه«، فيLongrightarrow أن النزلاء الآخرين، ليسوا بجانب ولا مجانين، بل "أخوة إيرانيين" وأن اللغة "التي يتحدثونها هي أيضا فارسية 20«، ويسمى البطل بدوره موجود رفقة يسهل فهمها كشخصية المثقف الذي "ارسله الله استجابة لدعوات" ».

تتمثل اللغة جزء جوهريا من الحكايّة وهي سمة من سمات المقالة بشكل عام، فأظهر الفضاحة والمهارة

57
في استخدام اللغة العربية يمثل هدفاً رئيسيًا في فن المقام، وفي فارسي شکراست تقوم الحکاية أساساً على اللغة الفارسية والتباین بين أساليب الحديث لدى فئات المجتمع الإیرانی، وباظهار مهارة رمضان في استخدام فارسية خالصة » يستفطن كل من الاسلوبين الفارسیین المتعرب والمتفرنغ وتبرز الدعوة الى اصلاح لغوی يوحد بين مختلف الأساليب ويتمثل في الأسلوب "المحلی".

۵ – إذا كان الإصلاح الاجتماعي ءاما جوهریا تقوم عليه الحکاية القامیة من الناحیة الموضوعیة فان اصلاح اللغة يبدئ كموضوع رئیسی في حکاية فارسی شکراست باعتباره دعامة من دعایمات حفظ الهوية الإیرانیة المحلية.

۶ – يستخدم الیزل في القصة كآداة للاص‌لاح الاجتماعي، فتوضع شخصیتًا كل من رجل الیزل والتمرنغ موضوع السخریة باعتبارهما نموذجین لفئات اجتماعیة تشدّن عن الكیان الاجتماعي العام، فیمثل مظهر رجل الیزل ولكنته العربية الاتجاه التقليدی، ویمثل المترنغ بلغته المفرنسة اتجاه التغیر، وبين هذين النظیرین يمثل البطل الهوية الإیرانیة » الحقيقیة» حسب رأی الكاتب.

۷ – وقد تركت نهاية القصة أيضًا مفتوحة، فیرحل الراوی بينما يظل الیزل فی الییناء وفي الطريق يرى الراوی مامور جمارک جديد فی طريقه نحو الییناء، وهکذا يبرز

٥٨
احتمال أن يخضع البطل لجولة جديدة من الظلم والحبس على يد الأمور الجديد مما يعني مغامرة جديدة للصعلوك.

وهكذا تتشكل فارسي شكراسة مع من القامة في كل عناصرها الأساسية، ولزيد من الإيضاح نتخير إحدى مقامات الهمذاني كمثال، في المقدمة القرآنية تبدأ القصة بالرواية عيسى بن هشام يحكى وقائع رحلة له إلى جرجان الأقصى، حيث بدأ تجارة وقد جعل من حاولته مقصدها تدريس الشعر، وذات يوم جلس عيسى مع جماعة من رفاقه نتذكر القرى وآلهة وتلقائنا شاب قد جلس غير بعيد ينصت وكانه يفهم ويسكت وكأنه لا يعلم، حتى إذا مال الكلام بنا ميله، وجر الجدال فينا ذيله، قال: قد أصبت عذقه، وأوفيتم جذيله، ولو شئت للفظت وأفضيت ولو قلت لاصدرت وأوردت، ولجلوت الحق في معرض بيان يسمع الصم (1). وهكذا يعرض الشاب فصاحته ويدلل على تفوقه في مناظرة الجماعة في الأدب واللغة، ثم يقول عيسى بن هشام: «قائلته ماتاح، وأعرض عن فراح، فجعلت أنفه واثبته، وأنكره وكأنى أعرفه، ثم دلنتي عليه ثناياه، فقلت: الاسكندري وابه ٢٠.»

(1) مقامات بديع الزمان الهمذاني، شرح محمد عبده، ص ٢٣، الدار المتحدة للنشر بيروت، ١٩٨٣.
في هذه القامة نجد الراوية عيسى بن هشام - وبطله ابا الفتح الأسكندرى يجتمعان دون ان يدرك الراوية حقيقة بطله المتخفي - وكذلك في حكاية فارسي شكرات نجد الراوية - الشاب الايراني المثقف - وبطله رمضان يجتمعان في السجن دون سابق معرفة ، وبينما يشارك بطل القامة في مناظرة شعرية أمام جماعة تضم الراوي ، ينشغل بطل فارسي شكرات بامور اللغة مع سائر نزلاء الزنزانة بما فيهم الراوي ، وأذ يدرك عيسى بن هشام حقيقة بطله المتخفي ، يدرك الايراني المثقف مدى أصحالة » بطله رمضان ولغته الفارسية الخالصة .

* * *
المقدمة الأدبية للحبيب علي جمالزاده

( مقدمة مجموعة يكي بود ويكى نبود ، 1921 )

صار الحديث عن الاستشراع عتيقاً
هات جندي فلنجهد طلاوة
"فرخى"

إن إيران المعاصرة قاصرة عن اللحاق بأغلب شعوب الدنيا في مضمار الأدب، ففى سائر الشعوب طراو العدد من التغييرات على الأدب بمرور الزمن، وقد انعكس شعاع هذه التغيرات على روح طبقات الأمم كلها، فرغب كل إنسان من نساء ورجال وأغنياء وفقراء، من التلاميذ الصغار إلى الشيوخ الكبار في القراءة مقبلين عليها، مما كان باعثاً على السمو بمعنويات أفراد الأمم، أما في إيران فقد عد الخروج عن طريق الأولين هددماً للأدب،

11
وعلى أية حال فإن روح الاستبداد السياسي الإيراني الذي طبقت شهرته الاتفاق قد انعكس على الأدب أيضا، أي أن الكاتب حين يمسك بقلبه يضع نصب عينيه جماعة الأفضل السابقين والأدباء الأولين ولا يعرف أي الفئات إلى سواهم، وحتى أولئك الذين يتلون القراءة والكتابة ويستطعون قراءة الكتابات المبسطة غير المكتفة ويفهمونها حق الفهم وهم كثر لا يكلفون أنفسهم الاطلاع عليها ولا يقربون كل ما يمت «للديمقراطية الأدبية» بصلة.

ولاكذا أن المرء ليأسف لذلك الأمر خاصة في دولة كايران حيث حال الجهل وتعامي بعض الناس دون المضي خطوة إلى الأمام على طريق التقدم، ان أولئك الذين لهم نصيب من العلم والعرفة قد وضعوا أقدامهم على طريق كشف الحقائق وسعوا في سبيل كسب قوتهم الروحية، أما من حق عليهم القول «كالأنعام بل هم أصل» فسيظلون حتى قيام الساعة يتخبطون في جهلهم وذلتهم وظلماتهم حياله لا يهتدون إذا لم يأخذ البعض بايديهم ويرعاهم.

كانت هذه الأفكار باعثًا في أغلب الدول المتحضرَة على انشاء التعليم العام الإجباري، فازاد العلماء والبصرة والفضل لمعامه أن يجوزوا من درجات العلم والعرفة نصية، أما إذا لم يفكر أهل العلم في ذلك متصورين أن العامة سيسعون بأنفسهم إلى ادراك ما للمعرفة من فوائد وينشطون للعلم والتحصيل ولا حاجة إلى
لا يبذل الجهد وما عز من الوقت في هدايتهم فاحدهم  
عالم متي يقضى الله للعامة بادراك ذلك

ولو كان هذا صحيحا لكان كافه الإيرانيين الآن قد  
mحيط أميتهم، ولما كانت نسبة القادرين على القراءة  
والمكتبة واحدا بالاقطان حسبما يجري الظن، بل لكان ثلث  
شعب إيران أو ربعم غير أميين، في حين أن كلا منا نحن  
معشر الإيرانيين يعرف عددا من الآياء وكبار التجار  
وذرى المكانة من بني قومنا ممن لم يكافوا انفسهم مشقة  
بذل شهر واحد من وقتهم في سبيل تعلم القراءة والكتابة  
إلى الآن رغم توفر السبل أمامهم إلى ذلك

ولايزال حملة الأقلاем في بلدنا يستبدلون العامة من  
أذهانهم حين يكتبون، فيدورون حول نفس الأساليب العتيقة  
التي لا يفهمها الناس، في حين أن الكتابة البسطة غير  
المتكلفة والفخمة لدى الناس قد غلبت على كافة الأساليب  
الخري في الدول المتقدمة التي امسكت ب즘هم الرقى في  
يدها، ورغم أن مواطني تلك الدول قد درسوا بالدارس  
ويعرفون القراءة والمكتبة ولا يعجؤهم فهم ما شق من  
الأساليب الا أن الأسلاوب السهل هو المستحسن عندهم،  
ويسعى كتابهم دوما إلى الباس اللغة الدارجة لأهل السوق  
والحارات بما تجريف من تعبيرات واصطلاحات شائعة  
لباسا أماما ويزينونها بالبلاغة على الورق، بل وحاول كبار  
علمائهم أن يدونوا كتاباتهم بلغة ميسرة قدر الامكان، كما
أن كثيرا منهم يقدمون الحقائق في صورة حكايات ليست
فيهم الموضوعات العلمية، ومثالنا على ذلك فلاماريون،
عالم الفلك الفرنسي الشهير ومن أشهر علماء العصر الحاضر وقد أخرج العديد من المسائل الهامة في علوم الهيئة
والفلك والرياضيات في ثوب رواية أو حكاية، وقد ترجمت
هذه الحكايات إلى معظم لغات العالم وحازت القبول
ومعتمد الفائدة، بينما لو أراد أن يوجه كلامه إلى أندلدون
لتوفر عليه الوقت، ولكن صوته ما كان ليصل إلا إلى
عدد محدود من العلماء المهتمين بعلوم الهيئة والنجوم،
wاليوم قد ملا ضرره اسماع الدنيا وأضيفت الفائدة إلى تفسير
ملايين من البشر بمعارفة أسرار الطبيعة وخفاف الخلفية.

إن المرأ إذا ما نظر إلى الأدب الأوروبي المعاصر لظم
لأول رحالة أنه قد أضحى فريسة التدهور والانحطاط لوفرة
الروايات التي تشكل غالبيته، والحقيقة أن رقي الأدب لم
يبلغ ما بلغه اليوم في أوروبا من رقي في أي عهد أو مكان
آخر في الدنيا، ونظرة سطحية إلى حياة أهل أوروبا التي
أصبح الكتاب فيها من ضروريات الحياة مثل كم بكين
والشوكية والجورب والمدلل تقريبا تكفي للتدليل على ذلك
ولاشك أن السبب الرئيسي في ذلك هو يسير الأسلوب الأدبي
في الروايات والحكايات.

بالإضافة إلى الفوائد المذكورة فللرواية فوائد هامة

٦٤
أخيرًا: أولاً هي في الحقيقة مدرسةً أن لا تترك ليهم المتاحب الحوزية في سبيل كسب العيش وقتاً أو فرصة للالتحاق بمدرسة أو اتمام دراستهم أو اكتساب الذكرى اليسير من المعنويات الدائمة التطور ومن لا طاقة لهم ولا مجال لقضاء الليل في قراءة كتب عقلية وفلسفية، بينما الرواية تقدم لنا الكثير من المعلومات القدرورية والمفيدة بلغة عذبة، وأسلوب جاذب ممتع ينعش الروح ويثب الأفراح شيئاً، فتعذينا بالمعارف سواء التاريخية أو العلمية أو الفيلسفي والأخلاقية، كما أنها تعرفي طبقات الأمة ببعضها البعض حيث تجهل كل طبقة أحوال الطبقة الأخرى وإفكارها وحتى أدق جزئيات حياتها اليومية بحكم اختلاف المشاغل والأعمال والصحبة، فأن المدينة مثلاً لا يدركن كيف تحمل العروس إلى دار زوجها في القرية وابن القرية لا يعلم كيف تصل نساء المدينة الذهاب بالليل، وفقراء المدينة لا علم لهم بشئون الموسرين والأعيان بنفس مدينتهم وكذلك الأغنياء بحال إجرائهم وخدمتهم، وفي إيران لا يصل إلى أسماع أهل الدن الكبرى شيء عن أوضاع بعضهم البعض وأخلاقهم وعاداتهم، فالناس في قوتشان مثلاً ربما لا يعلمون كيف يحتفل أهل طيران بعيد الأضحى وما إلى ذلك، فالرواية تعريف فئات الشعب المختلفة وتقربها بعضها إلى بعض فتعرف الحضرى بالقرى، والخادم بالتاجر والكردي بالبلوتشى والقشائى بالكيلاوى والفقيه الصوفي والتصوف بالزرادشتى، والزرادشتى بالبابى والمليص بالرياضى والموظف بالأجل، إنها تقرب بينهم وتزيل وتحمل
ما قد ينشأ بينهم من خلافات متعاصبة نتيجة جهلهم ببعضهم البعض، ولهن يردون التعرف على الحالات الاجتماعية والداخلية والروحية لسائر الشعوب والدول ولا طاقة لهم على الإطلاع على كتب التاريخ التي لا تشير إلا إلى حياة الشعب السياسية والعسكرية وبصورة ناقصة لا تكشف ليس هناك أفضل من قراءة الروايات المتعلقة بتلك الدولة وذلك الشعب، فالشخص الكردي الذي يسكن سفح أحد جبال كردستان يستطيع من خلال الرواية أن يتعرف على الكثير من تفاصيل حياة جزيرة اسمالماند وعادات أهلها وهي واقعة في الجانب الآخر من العالم في وسط المحيط زربما لم تطا أرضها إلى اليوم قدم إيراني، والعكس صحيح.

يمكن القول أن الرواية هي أفضل مرآة تعكس أحوال الشعوب والأقوام الأخلاقية وسجاياهم الخاصة، فللتعرف على الشعب الروسي من بعيد ليس أفضل من قراءة كتب تولستوي ودوسستوفسكي، وللاجنبي الذي يود التعرف على الإيرانيين لا شيء يفوق كتاب هاجي بابا لوريه أو جنتك تركمان وقنبير على كونت غوبينر، ولما كان الإنسان بوجه عام يميل إلى قراءة محتجات الرواية فإنهم من الممكن بيث مختلف ضروب الدعاية "بروبايندا" سياسية وغير سياسية، فلا شك أن الجزائر مثلها لديها عدد من الكتب المهارة الذين تشتهير أعمالهم ورواياتهم نفس شهرة روايات ستكيوتش الهولندي في أوروبا وأمريكا، كل من رواياتهم.

٦٦
هذه كان لها نفس شأن عدة أنواع من جيش ومنشآت من الخطاب البليغة الغراء حيث اجتذبت الاحتراف العالم إلى تلك الدولة وشعبها وكانت سندا له وعونا.

ومن أهم مزايا الرواية والكتابة الروائية هي الميزة المتعلقة بلغة الأمة، فمجرد الكتابة القصصية التي تهدف إلى تدوين قصة أو حكاية سواء على صورة كتاب أو عمل مسرحي أو رسالة وما إلى ذلك يمكن أن تصعّد معجها للألفاظ والتعابير والأمثال والاصطلاحات و المختلف ضروب الكلام واللهجات في زمن ما، بل ويمكن أن تكون وعاء يحفظ لكثافات مختلفة الطرق والفئات في إمة ما، بينما لا تستطيع الكتابات القديمة (الكلاسيكية) والعلمية وغيرها أن تؤدي هذه المهمة، فنادرا ما يمكن لهذه الكتابات أن تدخل الطريق استخدام الألفاظ خارج نطاق الألفاظ والاصطلاحات الخاصة بها، فعلي سبيل المثال نادرا ما يحدث أن يترك شاعرنا فن الغزل والقصيدة وهمها أوسع أشكال الشعر انتشر في إيران وينبهر ليجمع كل الألفاظ والتعابير الخاصة بالنوروز والصيد في قصيدة أو قطعة عن النوروز والصيد أو غير ذلك، وإذا فرض أن فعل ذلك فإنه يضطر إلى تنحية جانب هام من الألفاظ والتعابير المذكورة مما يتعارض مع الوزن الشعري والفصاحة وقد ادت محدودية دائرة الكلمات والتعابير وما إليها بالأجانب الذين يريدون تعلم اللغة الفارسية عن طريق الكتاب والدرس إلى أن يلفظوا لغة بهذه السهولة بطريقة تجعلنا.

٦٧
نحن الإيرانيين نخرج في الضحك، إن سمعناها، فالعثمانيون الذين فرض عليهم تعلم اللغة الفارسية وتعليمهما في مدارسهم كانوا يحفظون عدداً من الألفاظ المرادفة للفظ "الحببى" مثل "دوست" "يار" "دلدار" "جانان" "دلب" "نكار" وغير ذلك، لكنهم لم يكونوا يعلمون أن هذه الحبيبة كانت توقد النار بملقاط أو أن ضربة من كفها على وجه متغزل وقع كانت تسمى "مسقفة". (جاك كشيده)

حدث أن التقى كاتب هذه السطور بواحد من مشاهير أدباء العثمانيين كان يحفظ عدة آلاف من الآيات من دواوين شعراء إيران عن ظهر قلب، ورحم هذا كنا نضطر إلى عرض حديثنا البسيط باللغة الفرنسية. ولما كان ليفهم فارسيتي وقليلاً ما كنت أدرك فارسيته، وسبب ذلك يعرف: عدم توفر كتاب مدون بلغة إيران العاصرة الدارجة يدرس مثناه، وكتابنا بوجه عام يعتبرون كتابة النثر بأعلامهم على الورق تحقيراً للكتائبه وأن ارادوا أن يكتبوا نثرًا فمحال أن يتذدون عن كلستان سعده درجة واحدة.

كتاب باربيه دو مينارد (Barbier de Meynard) المستشرق
الفرنسي الشهير في مقدمة ترجمته لتمثيليات ميرزا فتحعلى آخوندوف بشأن افتقادات الكاتب المكتوب باللغة الفارسية الدارجة في متنساق الطلاب الأوروبيين الراغبين في تعلم الفارسية يقول: "مطلب من أهل الشرق أنفسهم أن يأتونا بنموذج من لغتهم المدرولة، ولكنهم لأسف لا يملكون من
ذلك الكثير، وليس ذلك غريباً على من هم على علم بالقواعد الأدبية بالعالم الإسلامي، فأنا أراه أحد الناس في العالم الإسلامي يكتب مثلاً يتحدث مستخدماً الألفاظ المتبادلة وأبناء الكلام الدارجة وأسلوب الحديث الجارى في كتاب كان ذلك من دواعى التعني وتثبير الذات وتدنيس المقدسات ويرى بخيانة المعاني والبيان وعلى آية حال يصير كلامه يلفظ باطلاً يستوجب الذم واللعنته! 

ومما يدعو إلى الدهشة أن كتاباً وأدباً من أمثال 
حسناً على خان أمير نظام وميرزا أبو القاسم قائمقام وميرزا عبد الوهاب نشاط وغيرهم هم من أتباع اليساطة في كتاباتهم ونأوا بأنفسهم عن تقاليد السابقين قد حظوا بالاستحسان العام في العين الأخير ومكتاباتهم ما أعيد طبعه مرات عدة، ومع ذلك لم ينتبه أدباً إلى هذا بعد ولم ينح خوفهم ورهبتهم.

خلاصة القول إن الكتابة القصصية هي أفضل الكتابات لاستخدام الألفاظ، ومن ثم فإن الألفاظ اللغة وكلماتها حين تحفظ ويتحدث موقع استخدامها تصبح الرواية والقصة أفضل الكلاز ماماً ما انتشرت الألفاظ والكلماتبمرور الزمن لتحمل مخلها الألفاظ وعبيرات جديدة، بل ويكون لها الفضل على المعاجم والقواميس، فالمعجم مهماً دقة شرحه وفصيله إلا أنه لا يورد المواضع المختلفة والمتدفقة لاستخدامات اللفظ والاصطلاح كما ينبغي، في حين أن الرواية تؤدي هذه التبشع حق الأداء، كما أن هنـاك كثرة من الألفاظ.
والتعبيرات والاصطلاحات والالتمارات اللغوية لا ترد أصلاً في المعجم من قبل الألفاظ المتداولة بين "المعلمين" والأوياش وما يشيع في أوساط خاصة من الشعب مما يستحيل أن يجمعه ويضبطه معجم، فعلى سبيل المثال حين يسمح المتحدثون بالفارسية اليوم أو حين يقرأون تعبير "سيد على راببا" ( خلي بالك ) في حضرة شخص ما محل الإيمان، فانهم يدرون على الفور ما يقصده القائل أو الكاتب، ولكن تحت أي لفظ يدرج في المعجم مثل هذا التعبير؟

جمع كاتب هذه السطور في آخر هذا الكتاب ( يكي بود ويكي نبود ) العديد من الألفاظ العامة المتداولة بين الطبقات الدنيا وأهل السوق مما يطلق عليه بالفرنسية اسم "أرجون " وقد نظم عدد من مشاهير شعراء فرنسا أمثال فرانسو دي فييون ( F. de Villon ) وجان ريشبيان ( J. Richepin ) وهو اليوم عضوان في مجمع اللغة الفرنسية اشاعراً ودونواً كتاباً بهذه اللغة، إن هذه الألفاظ يجب أن تحفظ وتضبط بمعمانيها الثابتة والدقيقة مثل الفاظ "الخضوز" المعروفة لكافة المتحدثين بالفارسية، فذلك يؤدي إلى إثراء اللغة فلا تنسي بتقدم الزمن ولا تضعف، وكذلك على الأدباء وذوي الفضل أن يستخدموا صرفة هذه الألفاظ في كتاباتهم حتى تدخل نطاق اللغة الأدبية شيئاً فشئياً، كما يحدث في سائر الدول خاصة وإن كثرة من هذه الألفاظ مثل "بامبول" ( خدعة ) و "دب دواردن"
(يفخف وعده) و (خل) (صمولة) وغيرها هي أصلا بلا مرادفات أي لا وجود لكلمات أخرى تؤدي نفس المعنى الدقيق لها، فالكاتب حين الضرورة ما يضطر إلى التفاضل عن ذكر فكرته أو لا يجد بداً من استخدام هذه الآلفاظ إذا شاء الاصرار على فكرته، وربما يعتقد البعض أنه لا يجب استخدام الآلفاظ والتعبيرات التي كان الأقدمون يحجون عن استخدامها، ولكن اليوم ثبت علمياً أن الأفكار والمشاعر والأذواق تخضع ككل شيء في الدنيا لسنى التطور، وما كانت الآلفاظ والكلمات تظهر إلى الوجود بعد ظهور المعاني والأشياء فلا بد أن تظهر إلى الوجود الآلفاظ وتغييرات جديدة كل يوم مع ظهور أفكار ومشاعر وأشياء جديدة، ومعروف أن الأحماس عن استعمال هذه الكلمات يوقع الكاتب في مشاكل ومصاعب، وبديهى انه في هذه الحالة لا الفكرة تنضج نضجًا طبيعياً ولا العبارة تخيل من التصنيع والتقليد، والحقيقة أن الأعراض عن الجديد من التلفظ والقناعة بالقديم منه لا يستحدث من أفكار ومعاني هي في حكم من يد أن يلبس رداء طفل رضيع لفتى يافع قوي، يقول فيكتور هوغو الشاعر الفرنسي الشهير في هذا الصدد:

٧١
بالقرن التاسع عشر لا يمكن أن تظل هي فرنسسية القرن الثامن عشر، أو فرنسسية القرن السابع عشر، فلغة (F. Rabelais مونتين(1) تختلف عن لغة رابولي(2) ولغة باسكال(3) غير لغة مونتين، وليست لغة مونتسيكيو(4) كلغة باسكال، ومع ذلك فإن كل من هذه الفروضيات الأربعة غاية في السمو في حد ذاتها، انطلاق منها سمتها الميزة، لكل عبد مجموعة من الأفكار والمعاني الخاصة ولا بد من وجود الكلمات والألفاظ التي تدل عليها، ان اللغة كالبحر في دواوين بركتها وتطورها، وفي كل حين تبعد عن شواطئ عالم فكرى لتطوي شاطئا آخر تحت أمواجها، وكل ما يتخلط عن الأمام يجف تدريجيًا ويدثر، بنفس هذه الطريقة يطرى الإنسان الأفكار والألفاظ فتنمحى، فاللغة مثلها مثل أي شيء في الدنيا، في كل قرن من الزمان تقترب أهلها من اللسان الأفكار، إذا كنت مبدعاً، وتأتي إلى تجميد جسد اللغة المتحرك في قلب محدد، ان هذا هو دين اتباع يوصي(5) في الأدب الذين يحكمون على شمس اللغة بالتوقيع والجمود، فاللغة كالشمس لا توقف لها ولا جمرد ولا تتوقف الا حين ينتهي أجيالا وتموث(6).

إن أبناء وطننا ممن يبدون وجهة نظرهم في النقاط السابقة الذكر يظنون بصورة عامة أن اصلاح الأدب الفارسي منطوق بتشكيل جمعية أو لجنة من الأدباء وذوي الفضل من العلماء ياتمون لمناقشة مايلزم وينفيون ایران من
إصلاحات في عالم الأدب، وإلى نوع من الألفاظ والتعبيرات يستطيع كل كاتب أن يتخيل ويأتي لا ينبغي استعماله، فيكون للكئة المذكورة من سيطرة على أدب الدولة ما لمجلس الشورى القومي من سلطة تشريعية، ويرى كاتب هذه السطور أن هذا الرأي مبتهج السعادة المذكورين قد سمعوا بتأسيس لجنة في فرنسا باسم «اكاديمي» ترعى شؤون الأدب، وتصوروا أن رقى الأدب في تلك الدولة يعود الفضل فيه إلى تلك اللجنة، ومن ثم فقد رأوا أن وجود لجنة مثلها أمر ضروري لإيران أيضاً، ونحن لا ننكر فضائل مثل هذه اللجنة، ولكن ينبغي أن نعلم أن مهمة الـ «اكاديمي فرانسيس» لا تتعدي وضع المعجم اللغوي الفرنسي، ولا اختيار لها غير ذلك، وإن كانت تؤدي للأدب الفرنسي من خدمة فهي عن طريق التشجيع والتشجيع لا أكثر، كما أن هناك العديد من الدول المتقدمة الكبرى لديها آداب راقية بينما ليست لديها لجنة أدبية مثل الـ «اكاديمي فرانسيس»، وقد تنبه إلى هذه النقطة السيد محمد علي خان ذكاء الملك فروغى، وفي خطابه بتاريخ 1332 هـ (رجب من عام 1955، إhörية) في مناسبة تخريج الدفعة الثالثة والعشرين بالمدرسة الأمريكية بتيهران قال فيما يتعلق بالأدب الفارسي:

وهناك كذلك من الأفكار الغربية التي تراود بعض الأخوة ما يختص بضرورة إنشاء لجان علمية وادبية أو أكاديميات بغرض تطوير اللغة الفارسية.
تكون مهمته وضسع الألفاظ واشتاقت التراكيب الجديدة، فظروا أن الأكاديميات والجمعيات العلمية والأدبية في الدول الأجنبية تقوم بذلك غافلين عن أن وضع الألفاظ واشتاقت التراكيب ليس من شأن اللجان بل أن أهل العلم والفضل يخرون حين الضرورة اصطلاحات ضمن كتاباتهم وحسب قدراتهم ومواهبهم، ولم كانوا يخرون تلك الاصطلاحات حسب قواعد منظمة فإنها بالطبع تحوز القبول وتنتشر، وإذا كانت اللجان العلمية والأدبية تعمل في طريق تطوير العلم والأدب ففي مجاليات أخرى مهمتها في الغالب هي تشجيع أهل الكلمال وترغيبهم وتسهيل مهامهم.

(صحيفة "عصر جديد" العدد ٢٥ عام ١٣٢٢، ٢)

إذا إذا قسنا تطور آداب الأمم الأخرى ورقيها واردننا أن نرى أي سبيل أتتبعه تلك الأمم للرقى بآدابها بغض توجيه إيران إلى نفس سبيل من السهل أن نلاحظ أن أفضل سبيل للارتقاء بالآدب الإیراني المعاصر هو أن إبنا الذين يجدون شبابهم الأدب كل عام أو كل عدة أعوام من خلال معرضة قصيدة أو غزلية شهيرة لأحد الشعراء الأقدمين أو الأحدث بمناسبة عيد أو حفل أو ما إلى ذلك يؤسسون ميدان صولات اقلامهم ويكتشمون مختلف الأفرع الأدب من شعر ونشر وخاصة النثر القصصي الذي أصبح اليوم مراتآ آداب أغلب الأمم وبمؤلفاتهم وكتاباتهم.
هم يتفادون روحاً جديدة في جسد أدبنا المتبلد ويبدين سوئه الكاسدة روحاً وراثة جديدة بدرر بيانهم وفكرهم السامي، وإذا ما أوالى أهل العلم والبصيرة اهتمهم للكتابة تجد الكلمات والإصطلاحات الجديدة طريقها إلى اللغة تدريجياً من خلال أذواقهم السلمية وحسهم الوضاء مع مراعاة القواعد والضرورة وبحيث لا تنتفؤ مع روح اللغة، كما أن اللغة تصقل وتتهذب ضماً، وكما تجري الرياضة الجسمانية دماً وقوة جديدين في عروق الإنسان تجري الرواية في عروق الأدب دماً جديداً وشيئاً فشيئاً يتائه أدبنا ويزدهر ويصبح مدعاة فخر كل إيراني كما كان أدب الأقدمين.

لكل ما ذكرناه وتتشجيع عدد من الأصدقاء النابهين وخاصة حضرة العالمة الكاتب الفاضل الشهير آقا ميرزا محمد خان قرويني الذي أدين له بدوام العصران على نصائحه الأدبية فقد نرى كاتب هذه السطور أن يطبع عددًا من الحكايات والقصص التي كنت قد دوتنها على مر الأيام لمجرد التسلية، عنى أن يكون صوتي الضعيف كصياح ديك السحر يوقف القافلة الغافلة وأن يكون بداية خير فينبه الأدباء والعلماء في بلدنا إلى ضرورات العصر.

75
فلا يدعون بلائئ فكرهم كالشمس خافية وراء غيوم واهنة أو كالحمر الثمين تحجب أصداف عقيمة ، وإنه ليحلمى الأمل أن تحوز هذه الحكايات الهادئة بكل ما بها من اضطراب وتهداف قبول أصحاب الذوق وإن تفتح طريقا جديدا أمام صوانت القلم المقدر في أيدي كتابتنا الحقيقيين ولا أمل لي سوى أن أحوز هذا الجزء عوضا عن باذلت من نصب

سيد محمد علي جمالزاده

برلين ، غرة ذي القعدة 1367
الفيلسوف الفرنسي الشهير (1639 هـ) م. مونتيجن (1)

الكاتب الفرنسي القديم الشهير ف. رابيلاي (2)

عالم الرياضيات والفيلسوف الفرنسي ب. باسکال (3)

الكاتب الفرنسي الشهير ش. مونتاسكيو (4)

ومؤلف كتاب "رسائل إيرانية" وكتاب "روح القوانين" ف. موسى (5) يوش (5) يوشع قاد العبريين بعد موسي واستولى على أرض كنعان، ويذكر التوراة أنه فاء زعم النار في بيت المقدس أمر الشمس بالتوقف حين جن الليل ولم يحقق النصر بعد.

(6) نقل عن المقدمة الشهيرة التي كتبها فيكتور هوغو لكتاب "كربسول" وقد أصبحت دستور الإنسان التجديدين لرومانسية ().

77
نتائج من القصة القصيرة
في إيران من 1921 إلى 1979

- الفارسي سكر:
  (فارسي شکرست ، 1921) محمد علي جمالزاده

- لسان حلال حمار حين الموت:
  (زبان حال يک اغ دروقت مرک ، 1964) صادق هدایت

- بائع الجاز:
  (نفتی ، 1945) صادق جویک

- الحفل السعيد:
  (چشبن فرخنده ، 1971) جلال آل أحمد

- التدريس في ربيع هيج:

78
(تدریس دربباری دل انکيز، 1962) بهرام صادقی

سارقة البيض:
(تخم مرغ زرد، 1963) فریدون تنکابنی

الفراشات في الليل:
(بروانه هادرشب، 1965) غلامحسین نظری

البرج التاريخ:
(برج تاريخی، 1969) خسرو شاهانی

دفن الموت:
(مرده کشی) خسرو شاهانی

القيد:
(زنجریه، 1969) بهرام صادقی

عصف بنفسج من أجل عدد:
(یک، بنفسجه برای عدد، 1974) نسیم خاکسار

الخوف:
(هراس، 1977) جمال هیر صادقی

ملیكة روحی:
برزک بانوی روح من، 1979) کلی ترقی.
الفارسي سكر

محمد علي جمالزاده

لا مكان في الدنيا يبطش فيه بالخبيث والطيب معا دون تميز مثل ايران، بعد خمس سنوات من الغربه وتجرع الألم، لم تكد عيناي تقعان على أوراق ايران الظاهر من فوق سطح السفينة حتى بلغت مسامعي أصوات حمالي (ميناء) انزلائي بلهجتهم الكيلانية ينادون: اطلع ياحبيبى، اطلع ! »، كالنمل يحيط بجرادة ميتة أحاطوا بالسفينة يلقون للاءهم على المسافرين فوقعت ذقن كل مسافر في قبضة حفنة من المراكبية وأصحاب القوارب والحمالين، ولكن من بين كل المسافرين كان آمرى أشد عسرا، إذ كان الآخرون عامة من التجار ذوي اللبادة الطويلة والطاقية القصيرة من أهالي باكر ورشت ممن لا يفتحون حافظة نقودهم وليس بقوة عصى والهراوات، ويسلمون أرواحهم لعزرائيل ولا يرى أحد لون نقودهم، أما أنا التمس البتيم.
الأم فلم أجد فرصة لكي أخلع عن رأسى القبعة الإفرينية فظلت على رأسى من أوربا وحتى هنا ، ظن الآخرون أياهم اتنى "ابن ناس" و "لقمة طرية" ، فأخاطروا بيبيعون "ياخواجة ، ياخواجة" فصارت كل قطعة من عفشي من نصيب عشرة رؤوس من الحمالين وخمسة عشيرة من المراكبة الطالمين وبالشجار ، وعلا الصيام والصبر والمعراك دون سبب واضح ، كنت قد وقفت حائرا مذهولا وفي دوار : باللعبة أخلص رقبتي من قبضة هؤلاء الغيرين وبأي حيلة أفلت من حصارهم ، في هذه الأثناء اشتكى الصحف عن اثنين من موظفي الجيوارات المتكررين العباسيين وبرفقهما عدد من السعاء ، يرتدون ثيابا حمراء وعلى رؤوسهم طرابيش عليها رمز الاسد والشمس وجوههم عابسة مكفرة وشواربهم كثة تصل إلى عوارضهم وتهتز مع تمسك البحر كانوا ييارق الجوع ، هبطوا جميعا علينا كأنهم القضاء ، وبمجرد أن وقعت عيونهم على جواز سفرى أصابتهم الصاعقة وكأنهم تلقوا نداء اعتيال الشاه أو بلغهم أمر عزرايل الطاع ، حركوا شفاههم وأفواهم وهزوا رؤوسهم وأذانهم ثم نظروا إلى وقاسوا قديم وقامتى من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى عدة مرات كانهم - كما يقول أطفال تهران - "يفصلون لى عباءة" ، وفي النهاية قال أحدهم ، "كيف هل أنت إيراني ؟" قالت ماهية الله ، سؤال غريب ، اذن من اين تريدني أن اكون ، طبعا أنا إيراني ، وسابع أجدادى كان

( م 6 - القصة القصيرة )
 أيضًا إيرانياً، في حين ستكمل باكمله أشهرين من نار على علم ولن تجد أحدًا لا يعرف "محسوبك"!

ولكن "المعلم خير" لم يدخل رأسه هذا الكلام وصار واضحًا أن السائدة ليست مسألة قرش أو مائة جنيه، فأصدر أوامرها إلى السعة بأن يتحفظوا فورًا على "السيد الخواجة" حتى يتم عمل التحقيقات اللازمة، واحد من هؤلاء السعادة يبرز من ثنياً عمامتها ذات الخطوط غصن من الخشب كانت قبضة سيف، مد يده وقبض على مرفقى. وقال "امس أمامي"، فقدرت الوقوف وسكت خوفًا.

في البداية أردت أن أصرخ واقيع ضجة إلا أنى رأيت أن الجو غير مناسب وأن الصلاح في المعقول، ما ألقى الله بآيات كافر في قبضة جيش السعة! لله أن تصور ما فعله بنا هؤلاء - سامح الله أبناءهم. في الحال، الشيطان الوحيدان اللذان استطعت أن أخرج بهما سليمين من أيديهم، قبعت الأفونجية وأيماني، كان واضحًا أن أحدٌ لا يمكن بحالة إليه وماً عدا ذلك لم يبقوا على جيب أو ابط أو ثقب الا واخضعوه في حضرة عين، وحين رأوا أنهم أدوا واجبهما الحكومي خير قيام اللقوا بي في زنزانة مظلمة، وراء جمرك ساحل انزل إلى أول ليلة بالقبر بالمقارنة بها. نهاراً مثيراً، نسج فوج من العبارة على بابها وجدرانها ستاراً، أغلقوا الباب وراءهم ومضموا وأسلموني! 82
في الطريق حين كنت آتيًا بالقارب من السفينة إلى المساحل كنت قد قمت من حديث الناس والمراقبة أن اشتباكا قد وقع مرة أخرى في تهران بين الشاه والجيش النيابي وبدأ النزاع من جديد، وصدت قرار خاص من العاصمة باحكام الرقابة على تردد المسافرين وأصبح واضحًا أن كل هذه الضجيج ترجع لهذا السبب، خاصة وأن مامورا غير عادي كان قد وصل صباح اليوم من رشت لهذه الغرض فأخذ يبسط بالخبيث والطيب دون تميز لمجرد أظهار اللياقة والخبرة والقدرة على العمل، فاطلق كالكباب السعور على أرواح الأبرياء، وضمن بطشه أحد ينامض الحاكم المسكي إذ كان يطلع في حكومة أنزل لنفسه، ومنذ صبح ذلك اليوم لم يترك لخط تلغراف انزلة - تهران دقيقة واحدة للراحة من طول أظهاره لقيامه بواجبه.

في أول الأمر ظللت فترة لا ترى عينيًا شيئًا يبلغ بئضيق مبلغًا، ولكن حين تعودت عينيًا شيئًا فشيئًا على ظلام هذه الزنزانة أتضح أن ثمة ضيوفًا آخرين برفقتي، وقعت عينيًا أول ما وقعت على أحد هؤلاء المتفرجين اياهم ممن سيظلون في إيران حتى قيام الساعة نموذجا ومثالا للدلال واللغو والجهل ويقينا سيظل سلوكهم وآفعالهم مائة سنة أخرى تجعل مسارح إيران ( كيف الله الشر ) تنقى امعاءها من الضحك.
أخونا المتفرج كانت ياقة قميصة في ارتفاع ماسورة السماور(1) ودخان ديزل القوزاق يكاد يكون في لونها، كان جالسا على حافة النافذة، وتحت ضغط هذه الياقة المشدودة على عنقه كالأصفاد كان مستغرقا في قراءة رواية في هذه الظلمة.

أدرت أن أتقدم نحوه وأمسك عليه «بون جور موسى»، وأظهر للأخ أنا أيضاً «فاهمين اللعبة» إلا أن صوت صغير بلغ مسامعي من ركن من أركان الحجز فالتقت ناحيته، وفي ذلك الوقت لفت نظرى شيء ظنه فالأول وهلة قطة بيضاء برقة تكؤت نائمة على جوال من تراب الفحم، ولكن لا، اتضح أنه شيخ احتضن ركيته على عادة الكتاب وجلس القرفصاء وقد لف عباءته حول نفسه حتى أنني وكأنه كانت القطة البيضاء البراقة هي عمامةه المائلة وقد أجلت رباط ذيلها فاتخذ شكل ذيل قطة وكان هذا الصغير صوت تسبيحة.

ثم أتضح أن الضيوف ثلاثة، فأخذت هذا الرقم على محمل القال الحسنود وأدرت أن افتح الكلام مع الزلماء لعلنا نواسى بعضنا البعض ونبث عن وسيلة، فإذا بباب الحجز يفتح على مصراعيه ويلقي منه بشاب تعس على

(1) سماور: وراء في وسطه ماسورة طويلة للنار يتم فيه على الماء لصنع الشاي.

84
رأسه طاقية لباد ويبقاه صيام وضحيج إلى داخل الحجز. ثم يغلق الباب، اتضح أن الأمور الذي جاء خصيصًا من رشت قد ألقى إلى السجن هذا الطفل البريء بغرض إرهاب أهالي أنزلي وجرمه أنه قبل سنوات وفي بدايات اضطرابات الدستورية والاستبداد كان يعمل خادما لدى شخص من القرقاز، عندما وجد "الأخ" الجديد أن البكاء والعويل والأذين لا تشفي ألما مسح عينيه بطرف عباءته القذرة، وحين أدرك أنه أحد من الحراس وراء الباب أطلق على آباء الجميع وأجادهم سيلًا من السباب الفاحشة التي لا تجد مثلها إلا في إيران كالبطل يكيرك وطيال الحكاي، ثم وجه عدها من الركلات بقدمه الحافية إلى الباب والجدار، وعندما رأى مدى قدرة الحجز وانه أقدر من قلب الأمور بcję على الأرض بصفة تسليما ولقى نظرة على رعانية الحجز فأدرك أنه ليس وحده، أما أنا فقد كنت خواجة ولم يكن له شأن معي، ولم تستسنع عيناه المتفنجة أيضا، فسأر حسنيا نحو "سيدنا الشيخ" وبعد أن نظر إليه في دهشة لبعض الوقت قال وصوته يتردد: "يا سيدنا الشيخ، استحلفك بالله وبحضرة الشاه عباس، ما جريمتى؟ باش الواحد يقتل نفسه ويستريح من ظلم الناس!".

حين سمع سيدنا الشيخ هذه الكلمات تحركت عمامة كأنها سحابه بطيئة فبدت من ثناياها عينان القيا نظرة وأينة على ذي الطاقة اللباد، ومن منفذ الصوت الذي كان

85
يفترض أنه يقع أسفل هاتين العينين والذي لم يكن ظاهراً بلغت مسامع الحاضرين الكلمات الثالثة هادئة وفي غاية القوة والوضوح: "يامؤمن! لا تسلم عنان نفسك العاصية القاسرة لسورة الغضب، فالكاظمين الغيظ والعافين عن الناس 00000.

ذهل الصبي ذو الطاقة اللدود لدى سماعه هذا الكلام ولم يفهم من كلام حضرة الشيخ سوى كلمة "كاظمين" فقال: "لا يافندم، اسم خادمك ليس كاظم، بل اسمي رمضان، كل قصدي هو ليتنى أفهم بآي تهمة تدفن أحياء في هذا المكان".

مرة أخرى وبنفس القوة والوضوح صدرت هذه الكلمات من ذلك الركن المقدس: "جزاك الله يامؤمن، لقد أدرك العبد الفقير مقصودك، الصبر مفتاح الفرج، ارجو أن ينجلى سبب الحبس عما قريب، وبل أدنى شك وبائي نحو كان وسواء عاجلا أو آجلا سيلغ أسماعنا، واللى ذلك الحين، وفي وقت الانتظار فان أفضل الأمور وانفعها هو ذكر الخالق، فهو على كل حال نعم الاشتغال".

لم تدخل رأس رمضان المسكن يتيم الأم كلمة من فارسية حضرة الشيخ، فكان يبدو أنه ظن أن الشيخ يتحدث مع الجن والعفاريت أو أنه منهمك في ثلاوة الأوراد والتعازم، فبدت أثار الخوف والهلع على وجوهته فهمس

86
بالبسمة واخذ يتراجع شيئًا فشيئًا، إلا أن جناب الشيخ قد انطلق لسانه المبارك ويبدي أن يوجه حديثه إلى شخص محدد ركز نظره على أعلى الجدار وهام في أفكاره وقال بنفس وضوحه المعهود: «ربما تم القبض علينا لصلحه أو أصلاً عن غير قصد، ولأن ذلك يعدون الأمل الواثق عند رفع البلاء عما قريب، وعليهم قد ظننا أن العبد القدير لا قيمة له فعند الرؤى للتهلكة والدمار التدريجي دونها رعاية للمقامات والمراقب، وبناء على هذا ينبغي علينا أن نطلب الخروج من الجهات العليا بآية نحو كان بواسطة الغير أو بدون واسطة كتابية أو شفاهة علنا أو في الخفاء، ويلاقى ومصداقاً لقول «من جد وجد» سيمحقق المرام ونبلغ المراد وستثبت براءتنا ما بين الآمال والأفكار كالشمس في وضح النهار».

استولى الذهول على رمضان السكين فألجال بصره في زمنه الحاجز ثم نظر كمن أغرى عليه إلى الشيخ نظرات مذعورة واخذ يستعيد من الشيطان همـًا وقرأ ما يشبه آية الكرسي واخذ يتفنخ حوله، كان واضحاً ان أفكاره قد تشتدت وساعدة حكمة الظلام على ذلك فالتلفت مفاصله من الهول انفطر قلبى أشفاقاً عليه، أما جناب الشيخ فلم يتوقف عن الكلام وكان لسانه قد لا نأ كricks يقول المشايخ أنفسهم قد أصابه «سلس القول» فشمـر عن ساعدي حتى المفقين وكانا في كثافة الشـعر عليهما يشبهان كناكم اللهسوء - أمل خروف، وقد تهض
على ركبتيه وطرح عمامته إلى الخلف وبدون أن يرفع عينيه
عن قمة ذلك الجدار المسكن كان يوجه حديثه إلى الأمور
غيباً باشارات غريبة وصيحات زاجرة، وكم يريد أن
يكتب إليه التماساً أخذ في سرد القاب وصفات مثل «العلفة
مضغة» و«فاقد الصفة» و«شارب الخمر» و«تارك
الصلاة» و«ملعون والد الولد» و«ولدالزنا» وغيره
وغيره مما لم يبق من كثرته شيء في ذاكرتي وما يكشف
لإباحة النفس والمال وتحريم النساء على بيت كل مسلم،
وظل فترة يحدث بكل أطمئنان ووقي وحيرة وحيرة عن
اللامبالاة تجاه أهل العلم وخدم الشريعة المطرحة، وما
يلاقونه من «اهانة وإذلال في كل ساعة» وألقى عليهم
عاقبة السوء في الدنيا والآخرة،،،،، وشيئًا فشيئًا أخذ
حديثه الواعظ يشتد غموضًا وتداخلاً حتى بلغ درجة
يستحب معها على رمضان أو جد رمضان أن يستوعب
منها كلمة واحدة، حتى أن لا أفهم من كل ما قاله الشيخ
شيئًا رغم أنى كنت اتقن بالإشارة العربية وقضية من عمرى
الغالى بنين عدة أضرب زيداً في عمرو ووقي باسم الدرس
استذكر من الصباح حتى المساء مختلف أسماء مصدر
الضرب والشجار وسائر الأعمال الذمية والصحيج
والسلام والاجتهاد، ووعد مختلى العقول ووعيديهم في هذا
الصد岳 وذلك وافقًا رحبًا من شبابي في ليت ولعل ولا
ونعم وحروف الجر ودرس العلوم والجهول،

في أثناء هذه الفترة كان السيد المتفنّج جالسًا في

88
مكانه على حافة النافذة منهما بكل حواسه في قراءة روايته المسلية، دون أن يولي ادنى اهتمام إلى ما حوله كان أحيانا يحرك شفتيه وي قضم بأسانهه طرفًا من شاربه، المشرى على جانبى قمه كدليل عقرب وياخذ في مضغه، وفي أحيان أخرى يخرج ساعته وينظر فيها وكان يريد أن يرى أن كان موعد القهوه واللبان قد كان أم لا.

اما رمضان التفسح الذين فاض قلبه وكان في حاجة للمواساة أذ لم ير من الشيخ خيرا فقد رأى النجاها في فرد واحد فحمل قلبه على كفه واقترب من المتفرقين كطفل جائع يلمس الطعام لدى غير أمه، فالقي السلام وقال بصوت مرتعد: «يا سيدي، قال لي باشا! فامثالى من ذوي الياقات القدرة لا يفهمون، وقد وضح أن حضرة الشيخ من الجن والمهرفين أصلا لا يفهم لغثنا، أنه عرفي، فهل لك باشا أن تقول لي بأي ذنب ألقى بنا في سجن الموت هذا؟

لدى سماعه لهذه الكلمات قفز المتفرقين من فوق النافذة فطوى كتابه ودسه في جيب فضفاض بمعطفه ثم اتجه بأسما إلى رمضان ومد يده إليه بالسلام قائلاً «أخي، اخي، لم يدرك رمضان الأمر فترجع قليلاً، فاضطر جناب الخان إلى أن يسحب يده تلقائيا إلى شاربه، ولمجرد عدم الحرج أخرج يده الأخرى إلى الميدان ثم وضعهما معا على صدره وصاحبه الإبهام في ثقيته كم الصديق، وصاحب ثمانية الأخرى اخذ يضرب على صدره المنشئ، وقال...
بلهجة عذبة « يا صديقي وابن بلدي العزيز : لماذا تم وضعنا
هنا ؟ قضيت ساعات طويلة احفر رأسى الا أنى لم أفهم
شيئا ، أقسمك من ، لا تجيئي ولا تغتافيف ! ليس شيئًا
كيميك ان يلقي القبض على باعتبارى كريمين من أجل
وانت الشاب الحاصل على دبلوم ومن احسن فاميل وإعبل
كالآخرين ؟ ولكن لا عجب فهذه شمار آلاف السنين من
الديسبوسيم وانعدام القدر واببرير ان الدولة التي
تفحى مملا وتسمى نفسها كنفسيا سيبول ينبغي ان يكون
بها تربيعان قانوني حتى لا يؤخذ اي من أفكار الرعية
بظلم ، اخي في التعاسة ! الا تنتقد معي في الرأي ؟

انيا للمسكين رمضان ان يدرك مثل هذه الأفكار العالية
أو أن يفهم الالتفاظ الاورنجية ، كيف يفهم مثلا أن « كلما
حفرت راسى » هي ترجمة حرفيه لتعبير فرنسي يعني
» امعان الفكر » و نظيره في الفارسية هو « كلما فتلت
نفسى » أو ، كلما ضربت راسى في الجدار . أو ان
» رعية بظلم » هي أيضا ترجمة حرفيه لاصطلاح فرنسي
معناه و قرع الظلم من الطرف الآخر » ، عندما سمع
 رمضان للفظي « رعية » و « ظلم » تخيل عقله المحدود ان
المترجم يتصور أنه مزارع(2) وقع عليه ظلم من مالك
الارض فقال : لا يسديدي ، خادمك ليس مزارعا ، اذا صبي
قهوجي في الجمرك القريب » .

(2) فقط رعية في الفارسية بالإضافة إلى معناه العام
ريعه » فهو يعني أيضا مزارع أجير » ( المترجم ) .

90
مز جناب السيد أحد كتبته واحد يدق بأصابعه الثمانية على صدره، وبدأ يمشي وهو يصفر وهام في خياله دون اهتمام برمضان، وقال: "رفولسيون بدون أفولسيون تعد شيئاً لا يتصوره العقل نحن الشباب تعلي عليها تبعه ارشاد الشعب، وقد كتبنا أريكي طويلا عن هذا السروجية، اثبت فيه بصورة واضحة أنه لا ينبغي للفرد أن يتواصل على الآخرين بل على كل فرد أن يدوي واجبه تجاو وطنه في حدود 100 في حدود البوسبيليتيه، هذا هو طريق التقدم: ولأن فنان الديكادانس يتحدثنا، ولكن لسواء الحظ كلامنا لا يؤثر في الناس، يقول لإمارتيتي بحق في هذا الصدد 1000 وبدأ حضرة الفيلسوف في تلاوة قدر من الشعر الفرنسي كنت بالمصادفة قد سمعته من قبل وهكنت أعلم أنه للشاعر الفرنسي فيكتور هوجو ولا شان له بلإمارتيتي.

ذهل رمضان لدى سماعه لهذا الكلام العميق العجيب، فجرى مذعورا إلى ركن من الزنزانة وأخذ يبكي، وسرعان ما تجمع الحراس وراء الباب وصلى صلوات فوظ قبيح من وراء الباب كان صوت الشيخ حسن شمر أقرب بالمقارنة به إلى أذى الأذاناء قائلاً: "يا ابن 100، ماذا ينكل حتى تصريح هكذا هل يسحبونك من 100 ك، ما هذا الضجيج؟ ان لم تقل عن هذا التمثيل (كهن اليهود) و"شغيل الغمر" جاءوا اليك وخطموا فكك 200!" اخذ رمضان يتوسل ويضرع بصوت ذليل باس ويقول: "إيها
السلمون ما جريمتى؟ إن كنت لصا اليوم، أدى أقطعوها،
وأن كنت مجزرا فلأجلوني، أو اخلعوا أظافرئ، أو
أسحقوا أذني فوق بواباً، أو اقتلعوا عيني، أو اخلعوا
جذاتي وضعوا العصي بين أصابعي، أو صبووا على شمعا
مذاباً، ولكن ذولوا رضا الله ورسوله وخلصويني من هذا
الكهف، ومن قبضة هؤلاء المجانين والعفاريت! اقسم بالأمام
وبالرسول، عقلى يكد يطير من رأسى، وضعتموني في
قبر بشحرة ثلاثة أخذنني عبدرس من ينظر إلى وجهه
وحت عليه الكفارة انتحى جانبي كالمكولة ويريد أن يأكلني
بعيني، والآخران لا يفهم المرء كلمة من كلمهما، فكلاهما
من الجان، ولا أدرى ربما عن لهما أن يخنقاني، من
سيلبي نداء الله؟» لم يعد رمضان التعب يستطاع الكلام
فقد سد الحقد حلقه فأخذ ينشج بالبكاء، وعاد الصوت
المنشر من وراء الباب يصعد إلى قلب رمضان الحزين
سلسلة من السباب الموجعة، انفطر قليبي من ألمه، فتقدمت
ووضعت يدي على كتفه وقلت:

يا ابنى، كيف أكون أفرح؟ اقسم بقدر أبي مهما
تعرفني فانا إيراني وأخوك في الدين، هم تخاف؟ ماذا
حدث? ما زالت شاباً، لم كل هذه الحيرة؟ 9000

عندما رأى رمضان أني أفهم الفارسية بحق وأحدثه
« بالبلدي » أمسك بدي وأخذ يقبلها وسر سروراً بالغا
كانه قد ملك الدنيا وردت يقول: « لا فض فوك، والله اتك
ملأك، أرسلك الله نجدة لي، فقلت: « أهدا، ابنى، أنا

92
لست متأكداً على الاطلاق، بل يساورني الشك في أدميتي أيضاً، يجب أن تتفاتثل، لم البكاء؟ لو علم أقرانك لسخرها متك وحينئذ سيلحق بك العار، فقال: "آجاك الله من هؤلاء المجادين وانود كأموت هالعا، أرايت كيف لا يفهمان كلمة من كلمتنا ويتخذان لغات العفاريت؟ قلت: "يا أخى، هذان ليسا من العفاريت ولا من المجانين، بل هما إيرانيان وافظانا في الوطن والدين".

حين سمع رمضان هذا الحديث بدأ وكأنه ظن أنى مثلهما، فنظر إلى وأنفض في الضحك وقال: "استحلفلك بالشاه عباس ياسبئي أألا تسخر منى؟ لو كانا إيرانيين أذن ماذا يتكلمان هذه اللغات التي لا تشبه أيّة كلمة منها لغة بشر؟"

قلت: "بأرامضان - أان اللغات التي يتحدثون بها هي أيضاً فارسية ولكن الفرق 200" ولكن كان واضحًا أن رمضان لم يصدق وأشهد الله أنه كان على حق وما كان ليصدق ولو بعد ألف سنة، وقد رأيت أنا أيضاً أن تعبي يذهب هباء فأرذت أن أتحدث في موضوع آخر، فإذا بباب الحجز يفتح فجأة على مصراعيه ويدخل أحد السمعاء، ويقول: "هيا، اعطونى "الحلاقة" واذهبوا في إمان الله، أطلق سراحكم جميعاً 100".

عندما سمع رمضان هذا الخبر بدلاً من أن يفرح التصق بي وأمسك بطرف ثوبى وآخذ يقول: "اقسم لك 106"
أنا أعلم أن هؤلاء يقولون ذلك كلمة أرادوا أن يسلموا سجيناً ليد الجلاد، اللهم احفظنا، إلا أنه ثبت أن خوف رمضان وارتداده بلا مبرر. تبدأ مأمور فترة الصباح وجاء بدلاً منه مأمور جديد آخر سخيف معجف يستعرض قوته في حكومة رشتي. وبعد وصوله إلى أزلي ولمجرد أن ينقض مأمور العصر ما غزله مأمور الصباح فقد كان أول قراراته إطلاق سراحنا حمدنا الله واردننا أن نخرج من باب الحجز فرأينا شاباً تدلى لهجته وسيماه وملامحه أنه من أهالي خوي وسلماس، كان الحراس في طريقهم لايداعه الحجز، وكان الشاب أيضاً يتحدث نوعاً من اللغة الفارسية أدركنا فيما بعد أنها مستوردة من أسطنبول، فكان يبدى استرخاء الناس ويرجوعهم أن يصغوا اليه، نظر إليه رمضان وقال في دهشة بالغة: «بسم الله الرحمن الرحيم، هاك شخص آخر منهم، يارب لا تلقى الينا اليوم إلا بكل مخبول مجنون، حمداً للك على مامنعت ومامنعت»، اردت أن أقول له أن هذا أيضاً إيراني ويتحدث الفارسية لكنه خشيت أن يظن أنني أخدعه فنكر قليبه. قلما أبد له شيئًا ومضيننا للبحث عن عربة تقفنا إلى رشتي وبعد دقائق أحذى حضرة الشيخ والسيدة المتفرج فاشتركنا في استئجار عربة، وحين بدنا في التحرك رأيت 94
رمضان آتيا يجري فأعطاني مدنيلا به ياميش وهمس في أذني قائلًا: "افغري لي جراذتي ولكن أقسم لك أنى اعتقد أن جنونهم قد أثر عليك والا ما جرت على السفر برفقتهم"، قلت: "يارمضان، أنا ليست جبالا مثلك"، قال: "كان الله في عونك، كلما ملئت الصمت كل من ياميش وتنكر خادمك".

ارتفع سوط سائق العربة وتحركنا، ولا أطيب عليكم من الوقت سعيدا، خاصة حين رأيت في الطريق دامورا، جديدة في طريقه إلى أنزل، فاتنجرت في الضحك.

* * *

٩٥
لسان حال حمار حين الموت (1)

صدق هدايت

آه ! آلام جسمى مسيبى بالرعشة ، هذا جزاء جهودى
التيبذلها في سبيل كائن ظالم لا يعرف المروءة . اليوم
آخر أيامى ، وهذا هو عزائى الوحيد ! بعد حياة مفعمة
بالمكر والمشقة وحمال الأحمال التي تضيع بها الظهور ،
وضرارة العصى والجنازير وسباب المارة ، ولكن لايزال
ثمة متسع للحمد بأنى سأودع هذه الحياة المهيبة ، هنا
شارع شمیران ، اليوم بسبب اهمال صاحبي كسرت سيارة
قدمي وأصابني ما أصابني ، بعد ضرب وسباب سحبوا
جسدي إلى جانب الطريق ، وتركوني لحالي ، ربما نسوا
أنه لايزال من الممكن أن يستفيدوا من حوافرى وجلدى ！
لعلهم يأسوا تماما .

(1) نشرت بمجلة وفا ، 1303 ، ش / 1924 .
هل سيحضرون غذائي في موعده ؟ لا ١٠٠ على أن أموت
في قمة الحزن والجوع إذ لم تعد ترجى أي فائدة من
آه ! آلام جروحى تشتد ، ولايزال الدم يسيل منها ،
أى كائن هذا الذي سلط علينا وجعل حياتنا عارا وقذارة
والآلام ومحن ، وجرح أحاسيسنا الطبيعية التي لا تصنع
فيها ، وأعمال الجراح في أجسادنا وأحوال حياتنا كلها مرارة
في مرار ؟ هو يشبهنا في ظاهره شابا تآما وفي النهاية
يموت مثلنا ، من هذه الناحية فلا فرق يذكر بيننا ، ولكن
كأن بهدنه قد من حجر أو خشب ، فهو يلبنا بسوطه
ويظن أننا لا نحس ، ولو كان هو نفسه يحس بالألم
لرحمنا ٠

هذه الأدوات التي تستخدمها في تعذيبنا ليست طبيعية
بل من صنعها هو ، هناك جمعيات أنشئت منذ زمن في أوروبا
وب أمريكا باسم "الإنسانية " بهدف رعاية حقوق الحيوان ،
فوضعت قوانين خاصة للدفاع ورفع الظلم والعنادل ،
هل يعد هؤلاء أيضا ضمن نفس الكائنات ؟! بما أن كانت
تلك الجماعية تنتمي لنفس هذه الحيوانات أنفس قتلهما ليس
من حجر ٠

ان علماء العلوم الطبيعية لا يرون فرقا كبيرا بيننا
وبناؤهم ، ويصفون أنفسهم بأنهم على رأس فصيلة الحيوانات
الثديية ، لكن ثمة فلسوف معروف - ديكارت - يؤكد أن
٩٧
(م ٧ - القصة القصيرة)
الحيوان آلة متحركة ليس إلا، بمعنى أنه كلما تقدم علم الميكانيكا أصبحت صناعة الحيوان ممكنة! وتعقيباً على هذا الفكر الملتوى قام ضد هذه الفلاسفة الآخرين الذين انتصروا لنا ومن بينهم شوبنهاور الذي قال: «أساس الأخلاق الرحمة، لا بالنسبة لبني النوع فقط بل أيضاً بالنسبة لكل الحيوانات» وقام بشرح أحاديثاً وذكائها إلى حد ما في كتابه عن الأخلاق، ويقول آخر: «من تسأل الأمة أن يرين أطفالهن يكسرون رقية طائر أو يجرحون كلباً أو قطًا أثناء اللعب، هؤلاء هم جذور الفساد ولب القسوة والظلم والخيانة»، والحقيقة أن هذا الظلم الذي وقع ويعق علينا هو في معظمه نتيجة لتربية الأمهات الظالمة للأطفال.

للاسف لا نستطيع أن نتكلم وهذة سمة تهييء لنا أسباب التعاسة، أرسطو فقط هو الذي تتبع حقيقة حياتنا إذ يقول: «الإنسان حيوان ناطق»، بهذا النطق وحده ابتلينا بجذور من الكائنات المغروسة، لم يقل الناس بهؤلاء الفلاسفة؟ بفعلي أن أفكار الإنسان تقوم أساسا على المنفعة الشخصية، والعمال والصانعون على وجه الخصوص يتبعون فلسفة ديكارت اتباعاً تاماً ويفترضون أننا جسد بلا روح.

الرفق بالحيوان هو أصلاً فكرة نشأت في الشرق، كما أن الأنبياء جميعاً وبدلاً من فلسفهم قد حرموا ظلم الحيوان.

98
ويتفق في هذا العلماء والفلاسفة والكتاب الأخلاقيون وحتى الشعراء، فيقول فلسوف فردوسي مثلاً:

لا تكون نسيلة حملت حبيبة
فان لها روحما وما أعيب الموح

ولكن نظرا لعدم وجود قانون لمنع قسوة البشر والحدود من جشعهم الشديد فقد راح هذا الكلام إدراج الريح، لو كسرت قدماء في الخارج لخلصوني من هذا الألم العقيم أو قتلوني، آه من الألم... ويلي من الجوع، ما ضرهم لو كنت حراً طليقاً في المرايع حيث الناء والهواء أحياناً بينني جنسي، وأتفق حتى يحين الأجل؟ أياً الآن فينيبغي على أن أنفق منهكاً جائعاً في أسرى، يالها من نهاية مفجعة لحيوان آخر وقع في يد جنس يمشى على قدمين، لابد أن نكتوى بناره، آه، لقد فقد صبرى... الإنسان قاتل المظلومين، لماذا لا يستخدم الضواري لخدمته في الأسر؟ هذا ذنبي الحيوانات الضعيفة التي لا تؤذى

اظلمت الدنيا في عيني، ضعف يدتي شيئاً فشيئاً من ألم الجوع، وقع أقدام آتية لعل مساحية قد رق قلبي لشفائي، فأحضر لي «تعييني» من العليق؟ لا، هذا طفل، الألقى على حجراً وابتدأ

لينتي أموت بسرعة، فأطالب بثمار على اعتاب العد
السرمدي من هذا الجنس الظالم

* * *

99
بائع الجاز (٢)

صاق جوبل

باطئما خان وثقة ربطت عذرا. عقدة الحجاب وبه قطعة من فوطة دم الحيض بالضريح، امسكت بأ산ها طرف عباءتها القطنية المرزكشة، رفعت رأسها وركزت عينيها العينافين على الحنادق المتبلية من سقف الضريح، وهمست بقلب ملؤه الخوف والأمل: «سيدى، يا ابن الأمام موسى بن جعفر! أبلغني مرادي! لاتخليني أكثر من ذلك إمام القريب والغريب، أفعل شيئًا يا سيدى لأعرف لنفسي بداية ونهاية، فاقيم بيتا يعيش بالحياة.» ١٠٠٠ اجعل من نصيبي زوجا يحملي من دار أبى.» يحملني إلى حيث يشاء، لا أريد منك غير هذا، زوج لا أكثر، هل هذا كثير على قدرك الآلهية؟ هل أطلب الكثير؟ كيف تعطي لابنة عزيز خان وهي «السائبة» التي تتزاحم القذارة على

(٣) من مجموعة خيمه. شب بارى، تهران، ظهر، ١٩٤٥، ١٠٠٠.
رأسها زوجا بهذا الحسنن ؟! ياسدي، أتريد بنفسك،
نذر على أن بلغت مرادي أن أبجي كيما سمنا،
فيما عدا عذرا كان بالمكان قاريء كيف يجلس بالرواق
يدخن "الجوزة" ويردد من حين لآخر آية قرآنية يحفظها.
وكان صوته الميت الدوي يمتد في فضاء الضريح.

كانت عذرا تقف ملتصقة بالضريح الخشبي المبنى اللون
وقد تدلت على جوانبه آلاف الأحجبة اللونية الأخرى،
تهدرج أنتفاسها وتجمعوا دومها حول ماقبها، استقر
بقلبها أمل أليم وذلة يكسوها خجل، فتحت عينيها
واسبلتتهما عدة مرات، ثم مالت بجببها على الضريح
ناظره في حيرة إلى القناديل ومساند الكتب الموضوعة على
الضريح.

كان الضريح يكتسي بكسوة صوفية خضراء أكلتها
العثة وغطها التراب، كانت القناديل ومساند الكتب تبرز
امام عينيها، وكانت الأشياء التي تعلو الضريح تغلفها
ظاهرة، كان الضريح ضخما وشامخا، مما در على أنه
يضمن جثمان رجل طويل القامة - هكذا تخيلت عذرا، تأملت
البر في دمها ودار بخلها: "روحى فداوك، يا الص
قواعد رشيد ! "، ولكن لما كانت قد طالت منه رجلا يتوزعها
فقد استحت واحمر وجهها.

نهضت من مكانها في سرعة وخففة، قبلت الضريح

101
عدة قبلًا متصلة رنانة ملوها الشهوة والحسرة، وبدون أن ترفع يديها عن الججر طالت بالضريح مرتين ثم عادت ووقت حيث كانت، جذبت في رفق عقدة حجابها وهزته برقة، وحين رأت حجابا غليظا من قماش الستاني رمادي اللون يتدلى فوق حجابها احتجاهًا ضيق، فذجبلت عقدة الحجاب الستاني الرمادي اللون وهزته عدة مرات، وكالبستاني الذي يستتعطف على الفور أن يميز الوردة الأصلية في زحمته من الورود ميزت ذلك الحجاب، وأظهرته على غيره من الأحجبة، لكنها انتهت فجأة ودار بخيالها أنه ربما كان لرجل عقده لجلب الحظ، فقالت لنفسها:

"ربما عقده رجل يبحث زوجة، من يدرى بنصيبه؟!
فلأعيده الآن كما كان لعله يتردد من وقت لآخر.

نظرت في ثورة شهوانية إلى الحجاب الستاني الرمادي اللون الرجولي الخشن، وقد انعقد إلى جوار حجابها المزركش، فغاص قلبيها لرؤيته، احست بحبه بهيج لهذا الحجاب، بدا لها كمظهر لرجل قوى يشتته، ففعت قلبيها

شجعت من سلوكها الفظ تجاهه، بدأ الحجاب الرمادي اللون في ظلتها في صورة رجل قدما إلى يدها إليه تريد ضمه إلى صدرها، اعتصر قلبيها، نظرت خلفها حولها ثم مالت بشفقتها على الحجاب الستاني الرمادي اللون وقبلته بشوق.

عمر

١٠٢
بانت عيناه مسبقتين، أخذت تشم في ليفة الرائحة العطنة لقطعه القماش الستانية البيضاء بينما تكتمل كساء الضريج بين أصابعها المبللة بالعرق، تبدي أمام ناظريها رجل ذو ملامح مبهرة يرتدي ثياباً رمادية اللون، كانت صورته تغر من عيني قلبي، فتحت عيني برفع ووضعت الحجاب الرمادي فوق حجابها الذي يضم فوطة الحيض، كما كانا من قبلي، ثم هرونت خارجة من الحرم.

في هذا الدنيا الوردية المفتوحة المزدحمة كانت عذرا تخشي الوحدة، كانت تفكر في الناس جميعاً، بينما لم يكن أحد يعرف ان لها وجوداً في الدنيا وإنها قد ملت الوحدة وتريد زوجاً، كان شقيقة أطفال من الرجال يريدون زوجة، لو علموا بقلب عذرا المسكنة، ربما فعلوا من أجلها المستحيل، ولكن، أتيني لاحقاً أن يعرف، كم من نساء ورجال ينامون الليل يحورهم أمل الوصول، لا يعرف أحدهم بحال الآخر، آه، لو نقلت هذه الوسائد الأغطية، أذن لخاف الناس بعضهم بعضاً.

كانت عذرا ت قضى ساعات حياتها منتظرة، كان دائماً في انتظار شخص يطرق باب الحارة يخطبها، يمسك بيدها وياخذها معه، كان انتظارها يجدد كل صباح حين تستيقظ من نومها، لكن لم يكن أمامها سوى بائع الجاز يتردد على دارها لسنوات يبيع بضاعته، كان هو نفس الرجل الذي يأتي كل يوم يثيابه المشبعة بالزيت والتي يتلقاها كرزة.

١٠٣
وشامتها الغليظة على جفنه، كان يدخـل البيت، يتناول الوعاء من يد عذرا، يملأه حتى نصـفه ويعده لهـا ويضـي ـ.

واحيانا كانت في أثناء انشغالها بالبيت يسمح إلى سمعها صوت طرقات على الباب، وكانت حين تسرع إلى الباب لتفتحه فلا تجد أحدا، حيث كانت توقيع أن الأوهام تلعب برأسها، كانت تختلق آلاف الأزواجه يخطبونها، وكانت تعجب بهم جميعا حتى من كان منهم على شاكلا بائع الجاز، وعلى جفنه شامة غليظة.

كانت كل حياة عذرا شيئاً آخر، كان انكريات هذه الرحلة ارتبطت عذب بحياتها، تعرفت فيها على أول يد خشنة رجولية في حياتها، امسكت بها من تحت أبطها - قرب صدرها - إيا ساسائق الأتروبيس - ليسـاءها على الركوب، لم ترغب ذكرى تلك الليلة عن ذاكرتها أبداً، كانت تسترجع تفاصيلها دائما وتلتذب بها لـذة شهوانية مجنونة.

كان الليل مظلمًا دافئًا حين نزلت عند كشك نصرت، نزل كل الركاب، ونزلت عذرا أيضاً، ثمة رائحة رطبة عفنة تتب من ثانية البحيرة، بدت النجوم وكأنها قتلت القمر ودفنته، كانت تومض في سماء حالفة السواد، كان صبي السائق يضخ البنزين، وكان السائق واقفا عند سلم ـ

104
الاتوبيس يساعد النساء على الركوب، إذ كان سلم الاتوبيس عالياً، وحين قبض بيديه القويتين الخليطتين تحت أعلى ذراعها - قريب ثدييها - أفعمت أنفها برائحة البنزين النفاذة، فأحسست لذة لم تحسها من قبل أبداً، تصارعت نبضات قلبها وحارت فيما تفعل.

ألم بها دوار وخدر إلى أن دخلت الاتوبيس واتخذت مقعداً، كانت كم رأت مناماً لذاذ لا يكتمل، طاردت بقاياها في لفحة ونشوة، تقلصت عضلات رقبتها عدة مرات من أجل أن تبتلع عابها، إلا أن فهما وحلقتها كان قد اعتراها الجفاف، ودون أن تدري كان ذراعها الأيمن لإزال قابضاً على جنبها، كانت تحاول أن تحول دون فرار اللذة التي بلغتها، خطرتها رائحة البنزين.

هدت عنقها إلى الأمام عدة مرات إلا أنها لم تر شيئًا، ولكن بدا لها السائق في الظلام رجلاً غليظ العنق يرتدي ثياباً سنتانية رمادية اللون، خطرتها رائحة النفاذة والتي كانت لاتزال عالقة بأنفها ممتزجة برائحة البنزين واليد الخليطية.

ظلت بعد ذلك زمناً تعتصر بيدها اليمنى فوق جنبها في نومها، وفي يقظتها فتلتذ، كانت رائحة الستان الرمادي النفاذة وعيب البنزين الحاد تبلغ أنفها فتلتذ.

مضى بعض الوقت وعئذاً جالسة في حديقة الفناء

١٠٥
تحت شجرة الربان تنظر إلى زهورها الحمراء وتعود إلى التفكير في زوج لها، علا صوت بائع الجاز من وراء الباب.

٢٠٩

ينادي: «بائع الجاز، الجاز»، نهضت عزرا من مكانها مسرعا، وفجأة توقفت، وضعت يدها على جذع شجرة الرمان القصير الموج، وتوزع قلبها بين الذهاب إليه والاحجام، وأخذت تفكر بينها وبين نفسها:

«ليس هناك أسوأ مما هو كائن (لا لون أشده قتامة من السودا)، ليكن ما يكون، ربما يريد زوجة ليست جريمة، أم الخجل؟، ربما كان مثل يبغي القرين».

بلغت الباب ومدت الوعاء الخالى إلى بائع الجاز. هذه المرة أبرزت يديها النضرتين من تحت عباءتها القطنية المزركشة أكثر مما استعادت وأظهرت أساورها الزجاجية ليديها بائع الجاز، تناول بائع الجاز الوعاء من يدها بحنانها المعهودة، وأخذ يصب الجاز مرة أخرى تخترق رائحة البنزين اتفز عذراً فتسرع دقات قلبها.

«يا عم يا بائع الجاز، ألا تبيع البنزين؟»

«وفيتم تزيدين البنزين؟ حذار ياست أن تصبي البنزين مرة أخرى في المصباح فينفجر! »

«أنا أعرف أنه ينفجرا ولكن أريده لأغراض أخرى».

١٠٦
لاي غرض مثلاً؟

للسيارة ١٠٠، حقاً، ليست لك زوجة؟

ثالث

ولأطفال؟

أنا عقيم

حوالك أربع مهن، ربما تزق فيما بعد بطفل،

مايدريك ١٠٠ لا ينبغي للإنسان ان يموت دون ذريه

لا ياسيدتي، يكفيتي ما أنا فيه، ومن له القدرة على

ذلك؟ ماذا فعلنا نحن لأبائنا ليفعله أولادنا لنا؟!

كانت عذراً لاتزال واقعة بالباب، تنظر حائرة إلى
 قطرات الجاز التي سقطت على الأرض، بائع البصل توقف
 بحماره أمامها وسأل بصوت يتم عن ضيق: «سيدتي،
 عندنا بصل خزين، الا تريدين؟ ١٠٠ بصل جيد، بصل
 اصفهاني».

من بعيد، كان صوت بائع الجاز يطرق مسامعها:

"بائع الجاز! جاز".

** **

١٠٧
الحفل السعيد

جلال آل أحمد

حين عدت من المدرسة في الظهيرة كان أبي يتوضاً على حافة البركة، كانت تحيتي على أسانى حين بدأت الأوارم:

" تعالى صب الميه ، واجري هات لي الفوطة من فوق السطوح "

كانت هذه عادته ، بمجرد أن تقع عيناه على أحدنا سواء أنا أو أبي أو أختي الصغرى - كان يبدأ في أصدار الأوارم، هدده يدي في البركة فغاصت الأسماك إلى القاع، وقال أبي:

" ايه يا جحس ، اتلكع شوية "

عدوت صوب سلم السطح ، كان يجب السماك حبا شديداً ، الأسماك البيضاء والحمراء في البركة ، عندما كان يتوضأ لم تكن الأسماك تتحرك من مكانها ، ولكن لا

١٠٨
أدرى لم كانت تئنوا إلى القاع بمجرد أن أدنو من البركة، كانت تخفض رؤوسها وتهز ذيلها في سرعة ثم تبُّط إلى القاع، على السلم وجهت إليها سبة أو سبتين ثم صعدت إلى السطح، كانت الشمس في كل مكان، اما عن الصهد، فحدث ولا حرج، كان جارنا يطعم الحمام، جذبت القوط من على الحبل ووقفت أشواه الحمام، فهو على أية حال لا يخفى مني، ألقى النحية على جارنا الذي كان قد زوج ابنته مؤخراً وكان يعيش وحيداً بالبيت، كانت لاحقًا في الحمامات حلقة تحيط بكاحلها، كانت جميلة في طريقة مشيها وفي هديلها، قلت:

"عم أصغر، حوالين رجل الحمامة دى عامل كد
ليه؟".

قال: "ده مفيش حد عنده زي، تعرف 9 امبارح قصصته ريشه".

قلت: "قصصته ريشه؟!
أيوه، واحد قل ذوقه معئي فخيمته في حدايتين من بتوعه".

كان أبي قد حظر التحدث إلى هذا الجار "الهيف يتاع الحمام"، ولكن هل كان من الممكن طاعة أبي في كل أواهده ونواهده؟ حديث مرتين أو ثلاث مرات إن سقط حجر من يد عم أصغر في فنانينا فعلا صوت أبي، وذات

109
مرة أيضاً ولسوء الطالع كان والدي يتوضأ في البركة فرمي عم أصغر حجراً وراء الحمام فإذا به يسقط في بركتنا فذعر السماك، وكان يوماً ملوئاً الصياح والوعيد، فوجه أبي رغم وقاره وهميته إلى عم أصغر من السماك، ما جعل شعرى يقف هولاً، أما عم أصغر فلم ينسى بكلمة، ومنذ ذلك اليوم ظل عم أصغر باعجابي، فكتبت إلى الله السلام كنما سنحت الفرصة وأساله عن الحمام رغم أواخر أبي المشددة ونواهيه، وكنت أقول:

"هنا يعنى اسمه الحداثة!!

حين سمعت صياح أبي: "يا جاحش! أنت فين؟"!

لطفلك اللهم، ماجئت إلا لفوقت أبي، هل رأيت هباتي السلم. كنت أتعثر، وعندما مددت له يدي بالفوعة، وانا ارتدت مذعورا سقطت قطرة ماء من يده على يدي وإصابتي الهلع، كان يلقيت صفقعة منه تماماً، فاستدرت ومشيت، دق باب الحارة:

"أجرى شوف مين، لو كان الحاج حسين قل ناه.

جاي".

كلما كان أبي يبتدأ عن المسجد كانوا يأتون وراءه، ففتحت الباب، كان ساعي البريد، سلمني ورقاً ومضي، لا كلمة ولا شيء، كان اصلاً يسيء معاملتنا، لم يكن أبي يعطيه بتشيشا ولا عيدية، ولذلك أعوج معنا، وكنت

110
منذدشا ، لم أكن كان يحضر أوراق أبي ورسائله ، وحتى لا تراوده تلك الأفكار فقد قررت بيني وبين نفسي أن أذكر تومانها من مصروفى وأعطيه له وأقول أنه من عم الحاج ، أي من أبي ، كان كل أجل الحديث ينادونه بلقب « عم الحاج ».

« مين ياجحش ؟ 

أتى صوت أبي من داخل غرفته ، دخلت الردهة مادا له يدى بالرسالة قائلا : 

البوسطيى ».

افتتحه وأقرأه ، أما نشرى المدرس دى علمتكم حاجة واللا لأ «

كان أبي جالسا على سطح الفرن يمشط لحيته حين فتحت الرسالة ، كانت أربعة سطور مطبوعة ، سررت سرورا لا مزيد عليه ، إذ لو كانت بخط اليد وخاصة بخط الوقفة لسقط في يدى وحده ، ولكنيت تقريعة أبي قد بدأت ، ومع ذلك كان اسم أبي فقط هو المكتوب بخط اليد وسط السطور المطبوعة ، وتحته اسماء أحد شيوخ الحارات بحينا ، وقد أصبح مؤخرا افندى ، وحتى عام مضى كان على صلة وثيقة بابي ،

« أقرأ باه ، ساكت ليه ياولد ؟ 

111 »
ورقات: « بمناسبة ذكرى السابع عشر من ديسمبر السعيد وتحرير المرأة يقام حفل بمنزل ٢٠٠٠، 
فجذب أبى الورقة من يدى وسمعته يقول: 
ورينى ياجخش ».
وذهبت، الذهاب من أمامه أفضل حين تتوفر أعماله.
ففي البناء سمعته يقول بتنغم: 
« الزنديق ابن الكلب! الملحد ابن الملعون! »
كنت معتادا على لفظ « زنديق » منه، كان يقول لعم أصغر جارنا « يازنديق » أيضا، ولكن ماعنيه « ملحد »؟ لم أكن قد عرفته معناها بعد، ماذا كان مكتوبا بالورقة أصلا، من النظره التي أقيتها عليها أدرك ان الأمر في مجمله بطاقة دعوة، أذكر أن اسم والدى الذي كتب في وسط الورقة بخط اليد كان مختصرًا للغاية، فلم يرد بها ذكر الاسم « آية الله » و « حجة الإسلام » وما إلى ذلك من ألقاب تعودت رؤيتها في كل رسالته، اسمه ولقبه لا يعرف، وكتبت بعد اسمه كلمة « السيدة » التي لم أفهم معناها، طبعا كنت أعرف ماعنيه كلمة « سيدة »، فقد كنت على أية حال في الصف السادس، وفي العام الماضي كنت أحصل على درجات عالية، ولكن، لماذا بعد اسم أبي؟ لم أكن قد رأيت شيئا حتى ذلك الوقت.
ما ان مررت بجوار البركة حتى ذعرت الامامها.
بتأواها المستديرة وقد برزت من الماء إلى النصف وأخذت تلوك في هدوء، ثم أدرك أن غليلًا لم يشف، فنثرت حفنة ماء عليها وجعلت نحو المطبخ، كانت أمي تقلل الباءنجان، كان المطبخ معبأ بالدخان وقد احمرت عيناً أمي، كعهدٍ بها حين تعود من مجالس الروضة(4).

«سلام عليكم، عندينا غدا ايه؟

آديك شايف ياماما، عليكم السلام، برك مشى؟

لا لسه ٠٠٠»

كان الباءنجان المقلٍّ قد رص على الطبق مقطعًا، أنصرافًا ونشر بجواره البصل الحمر، ووضعت في فمي عدّا من قطع البصل الحمر وقلت وأنا أكلها:

«أنا جعان،

روح أنت وأختك افردوا الطبلية، أنا طالعة حالا»

وضعت قطعتين أو ثلاث أخرى من البصل الحمر ذابت في فمي قبل أن أخرج من المطبخ، كانت في مثلسّة مكان أمي بجوار ركن الفرن وقد أخذت تصنع من بقايا الجوارب الممزقة ببقجة أمي نسيئة، قصيرة بديعة ودقيقة، قلت:

(4) الروضة: احتفالات التعزية عند الشيعة وتنلى فيها

الروضة بكاء على آل البيت.

١١٣
(٨- القصة القصيرة)
يا بران الكلب، مدلاة أوى وطالعة فيها؟!
وركلت أدوات لعبها بقدمي، فصاحت:
"ياربي! آدي عباس المظلول جه تاني، يابذرة الكلب!".

لم أقو على ضربها، كنت جائعا وكان البذنجان أحمر ورديا، وله غايبتي أمى لاعتصار قلبي، لذلك لم أبق أمامها وذهبت منشغلاً بأدوات لعبها، نجيت كتبى جانباً وتناولت ألواح الطوابع ونظرت إليه خشية أن تكون اختي قد عبثت به، كنت قد مثلت طوابع العراق وسوريا، ولكن ماذا أفعل؟ لم تكن تأتي إلى أبي سؤال الا من هاتين الدولتين، من بين هذه المجموعة كليها كنت لا أحب إلا أحد طوابع العراق عليه برج ملتو كالشعابان حداد عند قبرته، وقد وقف أمامه فارس في حجم نبابة، كنت أتمنى أن يكون مكان ذلك الفارس، أو حتى بجواره.

"عباس!"

صباح أبى مرة أخرى، ياربي، ماشأته معى؟ كانت صيحة من صيحاته التي كان يطلقها حين يريد أن يضربني، فهرولت.

"تعال ياجش، روح الجامع وقول الحاج تعبان شوية، وبعدين تجري على بيت عمه قل له سيبي الليل في إيه، ويبجي حالا".

114
ماتسبيب الواد يتسمم له لقمة 000

"كان هذه أمي ، لم أفهم متي خرجت من المطبخ ، ولكنني كنت أعلم ان الخناقة على وشك ان تحدث ويتسمم غداً نا.

ياوليه ياقيبة ! برضه يدخل في شئوني؟ يعني آخذك من ا يدك دلوقتي راسك ومؤخرتك عريينين وأوديكي الحفلة ؟!".

كان وجه أبي قد احمر لدرجة اني خفعت كم رايت من عصبيته ، على و على أمي أو مرديه أو على جار الحي ، الا أنني لم أره على هذه الحال أبدا ، حتى يوم ان قال لعم اصغر جارنا كل ما خرج من فمه ، هاجت أمي وناجلت ولم تدر ماذا تقول وانا أساو منها حالا ، انفتخت أوداج أبي وغدت أغلظ من الحبال ، لم يكن ثمة معنى للبقاء بالبيت ، بينما كنت أضع قدمى في حداثى انت أمي وفى يدها لقمة كبيرة وقالت :

"خذ وروح جرى للمنحوس "

كان نصف اللقمة لايزال بيدى حين طرخت خارجا من باب البيت ، كان الصهد حاميا ، ولم يكن للشمس وجود ، ألقيت بقية اللقمة الى أورتين في الحارة ، وحين وصلت الى المسجد كنت قد مسحت فمي أيضا ... 000

115
كانت الأجذبة الميلحة منتشرة عند الدوام، وكانت صنف صلاة الجماعة أشد اعوجاجاً وفوضوية من صفوف أطفال المدرسة، وكان مرديو أبي يتحدثون مثني وثلاثاً ويزيدون الأذكار، لم تكن ثمة حاجة للكلام، بمجرد أن رأوني نحضر فرادى وتهياوا للصلاة، كانت عادتهم إن يدركوا حين تقع على عيونهم ان الحاج لن يأتي.

عوشت باتجاه السوق، مررت بالکبابجی فتتبع قلبي، كان دخان الكباب يعبء الأكوان، ألقيت نظرة على شعلة النار، والى أسياء الكباب التي كان الحاج على يقلبها والي الرواء المترع بقطع الجرجر، ودوائر البصل فوق المنضدة، ومضيت، لم تكن محلات الشهوة تثير شهيتي أبداً، بأيوبها الخلفية المغلقة، وكان داخلي تؤتي الفوائش لتناول الشواء، كان السمط صامتاً، يصفر وأوعيته فارغة، فهذا أوان البليلة على أية حال، فكان دوام السمط يروج في أوقات الصباح، الصباح البارد الضبابي، كانت ثمة شاة صحيحة مسليخة وقد تكررت في آذان ضخم ورقبتها تشبيه جذع الشجرة، وعلى دقة بالناحية الأخرى آذان آخر مليء بحبوب القمح وضع فوق مهراس كبير، كبير جداً، لا فائدة، كان على أن أسرع الخطى وأخبر عمى واللا فلا غداء.

عند طرف السوية طباخ يتجول وضع حلة حساء بين رجليه واخذ يغرف والزبائن يرشون، كان معظمهم من
الفعلة بطواقمهم اللبادية تحت أبطهم، وفي قلب سوق
الإسكافية أقشع بدني من رائحة الجلد فاسرعت وانغضن
إلى داخل السويعية، هنا لم يعد هناك حسهد، التهبت
اذنأى تحت قدمي ثمة بساط من نشارة الخشب الناعمة،
وفي الأركان وعلى الجوانب من الألواح الخشبية مايهوى
قلبك، وكم كانت رائحتها زكية، كنت أتمنى أن أمتلك ثلاثة
من هذه الألواح فاجعل غرفتي ذات الألواح، أدق وأحد
للكتب، وآخر للأشياء الصغيرة وثالثاً أعلقه أعلى منهما
وأخصصة للكرزابث التي لا أود ليد أختى أن تصل اليها
هاده دكان عمى، ولكن ما من أحد به، وعند باب الدكان
تردبت برحة ودرت حول نفسى فذاا بسببه قد أتى لا أدرى
من أين، كان يعرفني، قال أن عمى كان يتناول غداءه
بالمخزن، فاتجهت نحو المخزن، كان المنقل أمامه وقد جلس
على أريكة الجلدية وعباءته على كتفه وأخذ يأكل اللحم
بالياميش والأرز، ألقى السلام وعرضت قضتي، وبينما
كان هو يلوك طعامه كنت أنا أقص عليه قصة الرسالة التي
كانت قد أتت والحديث الذي دار بين أمي وأبي، قال:
"عجب،عجب" مرتين أو ثلاث وأجاسني ونظر إلى ملعقة
من اللحم على كسرة خز فابتلعتها ونهضنا، خلص عمى
عباءته من فوق كتفه وطرواها تحت النبطة وطوى طاقيته في
جيبه، وخرجنا من باب الدكان، كنت أعلم السبب في ذلك،
في العام الماضى وفي نفس هذه السويعية أمسك شرطى
بخناق عمى لأنه لم يكن يضع الباريه على رأسه، ولم

117
يتركه حتى تمرقت عباءته، لا أنسى أبداً انتقاع لون بشرة
عمى ذلك اليوم حيث صار بلون الجمجمة الأبيض وقد أخذ
يتحدث عن الكرامة ويششـفع بعه ورسوله، إلا أن ذلك
الشرطي أدخل يده في عروة كم العباءة وجدب فانشق الكم
في يده فرماه ومضى، وفي ذلك اليوم أيضاً وتعاماً مثلما
حدث اليوم لا أدرك ماذا حدث فاضليني أبي إلى عمى
وكنا في طريقنا إلى البيت فحدث ذلك الحادث.

في الطريق سألت عمى ما إذا كان أبي قد جدد جواز
سفره، ولم أكن آتائم، كلما كان أبي يريد القيام برحلة
إلى قم أو قزوقين كنا نقيم هذه المراسم، كان يعطيني
جواز السفر فأحمله إلى عمى الذي يأخذته بدوره إلى إدارة
الجوازات ويوذب المطلوب، لذلك سأل عمى ما إذا كان
مدير الإدارة قد أتى إلى دارنا اليوم، قلت لا، كنت أعرف
مدير الإدارة، حين كنت أذهب إلى المدرسة في أوقات
الصباح القريب به مرة أو أخرى بدارنا، كانه كان أحد
مريدي أبي، كان كلما أتى لم يكن ينتظر بالباب كان يفتح
الباب ويقول "باساتير" ويتوجه مرة واحدة إلى غرفة أبي.

وعندما وصلنا إلى البيت ذهب عمى إلى أبي ولم
انتظر ، هربت في الطبلة التي لم تتترك أمي سوى ركن
منها لي، كان يبدو من قطع البانجان الباقية أنها لم تأكل
شيئا، كانت تفعل ذلك كلما احتممت في جدال مع أبي ،
تناولت غداً في عجة ومضيت، حين مررت أمام باب

118
غرفة أبى سمعت صياحه عاليًا، وكانت لا أزال أسمع نفس الألغاظة "الزندق، المحد"، لابد أنه يسب نفس الرجل الذي أرسل إليه برسمة، كم كنت أود أن أتجه إلى السطح فأشاهد حمام عم أصغر ولو لمرة واحدة، إلا أن الجو كان غائما ولا بث أن الحمام قد ذهب إلى مكان ما وقد تأخرت على المدرسة، لم أكن قد تأخرت كثيراً، إلا أن موقف كان يلتمس على أن أسرع بالذهاب، نعم، مرة أخرى نفس قضية السؤال القصير أه، على أي حال لم أكن استطيع الذهاب إلى المدرسة، سأل سيد الحي! ماذا يقول الناس؟ وإذا رأني أبى؟ وبصرف النظر عن كل هذا لم أكن أنا نفسى أحب ذلك، مثل هؤلاء الأطفال المدللين الذين يمشون صوفا، والصفارات تتدلى من أعناقهم "والسؤال والكتاب"، نعم، لم يعد أحد يعجب بهذا السمك، لهذا فقد طردني الناظر من المدرسة، "يمتقصر بنطلونك ياتوهج عالكتاب"، كان ذلك في بداية السنة تماماً، أي في أواخر شهر سبتمبر، وفي ذلك الوقت خطرت لأمي فكرة، خاطت كبسولة في أرجل السؤال من الداخل، وخطأت عروستها أيضا في أرقي السؤال ومن الداخل أيضاً، وأعلنت أن أرفع السؤال من الداخل وأوضوع حال وصولى إلى باب المدرسة، ثم أحله عند الخروج وأذهب إلى أسفل، وقد كان صحيح أن سراوري كان يتكرر ولا استطيع أن أجري، ولكن 000، وفي ذلك اليوم أيضا وفي رهان مع حسن، التخين، 0
في حمام مسباحة المدرسة وصل الماء إلى أرجـ
سراويل نحثته وسخر مني الأطفال، ولكن على آية حال
تخلصت من مضايقات الناظر، ولذا كنت أحاول جاهداً
an أصل إلى المدرسة قبل الجميع وأغادرها بعد الجميع،
وحين كان جرس المرواح يدق كنت أتعمد التأخر في دوره
المياه حتى يمضى الجميع فلا يرى أحد آي حيلة أحتال
بها سراويلي، ورغم أن الأطفال كانوا يدركون ولا يتدخلون
الأطفال أقل فأخذوا على هذه السبب "عم الشيخ"، في البداية
كنت أضيق بالأمر، ولكن حين فكرت فيما بعد رأي أن
الأمر ليس بهذا السوء، فهو لقب على آية حال وأفضل من
"أبو رشاقة" وهو لقب آلهة الفصل.

حين بلغت باب المدرسة كنت غارقاً في العرق من طول
ما عدوت، كانت المدرسة مكتظة وأنظر يقف بالضرورة
يضرب بالسوط على سراويله، ما كنت لاستطيع أن أرفع
سراويلي في ساحة المدرسة فانهمكت في رفعه في الحارة
وإذا بي أسمع من يقول:

«الله يعنكم، شوف العياش ووجه القلب بتعهم!»

رفعت رأسى، كانت امرأة عجوز على رأسها طاقية
سوداء عريضة بارزة الطرف وقد ربطت تحتها طرحة
أدخلت أطرافها في ياقة ثوبها الفضفاض الطويل، قالت
لنفسها: "والدة دي مالها ومالي؟" ثم عدوت إلى داخل
المدرسة.

١٣٠
في العصر حين عدت من المدرسة كانت أختي الكبرى قد جاءت إلى دارنا بطفلها الرضيع ، كان يبيت في أحد الأزقة المجاورة لنا ، وكان بإمكانها زيارتنا والعودة في أثناء النهار ، كانت تتسلق أخبار الحارة وبمجرد أن يخرج زوجها تأتي مهربة ، كانت تلف رأسها ببطرة حمراء داكنة ، لا يد أنها عائدة من الحمام الشعبي ، كان وليدها يبكي ويزعم بصوت ممل ، وكان الحاج حسين محسن المسجد يروح ويُجِّيء بالشيشة والشاي ، لابد أن أبي لديه ضيف ، كانت أمي تصب الشاي وتقول أختي :

" عارفة يانية ؟ الكرارية وقعت على دماغه ، خسارة انهم شالوا مدفع " لؤلؤ " ، وأيه ذنب العيل اللهي عديته من ماسورته مرتين وكان زى ما تكون ميه دقتها على نار ".

تذكرت أني حين كنت بالصف الأول كم صعدت فوق هذا الدفع ولعبت بالأسود على جنبيه ، وكنا نلعب الاستغماية ونظمنا بين عجلاته ، وكنا نдерج الحجارة على جوانب البوكة المجاورة له وسط أشجار الصنوبر العالية بميدان آرك ، وكان الحجر يتدهور فوق ماء البوكة فيحدث سبع موجات بل وعشرة ، أي متعة كانت ! رشدت شايي ومعه كسرة خبز .

- " ياللا يا يابنتي شوفي لك صفرفة ثانية دلو وقت .

131
شيليه وخيدي عند القسم وعدبه تحت ماسورة بندقية

- "وهو حد يقدر يهوب ناحية القسم اليومين دول يا أمي؟ أعود يا الله!"

- "طيب يا بنتي ليه ماتديهش لجوزك يوديه؟!" يعده من تحت ماسورة بندقية تلت مرات، وبعدين يدي صاحب البندقية حته سكر ثبات.

وظلت تتباحثان عما اذا كان صاحب البندقية هو الحكومة أم الحراس حتى سكتت كوبا آخر من الشاي في جوفى وأسرعت نحو ألبوم الطوابع ولم أدر أبلغ صفحة البرج المتهوئ حتي بلغني صوت أمي:

- "روح ياهبيبي، هات حزمتين ثلاثة قش وخطهم جنب الحمام، اجري الله يبارك لك".

تجاهل الأمر وأخذت أقلب في الألبوم وكان أمي لم تقل شيئا، فجاءت صوت احتى هذه المرة:

- "اختشي على دمك ياعجل، عايزة تروح تجيب هي القش؟ الكسول طالع على وشك ودماغك، انت اللي كنت طوع".

كان هذا الحمام بطرف الدار وقد تحول أيضا إلى مكان للتعزية، فمنذ أن أزيلت الخيمة من فوق رؤوس النساء بالحارة قرر أبا إقامة حمام فعمر دارنا سبعة أيام في الأسبوع، اسو ما في الأمر ان كل نساء العائلة

132
كَنَّ يُقَدِّمُونَ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ،ِ，
بعد الحلوى وامى تعبى لبيت الجاز بالكيروسين، قالت
حين رأتني:
» أنت ماتسمع شبابي ؟! أجرى اقترب الباب، الحاج
حسين رابع الجامع.«

أدركت أن أبي لم يكن يريد الذهاب إلى المسجد، كان
الجو يوسع على الظلام حين بلغت الباب، كان ثمة ضابط
بوليس وفوق رأسها تلك ظرة قي البارود، لم تكن
امرأة بهذه الهيئة قد دخلت دارنا أبدا من قبل، كانت
بيدها حقيقة وتمشى على أطراف قدميها، حذرت وتنتقيت
جانبنا فدخلنا، على كتفى الرجل كان ثمة نجمتان ولم أكن
أعرفها، ترى ما شأنه؟ في أول الليل مع هذه المرأة المحجبة؟
منذ الصباح وحتى الآن كانت تجري في دارنا احداث كثيرة
جديدة، فجأة لا أدرى لم خفف، كانت الرذمة منظمة فلم
يلاحظوا خوفاً، ربما استجذبت مشكلة فيما يتعلق بمكانة
أبي الذينية؟، لعله لهذا السبب لم يذهب إلى المسجد اليوم
لا في الظهر ولا في المغرب، تركت الباب مفتوحاً كما هو
وأسرعت لأخبر أمي، جذبت طرحتها على رأسها وانثى
إلى الردهة والقت السلام وسالت عن الأحوال وقال الضابط
لأمي كلمات فهمته منها أنه ليس غريباً، قاطمان قلبي،
ثم قال الضابط:
» هاسيب بنتى أمانة عندكم وأروح للحجاج.«

١٢٤
دخلت أمي والفتاة، وتقدمت آنا ومن ورائي الرجل إلى غرفة أبي، ثم عدت لأحضر الشاي، رغم أن أبي لم يكن قد أمر إلا أنه كان من الواجب أن نقدم الشاي للفتى القريب، حين عدت بالشاي وجدت عم عمي معهما ومأمور القسم أيضًا ومعه شخص آخر، كالمسوق، جلسوا جميعًا حول المدفع، عم إلى يمين أبي والآخرين كل في ناحية، حين وضعت الشاي كان الضابط يتحدث باللغة الفصحى قائلًا:

"نعم يا حاج، هي من صميم اختصاصك ولك أن تقوم بتنظيمها بنفسك".

فخرجت، ماعنني "اختصاص"؟ سمعت اليوم العديد من الألفاظ الجديدة! أمي لا تعرف معانيها، لو كان أبي في حالته العادية أو خالى البال لذهبت وسأله عنها، كان دائماً يحب هذا النوع من الأسئلة، أو حين أعطى بوصة يبرىها لاكتب بها خطًا كبيرا، وفهمت أيضاً أنه حين يكون لي طلب لديه أو أريد منه مالا كنت أذهب إليه يواجه من هذه الأسئلة أو بوصة مكسورة السن، ثم قررت الذهاب لأري من تكون تلك الفتاة.

كانت أمي جلسة على الأرض وقد أجلسها فوق الصفة مكانها، ثمة حذاء عالي الكعب عند الباب، تماماً كأنه رجل طويل القامة وقف في صلاة الجماعة وسط صف من الراكبين، ثمة عطر بالغرفة لم أدركه لأول وهلة، لكنني

۱۲۵
تذكرت نهدة، كان يشبه ذلك العطر الذي يفوح من مدرسة الألعاب الرياضية بمدرسةنا، خاصة في صدر الصباح، نعم، كان عبيرا من ذلك النوع، كانت شفتاه قليطتين، وقد اتخذت ركنا من الصفة وطرف اللحاف يغطي قدميها، كانت تقول حين دخلت:

"الهائم مزاجها مش رايق التهارده؟"

قالت أختي: "لا يا حبيبي، هه هه بس الواقد قليبته، وبيوجه، قلت أدلةه سكر مخلى يمكن يروق، لكن مفيش فايدة."

سألتها أمي: "وحضرتك عندك كام عيل؟"

فطلات الفتاة رأسها وقالت: "انا لسه في الدراسة".

- "دراسة ايه؟"
- "بادرس توليد".

وهزمت رأسها وضحكته، اتجهت امي الى أختي قائلة:

- "ومستنبثة ايه يا بنتي؟! قومي ووري عيلك للست، قومي لحد ما أروح أجيب لكم شاي"، وقامت وخرجت، أحضرت الالبوم الطوابع من غرفتي وأخذت أقلب صفحاته بلا وعي، اذ كنت منتبها الى أختي التي فكت لفة الطفل فوق الصفة، فتحسست الفتاة بطنها التي كانت تشبه بطن اسماك أبي البيضاء، ولم تكد تتعلق حتى علا صياح أبي من غرفته.

١٣٦
كان يناديني، ألقنت البومي على حافة النافذة وعندت
كانت أمي عائدة من عند باب غرفة أبي، قلت:

«انتى اللي جيتى تقدمي الشاي للضيوف؟!

قطع لسانك يا قليل الآدب.»

دخلت غرفة أبي، كان يريد شاية وكان على أن آخذ
الشيشة لأغير الحجر، في اللحظات التي قضيتها في جميع
الأكراب وحمل الشيشة سمعته يقص حكاية حرب عمرو بن
العاص ضد جيوش الروم، كنت أعرفها، لو كان ضيفه
موظفًا لكى له قصة رحلة الهند، ولو كان تاجرًا لحكي له
عن رحلاته إلى كريالاء ومكة، والآن ثمة ضابطان بنجوم
على اكتافهما بالغرفة، خرجت واحضرت الشاي وعدت
وكانت أمي قد غيرت الشيشة أيضًا، فحملتها، كان أبي
قد وصل إلى وقوع عمرو بن العاص أسرى في يد الروم
ومثوله بين يدي قيصر الروم، لم أطق صبرًا، ولم أكن
أطيق أيضًا دخول حرجتنا فآرى عورة ابن إختي ورجله
المبلتين بالبول، وكان قد أصابني الامتعاض أيضًا من
عطر تلك الفتاة فهو نفس عطر مدرسة الألعاب، فخرجت
الي الحارة، لم يكن ثمة أثر للأطفال، لابد أنهم لم ينتظروني
ومضوا، كنت نتجمع على ناصية الحارة ساعة الغروب
ونقوم بعمل شيء، كنت نخرج إلى الشارع ونقدل الأفنية
وتنظيف الطواقي من فوق رؤوس الفعلة ونلهو بها، أو كنا
نلعب بحارة دارنا، أو نتبادل الأفلام أو الأشياء من هذا

١٢٧
القبل ، كم كنت أود أن أخذهم لأعرض عليهم صورة
لبارزان كنت قد رسمتها عصر ذلك اليوم بالمدرسة
ببوصة جديدة ، بخنجره حول خصره وهو معلق بحب
يحيط ببعضهما ويده الأخرى على قمه يقلد زعير الآسر ،
ولكن لم أجد أحدا منهم ، ماذا أفعل ؟ جلست قرب الباب
أرقب الناس ، أكثر ما كان يستحق الفرجة ، كان صوت
"هو الله " مسموعا من داخل الحارة ، فهو لايد قادر على
محل كعادته كل ليلة يضرب بجساه على الأرض ورأسه متجه
إلى السماء ، وفي أععقاب كل دعاء واستعاذة كان يقول
"هو الله " ثم يعيد ما قال ، وأتى بائع اللطف وميضى ، لم
يكن بالأعية شيء ظاهر ، ولكنه كان ينادي ، امرأة تنشق
عباءة سوداء أخرى والسماها من داخل البيت المقابل والقت
نظرة داخل الحسارة وبعد أن تلفتت حولها هرعت إلى
الخارج وسارت مسافة ثلاثة بيوت ودفعت أحد الأبواب
محاولة الدخول إلا أن الباب كان مغلقا ، وظلت تتلفت حولها
بينما كانت تطرق الباب طرقا متلاحقة ، وفي النهاية فتح
الباب وظلت مخفية بالداخل ، وفجأة سمعت :
"هوب ، قفتشها !
كان هذا أبي الفضل ، أدرت رأسئ ، كان يبحث عن
شيء في يده .
"ياملونة ، كويس انى قفتشتك ، طير مسمى ".
كان الجو مظلمًا حالك الظلمة ولم يكن بمصباح الحارة

128
أي رفق ولا أدرى كيف كانت عيناه تريان الذباب في هذه الحلاقة، وفي هذا البرد الزمهرير أيضًا، ربما كان يخيل؟ كان جارنا على بعد بريتين، وكان عقله قد خف من زمن، كان يجلس بباب بيته من الصباح حتى اللمساء يتصيد الذباب، ويقال أنه كان يأكله، لكنّي لم أره يفعل، يبدو أنه كان يخيل اصطياده ويتحدث إليه قائلاً:

"هاعمل عليك شورية تمام" أو "امبارح قفشت دبانة" أو "المصفورة" أو "ماعندكش فكرة وراكاها كانت لذيذة" أو "ياه!"

فببداية أمره كان وسيلة طيبة للضحك وكانت مشاكسته، من ألمابا وقت العصر، اما الآن فلم تعد السخرية منه ممكنة، كانت زوجته تنزلع لنا الملبس، مرة كل عشرة أيام، وكانت تقول أنها تضربه بستمرار وتطرده، إلا أنها رأت أن هذا لا يرضي الله فتعود وتهيء له طعامه، قلت أذهب وأتحدث إليه قليلاً، فذهبت وقلت:

"كان طعمها ازاي يايو الفضل؟".
قال: "بطعم القمح، ماعندكش فكرة! كانت اد العصفورة".
قلت: "يمكن بيتهيا لك؟ بتلاقى الدبان في البرد".

"دخت".
قال: "وانت ايه عرفك؟ أنا باقرا تعاميم وهو بيجي لوحدة، اصبر!"

139
(م 9 - القصة القصيرة)
ووضع يده في جيب سترته الرثة وأخذ يبحث عن علبة الكبريتي التي كان يخفى بها ذبابة فلم أتحمل المشهد، لم أجد ما أقوله له، فنهضت عائداً إلى البيت، سمعت صوت الباب ووقعت عيناي على الضابط وابنته يخرجان، لابد أن الأمر كان سيبدو غير لائق لو أنهم رأوين بصحة أبي الفضل المخبل، فاختفتى على الفور واختبؤت وراء ظهر أبي الفضل فخطر بالي: «بتعمل كده ليه؟ ودول يعرفوا أبو الفضل مدين؟!» لكن كان قد فات الأوان وإذا خرجت فراونى لازداد الأمر سوءاً، وعندما مرра من أمام أبي الفضل كانوا:
الفتاة تقول:

«يعني أيه جواز متعة؟»
قال الضابط: «كلها مسألة ساعتين ياحبيبتى، يادوب تروحى معاه ضيفة ٠٠٠»
«آه، قفشتلك، تعالى شوف سمينة اد ايه!»
لم يعدنى أبو الفضل أسمع بقية كلام الضابط، عم كانا يتحدثان هل تقرر أن يتزوج أي من الفتاة زواج متعة مؤقت؟ ولم؟ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ فهمت.
نظرت في علبة الكبريتي وكانت خالية، الا أني لم أطلق خداعه أكثر من ذلك، فعدت إلى البيت.
كان الباب مفتوحاً، وفي ظلمة الردهة سمعت عمى يقول:

١٣٠٠
لماذا تعيش، عجوزة! بنت العقيد؟!

قطع وقع أقدامي كلامه، وعندما اقتربت رأيت مأمور القسم أيضًا، ألقيت عليهم السلام دون وعى ومضيت منفعة إلى غرفتنا، كانت أختي الكبرى قد ذهبت، وكانت أمي تكافح بالمطبخ، وكان دخان الحمام يتصاعد، كنت في غاية الارهاب، لم تكن لدى القدرة حتى لانتظار العشاء، خلعت ثيابي واستلقيت بجوار السفينة، كانت رائحة الدخان تخترق أعماق أنفني، وكنت أفكر في أبي الفضل وفي علبة كبريته الخاوية والاكتشاف الذي اكتشفته، قسمعت عمى يقول:

"يا إيه يامرات أخويا، العيار عدا من جنب دماغك، ها!
كنا هنجب لك بلورة على آخر أيامك ..!
كان عمى ينادي أمي بـ "مرات أخويا"، مثل "مرات عمى"، وسمعت صوت أمي تقول: "أنت تقصد البت دى ياعمي؟ الله لا يقدر! الهى تنقلب على بوزها ..!
وقال عمى: "مش هاتحتشى الدكاك جنب الكرة؟ الدنيا بردت" ..
وفي صباح الغد حين ذهبت إلى الكرة لاتوضأ رأيت باب غرفة أبي مغلقا، وكانت الأسماك لاتزال رائدة بقاع الكرة، أما العملات الملونة فكانت مثمرة في الأركان، متجمعة ومشرقة، وعلى أحجار الكرة بقعة دم، فهمت أن
أبى لابد قد سافر ، كلما كان يسافر إلى قم وقزوين كان يغلق باب غرفته بالقفل ، وفي كل ليلة يتهيب فيها عن البيت كانت القطط تتنقّم لي من أسماكه ، وحين عدت إلى الغرفة سألت أمي :

« الحاج راح فيه ؟ »

« مش عارفة يا بنتي ، ده مشى الفجرية ، عملك كان بيقول أنه كان عايز يروح قم ».

وعندما كنا نشرب الشاي قالت ان حمام عم أصغر سرقه لص ليلة أمس ، وانه كان يقول ، صعدت إليه على سطح البيت كان أبى قد سافر ولم يكن ثمة مناع في لقائي بعدم أصغر ، كنت في ضيق شديد ، كان الجو غامضا وبالبرد قارسا , كانت الأماعش كلاها خاوية ولا صوت يصدر عن سطح الجيران ، وكانت فضلات الحمام تميل إلى البياض .

* * *

١٣٢
التدريس في ربيع بهيج

بهرام صادقى

دعنا نتخيل - إن شئت - أن كلينا جالسان في فصل مدرسي، لو بدأ ذلك الأمر سخيفا في نظرك أو خشيت، أو كنت تريد للموقف أن يتسم بزائد من الرسمية وبالقرب إلى الواقعية فاننا نستطيع أن نفترض أننا جميعا جلوس في فصل مدرسي، جميعا، حسن، بهذا سيكون لدينا فصل له قيمته قبل أن يعرف الطلاب بعضهم بعضا أو يتعلمون، كما انتا سنقيم فصلنا في غرفة نظيفة واسعة بها ما يكفي من الهواء واللوزم، ومقاعد بسيطة مريحة، وربما تصل سبورة كبيرة على الجدار ومعها ممحاة وقد يذكر من الطباشير اللون، ولحسن الطالع أن فكرة انشاء هذا الفصل قد خطرت لنا في فصل مناخ محبوب، ففي هذا الربيع البهيج، من ثم فلن نحتاج إلى مروحة أو مدافاة، خريطة

(٢) نشرت في كيفان هفته (٨ اسفند ١٣٤١/١٩٦١)
وبعض صور لمواقع تاريخية وصور لعدد من العظام تكمل الصورة، ودعنا نفترض أن أصدقاءنا ومعارفنا وعائلاتنا سيتدفقون علينا من المحظوظين فينثوانا على أننا جزء من فصل كله ويتتبؤون لنا أن يتنمو مستقبل باهر.

فليğa انا لمونون لهم، إلا أننا حتى الآن لانزال حيث كنا حين بدأنا: لانزال في الخيال هائلاً ومع ذلك ذاك الوقف يتحول شيئاً فشيئاً إلى الجدية بالنسبة لنا، ليس من الواضح من تكون ومن أين أتينا، نرى بعضنا البعض بالفصل القيم المعد جالسين على مقاعد بسيطة مريحة، وكراساتنا، وأفلامنا أمامنا، ونَّمَعى قواعد السلوكي والظروف الشجاعة على التعليم، نتبادل النظارات المتممة ونتمتع التعارف ونمد السبل إلى صداقات مستقبلية، إلا أن المشكلة الأساسية هي أنه ليس ثمة دليل على وجود مدرس بعد 1000.

مر بربع الساعة منذ دق الجرس فهربنا إلى الفصل جميعاً، ولكن ليس ثمة دليل على وجود مدرس أو ناظر بعد، كما أنه ليس ثمة كتاب مدرس، ومُن تم تمرين اللفة للفصل 1000.

نعم، تبدو السبورة نظيفة ولم يسبق استخدامها، ولكن ربما كان بعض من الناس خارج المدرسة مستغرقين في أفكار تركية خيالية صعبة التحقق، فيُنون على سبيل 134.
المثال أن هذا الفصل رمز للدحجة أو فكرتنا فلسفة ملغزة وأن طلابك يمثلون نماذج انسانية متواضعة وعقلاء واجتماعية متفاوتة، يا للملتزم! أنت أنفسكم شاهدون على أننا قد استحضرونا صورة هذا الفصل وتحدينا مقدمنا وخرجنا على هذا النحو وذلك، وزعنا أيضاً إلا أحد منا قد عرف الآخرين، وتزعم كذلك أن المدرس لم يصل بعد، والوقت يمر، الأمر كله لعبة، تسليها بسيطة صممت لاشغل وقت فراغنا، وكما تعلمنا، سن آبئسياء حين تقوم على افتراض يمكن لأي شيء أن يقال وينفذ دون ماهف محدد في الخاطر، بل وكمك أنت بالطبع أن تزعموا أن فكرة هذا الفصل ما هي إلا حلم من أحلام الماجنين ممن يجدون في السحرية من الناس متغعة، وحتى أن كان هذا ظنكم فلكم بل وعليكم أن تتأوا بأنفسكم عن مدرستنا وتكفوا عن التلصص خلل النافذة وعن ازعاجنا، والله أمضوا إلى حال سبيلكم.

في الصف الأمامي تروين حسناء زرقلاء العيون شقراء الشعر، يبدو أنها تعلم أن حسنها الأخاذ يكمن في عينيها إذ أنها تستدير من آن لآخر إلى الوراء وترحم الآخرين بنظراتها، جمال أمنها الدقيق ورقة شفتيها - على نقيض الواقع القيبي حولنا - قد خلب لي بقلب الطلاب جميعاً، حتى الأئذان القليل بالفصل، يتصور الطلاب لبرهة أن هذا ليس بفصل دراسي وإنهم ليسوا بداخله، بل هو ليل وليل القبر فيه منير وقد هبط الملائكة للاستجواب على الكلا الأخضر 135
الناعم والحسناء الغامضة ترقص بثوبها الأبيض الفضفاض، والآن لم تكن ترقص فهي تبدو على وشك أن تفعل.

هل ندعها تستمر في الرقص؟ للشيوخ والشباب والفتيات ممن أتوا إلى هذا الفصل باختيارهم أن يمنحوا الآذن بذلك أو يمنعوا، ولكن لصالحهم أن ينهضوا الآن. إذ أن هناك وقع خطوات تسمع، الباب يفتح، يبدو أن أحدا يريد أن يدخل الغرفة.

شكرًا، تفضلوا بالجلوس.

سما بسمت، يخطو المدرس جيئة وذهابا، راسته على صدره، ليس من الطلاب من يراه في وضوح، حتى الجالسين بالصفوف الأمامية، يا للملابس، أنهم لا يميزون معالم جسمه أو ملامح وجهه، من فضلكم، كونوا رحماء ولا تفترضا أني أكتب حين أقول أنهم لا يرون إلا خطا باهتا، بل ملامح يتحرك أمام أعينهم، ويسعون صوتا فهم، لا يسمعون إلا صوت عام، هذه المرة لكم أن تتخيلوا صوته جهوريا شديد الوضوح.

فجأة، يتوقف المدرس عن الخطو، (يظن الطلاب ذلك).

ان لم يعودوا يسمعوا وقع قدميه، قبل أن أسجل الغياب، أحب أن أعرف ما تدون دراسته اليوم، ما تريدونني أن أناقش، وما إلى ذلك، من فضلكم، أرفعوا أيديكم وأطلبو الآذن قبل الكلام.
« أنظر صوت أحش من آخر الفصل »

المدرس ينظر في اتجاه الصوت، ولكن للغراية لم يكن هو أيضا يكاد يرى أي منهم في وضوح، كتلة داكنة غامضة ذات أحجام وأشكال متشابهة قد صفت متجاوية.

أمام عينيه، لا يمكنه أن يميز بينهم.

يقول المدرس: « تفضل، هل أفسرت لنا سر غيابك؟ »

بين المدرس وطلابه الستين أو السبعين لا تتردد إلا الكلمات في الفصل الكبير، يرى الطلاب بعضهم بعضا، المدرس يرى نفسه، أما المدرس والطالب فلا يرى أحدهما الآخر، لا يعرف أحدهما من يكون الآخر وما هيئته، فقد صبر الطلاب، يتبادلون النظرات بعيون متسائلة: « لم لا نرى المدرس في وضوح؟ هل العيب في عيوننا؟ هل هو خطأ الناظر؟ »، والمدرس يتساءل ما إذا كان ضغط الدم العالي أو الخلل العقلي أم أنها علبة أخرى قد حالت بينه وبين رؤية طلابه وأدى به إلى افتراض أنهم ظلوا غامضين بلا ملامح.

« لم تأخرت؟ كي، نعم، آسف جدا، كانت دعوة الناظر غامضة تماما، قضيت بعض الوقت أفكر في الأمر. كان خلق هذا الفصل بهذه العجلة وبطلاب غريباء، ودونها هدف محدد أمرا شديد الغراية مثيرا للدهشة ».

١٣٧
يرد الصوت الأجش من آخر الفصل، يدير الطلاب رؤوسهم إلى ذلك الزميل الذي غدا المتحدث باسمهم، ربما لاستطاعتهم أن يروه في وضحه، إلا أن حسناء الصف الأمامي تفضل الا تعود فتنظر إلى الوراء، إذ تقلصت عضلات رقبتها، فتنظر إلى السبورة.

«لا، سيدي، رجاء أن تأخذ في اعتبارك اننا قد اتفقنا على تكوين هذا الفصل بهدف زيادة معارفنا وربما عقد صداقات جديدة، بل وافتقنا على أن نطلب من الناظر أن يتخيل لنا مدرسا قديرا من ثم فائنا لا نرى ضرورة لكل هذا التفكير والعصف.

أه، نعم، فهمت تماما، لكنك كنت بحاجة إلى زيد من الوقت قبل أن أبذل الجهد في تخلي أن المرء يمكن أن يتقبل دعوة كهذه من الناظر ويقوم بالتدريس لفصلك كفصلكم هذا، ربما كان هذا سر غملي.

يفتح المدرس كتابه المخطوط وينادي: «يا أسيد يا آنسة 000، ما الفرق عنده أن نادي الأسماء أم لم ينادي أنه لا يرى أيًا من الطلاب بما يكفي لان يميز بينهم، فيطوي كتابه.

فجأة تنهض حسناء: «هل قد كل شيء في عينيها قبيحا بلا قيمة؟»، فتنظر بسأتها، تستأثرن الطلاب

128
الجالسين بجوارها وتمشي نحو الباب، وهي تفكر: "إني على ثقة أنه سيحضر لدكترا ساعة، كنت سامكث لو لم يكن تأخر. لا أدنى الآن لا أستطيع أن أدعه ينتظر أكثر من ذلك".

من هو؟ يبدو أن شئونا عاطفية قد تدخلت هنا.

تمر الفتاة بحذاء المقاعد، وهي تفكر: "صحيح أن المدرس يرانى أفادر الفصل دون إذن. ولكن لا أظن أنى مخطئة.

تنص القواعد على أن الطلاب أحرار يحضرون الدروس أن شاءوا أو لا يحضرون"، عينها الزرقاوان تودعان الفصل.

يبدأ المدرس: "حسن، سيداتي وساداتي، لم تخبروني بعد ما تودون أن نناقش اليوم".

ثمها لفظ، العديد من الطلاب ينظرون بسعااتهم ويتبكون الحسناء ذات العيون الزرقاء، هل أمرهم سحر عينيها؟ أم هل بدأ الفصل والمدرس جميعا في نظرهم بلا قيمة أيضا؟ يمضون ولا أكاد أتصور أن أخدس وجهتهم. كان من الأفضل لكم أن تتبعواهم بأنفسكم بدلا من التخصص خلال نواسق الفصل من يدرى ً ربما حظيتهم بموعد مع الحسناء ذات العيون الزرقاء، أو بصداقات مع الطلاب المتدربين وتكشفون سبب تهربهم.

يبدأ المدرس: "حسن، أراك لاتستطيعون التوصل"
إلى قرار، لابد أن أبدأ، رغم أن هذا أول لقاء بيننا، وإنما أجمل المستوى الحقيقي معارفكم ودرجة تشابه أفكاركم، ربما نتفقون معًا أن أساس النجاح في كل أمر هو ٠٠٠، ينهض الطلاب واحدا في آخر واحد، ويغادرون الغرفة.
لا يرى المدرس سوى ظلال تبادل الأماكن تارة الفضاء الفوضوي المضيء أمامه خاوريًا، لكن الطلاب يتبادلون نظارات الاعتدار كما لو كانوا يلتمسون الأعذار لأنفسهم على هذا السلك السحيف ويعدون بأن يكونوا أكثر احتجاثا وتصميما في المرة القادمة، بل ويقترح البعضذهاب إلى الناظر والمطالبة بمدرس آخر، ويرى آخرون ضرورة زيارتي طبيب عيون أو أخصائي في الاضطرابات العصبية والعقلية، كل يعتبر عن وجهة نظره في حماس وكل يرى نفسه مجدودا أن تاح فرصة التعرف على الآخرين، ويؤكد الأشخاص واقعية منهم لأصدقائه أن زيارته الطبيب ماهي الاضرار من الحمق والعبث إذ ليس ثمة فصل مدرس ولا مدرس يرى، فالعيون سليمة وكذلك العقول والاعصاب، ألم نتخيل كل هذه الأشياء؟ ولكن الشغوفين بالحصول على نتائج يتصورون على الذهب إلى الناظر والمطالبة ببرنامج دراسي أكثر انتظامًا، وبمدرس مواظب، ثم يمضون جماعات بالنسبة لم أعتقدوا صدقًا فيما بينهم وفرادًا بالنسبة للباقي، ثم يفكرون في الطريق الذي سلكته الشقراء ذات العيون الزرقاء، وتمضى العجائز

١٤٠
الفانيات القليلة بالفصيل الى ديارهن للطيب والتنظيم...
وشيء من الراحة ان امكن

بالفصل، يقطع المدرس المكان جيئة وذهاباً، متحدثاً بوضوح وثبات: "...حتى بعد ان أوصلنا التيار ظل الضوء مطففاً، ببساطة لأنه ربما لم يكن هناك تيار كهربائي، هذا هو السبب في انكم دائما على وعي باحتمال العثرة، ولكن اذ اضاء النور فعلى المرء ان يحسب مقدار الكهرباء المستحثة، وهذا ممكن وبعملية بسيطة من خلال الوصفات التي تعرفنها خيراً مثلي، انكم تحظونها عند ظهر قلب، وبعد أن يتم حساب مقدار الكهرباء لابد من ان تحاسب عليها...؟! هذى هي المشكلة الأساسية: المال، اذا لم تدفع شهرياً يقطعون عند التيار، وعلى أية حال فإن قطع التيار لا يقل سخفاً عن توصيله، اذ من الممكن أن يستمر الضوء بعد قطع التيار، نعم، هذا يحدث أحياناً حين يكون ثمة قصور في مكان ما، حسـسـن، في هذه الحالة، ما زلت مضـرـطـرٌن الى حساب الكهرباء المستحثة ؟، نعم، هذا يحدث أحياناً حين يكون ثمة قصور في مكان ما، والآن ابرز سؤال، ماذا يحدث لو وضعنا كلاً اليدين على أسلاك عارية موصولة للتيار، عالٍ؟ ارى من جانبي أن شيئاً هائلاً سـسـبأـد، هذا هو الموقف المثالي، إذ في هذه الحالة لا يستطيعون تحصـسـ مليم منكم، مهما أسـتـهلكتم من كهرباء ومهما حسبتم وباى وصفات تحسبون، أترون؟ المال ليس

١٤١
ضرورياً دائماً ولكن دعونا نتوقف عن تكليف أنفسنا ذوق طاقتها ، سأكف عن أملكم ، دعونا نفترض أن شتّم - أن الناقوس يدق ١٠٠٠»

كان الناقوس مفاجئاً ورهيب الصوت إلى درجة روعت المدرس وأزالت عن عينيه غشاوتها ، تغير كل شيء ، زالت الحجاب واتضحت الروؤية أمامه ، لم يكن ثمة أحد في الغرفة سوى شيخ هرم آخر الفصل يغلب النعاس ، كان الشيخ قد مر بنفس التجربة وطرا عليه نفس التغير ، فكان يرقب المدرس الذي دنا منه في هلو وذهول ، كان يستطيع أن يرى المدرس بوضوح - شاب ، قوى ، آنفه وأذناء مجدعتان ، وشعره الأشعة يلف رأسه ورقبته ، أسنانه العليا الضخمة المعقودة نائمة من فمه ، عيناه الصغيرتان البراقتان كانتا بارختن نفاذتين ، اخترقت نظرته الحادة قلب الشيخ ، فارتدت 

سألته المدرس : أذهب الجميع ؟ كم آنا آسف ، هل استنفدت من المحاضرة ؟ وآمن النظر في تلميذها الوحيد - كيل ملتح قادر له عينان دامعتان ، أسنانه صحنانية ، يرتدي أساملاً ، وعلى سبماه وقال لا يعرف الحياة 

تتم الشق خ : "لم ٠٠ لماذا انت ؟ ؛ ؛ لماذا انت ؛ هكذا ؟ 

لا تستجيبني ، من الأفضل أن ترد على سؤالي . "

١٤٢
قال: «لا، لم تفقدني أية كلمة منبنا»، حملق المدرس فيه، فأضاف الشيخ: «ليتينى كنت قد مضيت معهم، بعد كل هذه السنين تخيلت أنى أخيرا قد سجلت اسمى بهذه المحاضرة، كم من أماني راودتي، لكنى الآن أرى أن الناظر كان يسخر منا».

فصفعه المدرس على وجهه، وأخرج من جيشه دفتر صغير وقال: «اعطني اسمك».

فبكى الشيخ من الألم، وقد أحمر جانب من وجهه وخذ أنه ينزف، وناشد: «أصحح علي أغفر لي، كنت مخطئا».

مستحيل، لابد أن أخذ اسمك، ساجعلك بلاشك ترسب نصف العام، وإذا حدث أن تغييت وبيجحت مرة أخرى سترسب السنة الدراسية بكاملها!».

نهض الشيخ وأجهش بالبكاء مرة أخرى وقال: «رجاء سيدى، أنى أعول زوجة وأطفالا وحذيلة يعلم الله انى لم أقصد التبجح، أعدك أن أواطب على الحضور وتحضير الدروس، كانت المحاضرة مفيدة للغاية».

- بعد أن صفعتك؟ هل ذكرك الالم بأنها كانت مفيدة؟
- لكن سيدى، ألا ترى أن الجميع قد رحلوا؟ أنا الوحيد الذي احترم وجودك!».

١٤٣
- "كم أنت طيف! بقيت ليجلس في ركن يغازل
النخاس، ما الفائدة لو أنت رحلت؟"

- "ألم تر كيف ظلوا يحملون في الحسناء ذات
العين الزرقاء؟ كانوا يريدون لو أنهموها بأعينهم؟"
- "هل رحلوا بسببها؟"

- "في قليل أو كثير، لا تخبرهم بمصدر هذه المعلومة،
ولكن صدقني، غضبت من بصرى طيلة الوقت.

- "هل تحاول التأثير على بحسن سلوكك؟ لن
يعوضك حسن سلوكك وانتظامك عن دروسك العلمية،
ولا يدرى أحد ماذا كنت تفعل لو كنت في شبابك؟"
- "أنا راض بما يجري على..."

- "وكل ذلك الجميع، وخاصة لتهركم من فصل دراسي
قررتموه على أنفسكم، لماذا؟ لماذا أتوا إلى هنا؟ ألم
يقولوا أنهم كانوا يريدون زيادة معارفهم وأن يصبحوا
رجالا عظاما؟!"

- "للك 100 ماذا أقول لم يكن لا تضحك؟! لا، هذا
سخيف، لن تصدقني..."

- "ماذا في الأمر؟ تكلم، هل كانوا يسخرون مني؟"
- "لم يكونوا يرونك"

- "اذن كنت تكتب، لم يت허روا خوفا إذن«
١٤٥

(١٠ - القصة القصيرة)
جميعا على ادنى الدرجات ، حتى اللـ 1000 ، نعم ، لم يكن لديهم أعر ان التهرب ،
دون المدرس اسم الشيخ ، وأعطاه درجة راسب ،
فانهار الكهل في مقعده ، ووضع رأسه على كتابه واستمر في البكاء ، تيقظت بقلبه الرهبة والجذع.

c دق الناقوس ، فبدأ الرجل في التضرع : "أما تستطيع الصفح عن ذه هذا المرة ؟ إننا أقول زوجة واطفالا وحفدة وأبناء حفدة 1000 ، أؤكد لك الا شيء سيحدث إذا ما صفت "

غادر المدرس الفصل.

صرخ الشيخ في اعقابه : "أين انت ذاهب بهذا الوجه المتخفي ؟ إنها الأحق العابث ، ذهب وافعل اسناء ما عندك "

لا ندري بما جرى للحسناء الشقراء وباقي الطلاب ،
وأي درجات نالوا ، ولكن لما كنا قد اتفقنا على التخيل فلم لا نتخيل المدرس وقد التقى بالناظر في الردهة وتبادل معه النكات راشتكي إلى من طلابه الجديد ، ومضى الى درسه الآخر حسب الجدول.

١٩٦٧

١٤٦
سارةقة البيض

فريدون تنكاینی

كان ميدان شوش مزدهما يعج بالضوضاء، في هذا الوقت من بعد الظهير الممشس، كان كل شيء عاريا مستقلا عن سائر الأشياء، رغم أن الزحام كان أقل منه في الصباح والعصر إلا أن سيارات كثيرة كانت لاتزال تفد إلى الميدان، تدور به ثم تمضي.

في الشوارع المتفرعة من الميدان اصطقت الحافلات ذات الطابعين بطولها المديد ولونها القانيا، وقد انعكس في العيون تحت الشمس، كانت محركات حافلة أو اثنتين منها تدور مادرة بسوت متقن، وتطلق الدخان، في داخل الممر، اصطقت عربات اليد الخاصة بالباعة متجاورة في صف، وفوقها كل شيء، شمندر مسلوق، لفت، فول مطبخ يتقد

(2) من مجموعة اسير خاك، تهران، كلستان، 1966.

147
تحته موى بريموس ويتصدع منه الدخان، سكر نبات من كل لون يغلي عليه الأصفر والأحمر، ويجذبه طبق من النقل الأبيض الجاف والNavController المقصور مصنوع في ركن ويباع بثمن أقل قليلا، فستق شامي، لوز هندي، ياميش مخلوط يبيع الكيل منه بثلاثة ريالات وكان معظمه من الزبيب الصغير الأخضر.

بالركن الأدنى من الميدان، ثمة محطة بنزين أرضيتها زيتية سوداء، كان السائقون يتوافدون، يتسلقون فيختلسون الأدور، يتضاوضون ثم يشاركون البنزين ويمضون وكان سائقو الدراجات لا يرفعون أيديهم عن أبواقهم وأجراسهم، يمرون من بين السيارات أو وسط الناس، وكانوا يسبون ويسبون.

على الجانب الآخر من الميدان، فوق قطعة أرض خالية تحلىت جماعة من الناس يشاهدون معركة، وكان الصوت يعلو من حين إلى آخر بالصلابة على النبي استحسانًا.

في أحد أركان الميدان الأقل ازدهاما، وعلى جانب من جدول فياض من أحد طرفيه، وتجري فيه مادة سوداء وتفوح منه رائحة عطنة، كان ثمة رجل وأمراة يقفان.

كانت المرأة فارعة الطول نحيفة، والرجل قصير بدين كان وجه المرأة مسحوبا شديد النحافة، ذقينها حادة ووجهها

١٤٨
به ثلاث زوايا، كان ثقلاً ثقيلاً قد علق بفكها، على رأسها طرحة سوداء بامدة تتأنثت، خيوط أطرافها ونشقت عليها أهلة صغيرة الحجم بيضاء اللون كثيرة، كانتا قد فرضت فوق الأرض ونشرت عليها أظافر، أظافر ببضعة نظيفة، كانتا لأشخاص خرجوا لتروم من الحمام، وكان للرجل وجه سمين ناعم نامت فوقه لحية قصيرة، كان كل من يرى وجهه تساوره الرغبة في أن يمد يده إليه ليختبر سمنته ونعومته.

بيده...

كانت بيد المرأة بقمة التصق الرجل بزاوية منها، وإن الصمت عليها والسكون، كان وجه كل منهما لا يتم عن قدرة على التأثير، كانا كزوجين في طريقهما إلى الذئب

لاقم الطلاق بمواجهةهما، وقف رجل آخر، وجهه مغضن وجنتاه غائرتان، في أسفل لحيته السوداء بروز يغوص في نظرة من ينظر إليه.

كانت هيبته تدل على أنه لابد أن يكون عاملًا بضوء...

ربما لم يكن كذلك، على أيّ حال كان بائعاً، سأل:

"هل تعمل فيها أيّة دى ياعمر الحاج؟"

قال عم الحاج: "هاعمل أيّه؟ ودي عاووزه سؤال؟" هاسلها للقسم، هارميها في السجن، البلد مش فوضى، مش سوق للحرامية، بقولوا فيه قانون، بقولوا فيه دين...

وأمل...

١٤٩
كانت المرأة صامتة لا تنفس.

قال الرجل: «وانت عرفت منين ياعم الحاج؟»

قال عم الحاج: «أنا كنت مكرم البيض، ودلى جت قالت كلمتين دوروا دما غي، وبعد مامشيت لقيت البيض ناقص.»

ضحك الرجل وقال: «ماساء الله ياعم الحاج، عرفت من شكل البيض؟!»

بينما كان الرجلان يتحدثان، كانت المرأة تتتابع الكناس وهو يدبو منهم.

كان الكناس قصيرا، وحنيفا كالاقترام الاسطورية أو كونت الحظائر تربط اليه الجياد، أو كأنه طفل نبتت في وجهه بوادر لحية داكنة غزيرة، يرتدي سروالا مفتوحا فضفاضا ويداه في جيوبه، وقد تحول بشكل عام إلى شيء مربع رث فضفاض، وكان هذا الشيء المربع الرث الفضفاض يلهو في فراغ وارتياح يجول هنا وهناك ويدبو من الرجلين.

جاء ووقف قبل مقدمات سال: «ايه اللي حصل؟»

لا ان احدها لم يرد عليه، فقال وكانه ادرك من تلقاء نفسه: «يابا سببها?، ده ما مابرضيش بنيا، ده بس الشيطان لعب ببيها.»

رقمه الحاج بنظرة نارية حادة وأمره بان يلزم مكانه فلا يتدخل، ثم قال «كلام ايه ده! والشيطان ده مالعيش.»
بي أنا ليه ؟! على كل ، بيقولوا فيه حساب وكتاب ، بيقولوا
يوم القيامة ماينفعشي فيه الكدب ، إذا أنا سبتها ، هنقول
لربنا ليه ؟!»
ثم وقعت عيناه على الرجل الآخر بمعطه الأبيض
ونظارته البنية وحقيقته الضخمة ، جذبت المرأة بجثتها إلا
إنه الحاج لم يدعها تفعل واتجه اليها وقال : « على فدين
ياختن ، لازم تعرف راسنا من وحليكنا ، ثم نظر حوله
وزائر : « السبب في خراب بيتى ده أن مافيش كبير »
قال الرجل ذو النظارة : « حصل ايه يا عم ؟» ، فلم يرد
عليه أحد ، أدخل الحاج يده في جيبه وأخرج ثلاث بيضات
كبيرة وعرضها أمامه وقال : « اهم ، أنا ماباهزرش »
قال الرجل : « طيب ، ده مش كريس ، لكن ... يمكن
كانت محتجة ، كانت جعنة ، سامحتها حضرتك »
صاح عم الحاج : « يعني ايه كانت جعنة ، وانا مالى
بجموعها ؟! هو انا مستول انا أشيع بطول خلق الله ؟! والا
فاتح جمعية خيرية ؟! أنا ماهلتيش حاجة ، انا بياع غبان ،
مفيش على كفتي لاسة »
بدون ان تتحرك المرأة لتجذب بجثتها ، شدت طرحتها
على رأسها ووجهها وجمعت شتاتها ، اندفع البياع قائلا :
" ياع الحاج ، كل اللي بتقوله صح ، لكن سامح بياكك
ثراب ، دى ولية ونافصة عقل ، ميتضحكاش أكثر من
كده ».}

151
عاد الحاج ينظر إليها ثم قطب بجانبه وقال: « ازاي
ناقشة عقل ، امال ازاي عقلها وصلها انها تعمل العملة
دي ؟! لما تجي رجليهم كلهم يبقوا ناقصين عقل وضعفًا
وجلابة ، دول كلهم واعيين وناصحين في الحاجات دي ،
دول اوغى هنى ومنك ميت مرة ».

صاح الكناس من أسفل: « يا الحاج ، أنت بتتكلم صح ،
قل بالله ع الغافلة دي ».

لم يكن الحاج يريد أن يوليه اي اهتمام ، الا أنه لم
يستطيع أن يدع هذه العبارة الأخيرة تمر دون رد: « غاغة
ايه ياخويا ! اللى بداها ينهيها ».

قال البائع مبتسما ، وكأنه كان يعلم ان عم الحاج
يصف لكلامه:

» لازم حضرك تسامح ، لازم تتراضى ».

غمغم الرجل ذو النظرية والمعطف: « ابن القحبة ده
سمح سماحة ! » ، ثم اراد أن يقول:

أنت زودتها اوى ، الموضوع مش كبير اوى لدرجة .
لا انه خاف الاصطدام بعم الحاج ، فقال: « الرجل ده
كلامه صحيح ، لازم العفو يجي منك انت ».

قال البائع: « كفاية عليها كده ، ماتكسفهاش أكثر من
كده ، فايدته ايه لو حجزوها يومين ؟ معندهاش فلس
تتصادر ، وبرضه مترجع للساقية ثاني ».

١٥٢
قال عم الحاج: أنا ماعندش كلام، ربي شاهد إني مايهمنيش الثلاث بيضات دول، لكن. . .
فقال له البائع قال: "خلاص، عم الحاج سامح، يالا ياختي، اشكرك الحاج، استسحبي عمك الحاج وروحى."

اضطر عم الحاج من شدة خجله أن يترك البقية، قال لنفسه: "دي اتفضحت، كفاية عليها، أسيبها تمشي،" كان البائع يفكر بينه وبين نفسه: "أنا اللي راجل لو كنت وقفت في زنقة زي دي كنت دبت من الكسوف، أو كنت ضربت المعلم ده ضربة موتته أو أموت نفسي، شوف الويلة دي حالها ايه دلوقي؟ تلاقى نفسها الأرض تنشق وتبلغها."

واخذ الرجل ذو النظارة يفكر بينه وبين نفسه: "تلاقيها تفكر في عياشها اللي تلاقيا أيديهم أطول من رجليهم، ويمكن تكون أتخرجت عليهم، وتلاقيها في وسط الهيصة دى قلبا مش جابها ليكونوا وقعا في بركة اللمية" أو اتسعوا بنار الفرن، ده لو كان عندهم بركة أو فرن، ولو أن الشارع والاتوبس والتويكات، واللواري، والمعلم ده كمان لازق لى على دماقه بسريطة مابيخعلهاش إبدا، ماتسيبها بات، ده أنت ابن كلب صحيح، سيبيا تروح لنصيبها."

١٥٣
وركان الكنيس يفكر بينه وبين نفسه: «آدي مصيبة
جديدة زادت الطين بله، دبور زن على خراب عشه، تلقاها
نسيت كل حاجة، وبتفكر ازاي تخرج مالورطة دى وتخلص
نفسها»

كان كل من البيع والكنيس والافندى ذى المعطف وحتى
عم الحاج، يتصورون أنفسهم مكان تلك المرأة، ويودون
لم يعلموا فيم كانت تفكر في تلك اللحظة، كانوا يتميلون
انها بمجرد ان يطلق سراحها تسترعر بالابتعاد، ظنوا انها
ستتهض وتسرى، تجري، تهر، تخفي نفسها عن الأعين،
كان المفروض أن يحدث ذلك.

لا ان المرأة وقفت هامدة صامتة ترمقهم بنظراتها، فلم
يعرفوا ماذا كان عليهم ان يفعلوا، تتحركوا قليلا، الا ان
المرأة ظلت مكانها لا تريم، ثم قالت: «البيض، وبعدين،
البيض ده هيتم فيه ايه؟»

همهم الحاج: اما غريبة، بتعاً الراجل اللي اتجراتي
عليه 000 ثم نظر الي الآخرين.

فجأة انفجر البائع في الضحك الذي انتهى بالسعال.
قال الكنيس: سسيرك مالبيض ياختى، طبعا مش
هایدیهولک»
قال البائع بعد ان فرغ من الضحك والسعال: ياختى

154
إحدهم ربك ان المسألة ماكبرتش ، ادعى للحـاج إنه
مافضحكيش ، بيض ايه ياه 2؟

رمقه عم الحاج بنظرة ملوها الأخبار ، وكانه يقول
له : لا ، ولا حاجة ، كله لوجه الله 000 ، إلا أنه لم
يفصح .

وقف الجميع برهة صامتين يرددون النظر بينهم .

مضى الحاج اولا ، ثم تبعه البائع والكناس ، وتلاهم
الاندي ذى المعطف ، وبقيت المرأة ، لم تكن تنظر الى شيء
أو الى احد بالذات ، بل ولم تنظر الى من كانوا يمضون
ويبتعدون ، واخيرا مضت الى سبيلها .

فبراير 1961
الفراشات في الليل

غلام حسن نظري

فاجاتهم، دخلت الغرفه، كان الثلاثتهم جالسين حول المدفعه. هبت أمى من مكانها وفتحت غصـن آمي يديها العجف، أحسست أنى لا أزال نفس الطفل الشـريد الهارب من مدرسته لاثما بصدرها، قلت لنفسى: «يارجل لقد كبرت»، لكنى لن أكبر أبدا، لن أكبر أبدا.

مدى يدى لأخى وأخى محبا، وقبلت جبينهما، ولسنا، أمى لم ترفع عينها عن وجهى:

«حسن، تكلم!»

بلع ريقى، تكلم، أين كنت في العامين الماضيين؟

ماذا فعلت؟»

(*) نُشرت بمجلة سخن، جلد 15، ص 17، عام 1344 / 1965

106
«لا شيء!»

«أنت؟»

لم أكن أعرف جواباً، كان أخى جالساً بوجهتي، كان السواد يخط شاربه، وعيناه... كأنهم أخفوا عينيه.

سألته: «وانت، ماذا تفعل؟»

«لا شيء!»

لم أقل شيئاً لا رأيت، كنا نتبادل النظرات لا أكثر، نظرة باردة وصامتة، كعاشقين بلا أمل، كنا نتبادل النظرات لا أكثر.

فوق الدفأة، نفس المصباح المستدير، والوقود القديم يحترق، وعدة فراشات تدور في شعاعه، لا شيء تغير:
الأبواب، النوافذ، السراير، عروق السقف الخشبية.
لم يتغير شيء، لا شيء إلا أن زادت أمي عجافاً، وعينا أخى 200 أخفوهما، واختي 200 أختي جميلة جلست متمتئة بذوقتها على حافة المقعد، تنظر بعيون زجاجية إلى شعلة المصباح.

قالت أمي: «أما من لسان في فمك؟»

«ماذا أقول؟»

157
"أين كنت خلال العامين الماضيين؟ ماذا كنت تفعل؟"

"لاشيء!"

"أنت متعب! سانهض لأعد لك شايًا."

لا، لا شيء قد تغير: الأبواب، الجدران، النوافذ، الستائر، عروق السقف الخشبية، كان كل شيء كما كان فيما مضى، اظن فقط أن شيئا انكسر في قلوبنا؟ كسرنا في قلوبنا شيئا.

كان الصباح يحترق فوق الدفأة، لم تعد الفراشات تدور، التصقت بشعاع الصباح، وكان البرد يغلى، رأس أختي سقط على ركن من المقعد كرأس دمية مخلوطة كان الليل يمضي ببطيئة، وكنا ننظر كل إلى الآخر في حزن صامت.

غوتينغ، ليلة العيد

١٣٤٤ هـ
البرج التاريخي (٦)

خسرو شاهاني

في قلب ميدانا برج بنى من الطين والآخر لا يعرف له على وجه الدقة أصل ولا نسب، وما من أحد كان يدرك الفلسفة وراء وجود هذا البرج في وسط الميدان.

كان ارتفاعه يبلغ خمسة أو ستة وعشرين مترا تقريبا، وكانت الثقوب الكائنة بالأجزاء العليا من البرج تدل على أنه كان يستخدم في سالف الزمان لأغراض دفاعية وأن اهل تلك القرية التي خرجت لنا فيما بعد في صورة مدينة كانوا يستخدمونه في زمن الحرب مع الأعداء، أما في زمانا فلم يعد يناسب هذه المهمة.

عندما كان شخصان يتنازعان ويتشاجنان مثلًا كانا

(٦) من مجموعة وحقت أباد، تهران، أمير كبير، ١٩٦٩.
يستخدموا برج وسط المدينة أيضا في سبابهم وفحشهم، فينسبانه إلى الأخف والآخ، ويستشهدون به في الخلافات المالية وغير المالية، فكانوا يتكون الكلمة الأخيرة للبرج، وفي أسفله كان شقة ثقب واسع بريثة باب الدخول إلى البرج، وفي الزمان الغابر كان المحاربون يدخلونه من هذا الثقب ليقاتليوا أعداءهم، أما في زماننا هذا فكان الثقب يستغل لدخول دورة مياه عمومية.

وفي الثقوب التي نخرت في سالف الزمان بالجدار الداخلي للبرج اتخذت العصافير والحمام اعشاها، وفي أوان الربيع كان برج مدينتنا بمثابة ماوى للعصافير ولللحمام لغص بياضها، وفي معظم الأوقات كانت أعشاش بعض الحمام تقع في أيدي الصبية المتشردين بمدينتنا الخاوية، ومن المزايا الأخرى التي تميز بها هذا البرج أنه كان يعد عنوانا ومعلما طيبا يستدل به أهل المدينة والغريباء والواردون الجدد، ويمكن القول أن هذا البرج كان جزءا لا يتجزأ من مدينتنا وكانه كان من المحتام أن يكون بمدينتنا بكل ارتفاعه وهيبته وسماه، وإن لم يوجد اعتى المدينة نقص، وعلنا إذ أننا رؤيته فقد كنا نعتبر وجوده بالمدينة امرا حتميا، لا أدرى، خلاصة القول أنه لم يوجد لكان أمرا شائعا، هذا ما أريد قوله، في عصر ذات يوم، رأينا رجلا بدينا على وجهه نظارة وخلفية برفقة شخصين آخرين أو ثلاثة من ذوى الشعر الأشقر والسراويل القصيرة، وفي أقدامهم احتذية عسكرية، كان
من الراضح انهم أجانب ، وكان كل منهم يحمل على كتفه
منظارا وحمالة كاميرا وشبطة وأشياء من هذا القبيل ،
وكأنما يتتحركون في اتجاه حاكم المدينة ورؤساء الأدارات
ووقفوا بجوار البرج .

وضع الرجل الملتحى البدين يديه على جنبه ونظر
بهرة إلى جسم البرج وارتفاعه ، خلع نظارته ثم اعادها
وادخل رأسه في نفس الثقب السفلي للبرج الذي قالت من
قبل أنه كان بمثابة باب لدخول مرحاض عمومي ، ثم
خرج رأسه ووضع منديلًا على أنفه ، ثم قال شيئًا لرفاقه
كأنه ينبههم لشيء ، وضعوا السيح والحملة على الأرض
وبدوا في تصوير البرج وقياسه وتقدير قيمته .

حين بلغ الخبر الأهمى بأن عددا من الأجانب
والمسؤولين وكبار رجال المدينة قد آثروا لرؤية البرج ورموا
الي وسط المدينة ، وتزاهموا فوق بعضهم كأنهم نمل وجراد
كانوا يريدون أن يكون فخر اكتشاف مجالش البرج من
نصوصهم قبل السادة الرؤساء والوفد الأجنبي ، في حين
انتها كنا نرى البرج لسنين ونمر بجواره ولم تكن رغبة
تحدونا للنظر إليه ، أما في ذلك اليوم فقد حلت رؤيته
والفرصة عليه وكان معجزة قد حلت به ، وبمجرد أن رفع
الرجل البدين ذو النظرة واللمحة – والذي فهمنا فيما
بعد أنه رئيس هذه البعثة الأثرية وقائدها وكانوا ينادونه
لقب "برفسر" – عينيه ناظرا إلى البرج كانت رؤسنا

١٦١
(١٦١ - القصة القصيرة )
تشرب معه براً، ارادة لتنظر إلى شرفة البرج الطينية البازلاء. وحين خفض رأسه خفضنا رؤوسنا أيضاً، بصورة جماعية، يلتفت البار🥕 بتسليط يلتقى الشيء لرفاقة أو ليسان عن شيء، تلتفت رؤوسنا معه لا ارادياً، لنرى أيν يوجه ناظرينا. كان يضع يديه على ركبتيه وحنن إلى لينظر بجانب وجهه إلى أعلى البرج بزاوية خاصة، وكنا نفعل نفس الشيء وكأننا تحولنا إلى مرآة حية. ذا إما حين كان البارفس يدنو من البرج ويلمس جداره الخارجي، فلم نكن نتمكن من فعل ذلك، إذ حال بيننا وبينه عدد من المكلفين بالأمان ومنع الحوادث المحتملة، بما تقضى هذه الأمور.

ولكن، عندما رحل البارفس ورفاقه سئلنا من البرج، وتحسنا بايدينا الأماكن التي حي البارفس يده إليها. وكل ما فهمه من نسائه فهمناه نحن أيضاً.

ظل البارفس ورفاقه يلتقطون الصور للبرج فترة، وقاذب أثناء تلك الفترة لم نقف مكتوفي الأيدي. بل، أخذنا في المناقشة عظمة البرج، وسبب ورود الوفد الأجنبي وتاريخ بناء البرج.

كان أحدنا يقول، إننا كثرنا، قد اكتشفنا هذا البرج. ويقول آخر، عندما فرداً، أمام الأسكتدر دفن مجوهراته تحت تراب هذا البرج في طريق فرارة، ويقول ثالث، إن هذا البرج قد بنى أحد الأئمة الأشواه، وآمن عدد هنالك.
حضرة الإمام مُدفون تحت هذا البرج وأن هذا البرفس
ذا اللحية رأى الإمام في منام بأوروبأ واتى الآن للتحقق
من الأمر، وما إلى ذلك، إلا أن معظم حديثنا ومناقشتنا
كانت تدور حول وجود كنز تحت البرج.

أنه البرفس ورفاقه عملهم ومضاوا ويبقينا، وليقية
حفلة من الشائعات التي أدت إلى دخول عدد من الناس
إلى داخل البرج منذ منتصف تلك الليلة وما تلاها وحفروا
أسفل البرج باحثين عن الكنز، وبلغ الأمر أن وضع المسئولون بالبلدة عددًا من الحرس من أجل الحفاظ على
البرج من ضربات الوعول الباحثين عن الكنز، ومما
يقرب من شهر منذ آتى البرفس وأحداث جوارته، وذات
يوم رأينا عددًا من الإعلانات مُضيلة بموقع حضرة السيد
العمدة ملصقة على أبواب المدينة وجردانها، وكان مضمون
الإعلان على ما أذكر كذا يلي:

«إلى أهالي المحافظة الغيورين
لما كان الحفاظ على الآثار القديمة - وهي مبعث
فخارنا في الماضي - واجبا على كل فرد منا فقد
رات إدارة المحافظة ضرورة توجيه دعوة لجلب بعثة
أثريّة دولية إذ تؤكد على الزيارة التي تم بتاريخ
لبرج وسط المدينة أن هذا البرج يعد من
مقامه أجدادنا الغابرة، ويرجع تاريخ بنائه إلى
163»
عبد النبي دانيل، وقد وجب علينا فردا أن نبذل جهدنا للحفاظ على برج الفخار وجلاله، ومن بين ما تقرر فقد تم فتح حساب بنك 000000000000 تحت رقم 0000 ودعوة أحد المهاجرين في المدينة الأعزاء الشرفاء لأن يودعوا ما ييسر من المال بالحساب المذكور بغرض ترميم وتجديد مبنى برج الافتخار.

ومثذ ذلك اليوم تبادلت نظرتنا إلى البارج محافظا حرمته، فلم تعد نحيله في شجارنا إلى آمالنا وآخوتنا ولا نستخدمه بديلا عن المرحاض، فإذا ما حلت علينا نواضح حماية أو غراب أو عصفور كنا نبعله بالتصفيق بالطوارئ والقهوة في الهواء الخفيف أن تأتي تلك الطيور يفعل خارج عن حدود الأدب فوفق برجنا، وحين بلغت درجات غيرتنا مبلغها أودع كل منا قدرا من المال بالحساب المفتوح بهدف ترميم برج الافتخار.

عندما كنا نمر بجوار البارج كنا ننظر إليه ثم ننظر إلى أنفسنا بغروب وكبرياء، كان كل من يرد إلى مدينتنا تصحبه ونطوف به حول قاعدة برج الافتخار، وحين كنا نسافر إلى مدن أخرى ونرى الناس فيها بلا برج الافتخار كنا نزداد انتفاخا ونعتبر مدينتهم ضئيلة تخلي من التاريخ ونوبخهم بصورة غير مباشرة فنباهى بتوفيقنا عليهم وما إلى ذلك.

١٦٤
بدأ ترميم البرج منذ بداية جمع أموال الشّريفاء والوطنين، إلا أن حصصاً مال كانت قليلة، لم يكن التقصير من جانبيا، فقد أودعنا مما جما بالحساب المصرف، إنما كانت تكاليف ترميم عالية.

و ذات يوم رأينا أعلانا آخر ملصقا على أبواب المدينة وجدارتها، بعد مقدمة تحمل نفس معنى الأعلام الأول تضمن الإعلان الجديد أنه لما كانت مسألة ترميم البرج عالية التكاليف فقد تقرر بموافقة مجلس المدينة والمحافظة منذ اليوم إضافة ريالين إلى سعر السكر القوالب وريالين إلى سعر السكر المبلور، وثلاثة ريالات لكيلو الخبز، وأربعة ريالات لكل لتر من الكيروسين والبنزين على أن يتم انفاق العائد في ترميم وحفظ برج الافتخار، لا شك أن هذه الزيادة في الأسعار مؤقتة ثم تعود الأسعار إلى ما كانت عليه بمجرد الانتهاء من أعمال ترميم البرج.

لم يكن لنا حيلة إذ كان الأمر يتعلق بالحفاظ على برج الافتخار بكل ما يمثله من شرف لنا وكرامة، ومن ناحية أخرى لم يكن يصح أن تنفق الحكومة من مالها بينما نحن نحن بالافتخار، فلا أنسى عيوننا ولا استحققننا الحياة أن لم تنفق علينا من حر مالنا ونصمه، و« الغاوي ينفق بطاقته »، وفي اليوم التالي ذهبنا نشتري لحما فوجدنا الجزار الخسيس قد أضاف إلى ثمن الكيلو ثلاثة تومانات. سألناه: لماذا رفعت السعر؟ نص إعلان ترميم البرج

١٦٥
على رفع سعر السكر والخبز والكيروسين والبنزين فقط ،
ولم يرد ذكر اللحم.
قال: أكتمم تتوقعون أن أشترئي الخبز والسكر والشاي
والفراش والكيروسين بالساعة الأولى وأبيعكم اللحم الرخيصا؟
أسيطيُ في رهن إشارة من عيونكم؟!
رأينا الحق في كلام الجزائر ، ومن ناحية أخرى فذا ما انخفضت أسعار السلع التي تحتكرها الدولة لأسببت
عملية ترميم برج الافتكار وصيانته بالشبل.
ارتفعت بنفس النسبة أسعار سائر السلع والإيجارات
وتذكرة الاتوبوسي والسفر وسائر الخدمات ، أما معدلات
دخلنا فقد ظلت بنفس ما كانت عليه ، الفارق الوحيد الذي
ميزنا هو ان سهما من مفاخر البرج قد صار من نصيبنا.
تمت عملية ترميم برج الافتكار وتأسست إدارة جديدة
لبرج الافتكار بمدينتنا باشـراف مديرية تلك الإدارة
وموظفيها ، وتم تأسيس مكتب ولجنة ، وكان على كل من
يود زيارة برج الافتكار ان يدفع تومانين.
وذات يوم وجدنا أن كل مسافر من المدينة او وارد
اليها عليه ان يدفع خمسة تومانات ويتسلم ايصاله.
باعلى الاتصال رسمت صورة برج الافتكار وكتبت تحت
الصورة العبارة الآتية :
"من أجل ترميم برج الافتكار "
166
ما معنى ذلك؟ لقد أصبح هذا البرج وبالا علينا، ولكن
لم يكن شتة مفر، فما كان ينبغي للحكومة أن تنفق على
الإدارة العامة لفخاخ الدولة بتنظيماتها وسياستها
وموظفيها، فالبرج لنا، والفخر لنا، فهل يكون المال من
الدولة؟ كل طموح له حدود.

ذاع صيت برج اقتناً في كل الأرجاء، فكان الناس
يتواجدون زمرا إلى مدينتنا من شتى المدن لزيارة البرج
ثم يمضون، ولم يكن هذا التردد على المدينة خلوا من آثار
وميزات مصيرتنا، فقد ارتفعت أسعار نساند مدينتنا
وتجار مدينتنا ضربوا في العالم» كما يقال، فكانوا
يبيعون سلعهم بما يصل إلى من أثمان. وعندما كنا ندبى
عوضاً، كانوا يتولون، لا تشترس، وكانوا
بطرقهم بالحق، فلم نكن نشترى، زوار البرج هم الذين
كانوا يشترون، وشيئاً فشيئاً أحسستنا أن هذا البرج قد
جب علينا المتاعب والقلق، ولكن في مقابل ذلك كان
كثيرون يتساءلون أن يكون هذا البرج بمثليهم.

وذات يوم شاع بالدينة أن البرج قد هبط ومال بمقدار
اربعاً أصابع، تعلوا على الفور وقوموه! جميل! بعد
كل هذا التعب يحرق البرج.

ظلنا نذهب يومياً ثلاث مرات اواريغة لزيارة البرج،
وكنما نجتر الحسرات على اعوجاجه، وكنا نبحث عن وسيلة
ما، وحين بلغت أحزاننا مبلغها اتت من المركز لجنة اثرية للكشف عن البرج، فافقنت أنه إذا لم تقدم على حل ما فنان البرج أبد مديرة، اتخذ خبير واعطى تقديره لنفقاته جديدة لإصلاح برج الافتخار وشكلت لجنة مختصة عن لجنة، والناس في قلق وانتظار وخوف على برج الافتخارهم، إلى أن رأينا ذات يوم واحدة من الأعلانات اباما ملصقا على أبواب المدينة وجردانها، فحوله أنه بغرض الحيلولة دون انهيار برج الافتخار على الهمالى الأبرار ممن تزيد مساحة بيوتهم عن خمسين متر من الأمطار أن يدفعوا عشرين ريالا إضافية عن كل متر كعوائد شهرية، وان القرار موجود نصه بمكتب السيد المحافظ، ويعاقب المخالفون عقابا شديدا!

١٦٨

٢٠٠٠ ولم يكن هذا مزاحا، فهذا برج الافتخار، ورثنا عن أجدادنا، طي 앞으로 كر، عمره التاريخي يبلغ عدة قرون، ولكن ما ذنبنا نحن ان ننتقلي كل يوم ضريبة من آثار أجدادنا العمارية؟! كان ينبغي على من اقمنوا هذا البرج أن يبنوا حديقة، أملاكا، طاحونة، قناة، أو ايه شيء يجعلوه يقفوا على هذا البرج قبل موتهم حتى لا ينجروا حياة حذامتهم بلا جرم جنوه، من اين لنا بثلاثمائة أو أربعمائة تومان شهريا ندفعها ضريبة برج الافتخار؟ هل نطبع النقود؟ أو هل «أكلنا كبد طائر السعد»؟ تجمعنا وتقدم عدد منا وذمنا أمام مبنى المحافظة في تظاهر نهتف بانيا لا نملك مالا ندفعه ولا نريد فخار هذا البرج، فقد تركناه لكم.
لم يردوا في ذلك اليوم، مجرد وعده إعادة النظر في القرار، ولكن في الغد سمعنا أن عدداً من الدعاوى تم احتجازها وتم تعهد من المخالفين بإن خصائصهم مرة أخرى وذهب الباقون، ودفنتهم بمضض رضاهم ورغبتي ضريبية سنة أشهر مقبماً، كل شيء صعب في بدايته ولكن بمجرد البدء فإن الماء يعمر عليه، تماماً كما تعودنا على الأكل وشراء السلع بأسعار مرتفعة فقد تعودنا أيضاً على دفع ضريبة البرج، إلا أن الطبيعة بدت كما لو كانت قد تدفعت ضدها، إذ وقع زلزال بمدينتنا في نفس هذه الآونة الحرجة، واللى جانب انهيار عدد من البيوت حدثت تصدعات بالمنطقة الوسطى من برج افتخارنا.

بناءً على دورة من المستشارين تم استدعاء لجنة أثرية لمعاينة برج افتخارنا وتقدير ميزانية لترميمه، وكنا من جانبنا قد أعددنا أنفسنا لدفع عواكر أعلى وضرائب جديدة، وصلت اللجنة، وبعد شهر من الدراسة أعلنت اللجنة أن هذا البرج ليس هو البرج الذي بنى في زمن دانيال وان عمره لازيد عن سبعين أو تسعين سنة، ولا يمكن أن يكون برج افتخار، كان ذلك الأثرى والمستشرق الأوروبي (وهو الرجل البدين الملتحى ذي النظارة) قد تشبهت عليه الأبراج وأن البرج المقصود والذي كانت اللجنة تنقب عنه موجود بمدينة الظلمات، وفعل علماء الآثار مشغولون بكشف محتمل لبرج الافتخار بதلك المدينة 300 كان ماء بارداً قد صب على رؤوسنا، فقد البرج عزته وهبته، تجمعت الإدارة.

169
والتنظيمات والمكتب وكل متعلقات البرج ورحلت ، وعاد برج
انتخابنا مرة أخرى سيدهره الأولى ، فصار مأوى للكلاب
ومرحاضا عموميا ، وفي وقت الشجار أيضا أصبح مرجعا
للطريقين في السباب ، وازدادت التصدعات في وسطه يوما
بعد يوم وازداد ميله ، وعادت العصافير والحمام تتخذ من
ثقب ماسورة جداره الداخلي والخارجي أعشاشا ، ومع ذلك
لم يتم إلغاء العوائد والضرائب التي كانت قد فرضت
فبقيت بنفس معدلها ولانزال ندفع ، وبقيت الأسعار الحكومية
وغير الحكومية التي كانت قد رفعت في سبيل البرج على
حالها ، ولازمنا لا ندري هل وفق علماء الآثار والمستشارون
في كشف برج الانتخاب بمدينة الظلمات أم لا .

***

١٧٠
دفن الميت

خسرو شاهاني

كان أحد أيام الخريف الجميلة، وكانت أهواء السير على قدمي المسافة بين بيتي ومحل عمل.

قطعت شارعاً أو اثنين أسير الهزيمة، وحين بلغت منتصف الشارع الثالث رأيت عددًا من الناس يحملون على أكتافهم نعشًا متخذهن وجهتهم نحو الدافن قائلين: «لا اله إلا الله».

من ظاهر النعش وحامله الميت كان يبدو أن المرحوم لم يكن ذا شأن، فلم يكن ثمة نسوة يشتحن بالسواد حزنًا، ولا رجال على رؤوسهم قبعات وفي أيديهم مناديل، ولا نعش تزينه الورود ولا سيارة يزينها شرط دائر ولا موسيقي ولا شيء من هذا القبيل، كان ثمة صبي على كتفه عباءة وشال أخضر يتقدم الجنازة ويتلو أشعارًا يقطعها من آن لآخر ليقول: «ارفعوا أصواتكم بلا اله إلا الله».

171
أشخاص اثنان منهم حفاة الأقدام وآخر بلا حذاء وقد تقطعت أنفاسهم تحت النعش، وخمسة أو ستة أشخاص آخرين كانوا يمشون خلف النعش وياهمون القارئ الذي كان يتقدم الجنازة بمداومة التلاوة، وبعد كل عدة أقدام يتشديدون على روح المرحوم.

حسبما أمر الشرع، سرت سبعة أقدام وراء الجنازة، وفي خلال هذه الأقدام السبعة قرأت الفاتحة أيضا وطلبت له المغفرة وأردت أن أعود، ولكن لا أدرى أية قوة غامضة شدنتي وراء النعش، وكان شخّصا كان يهمس في أذني.

قائلا: «شيئ النعش... كله بثوابه... 200 شيل النعش... كله بثوابه... 200 شيل باه.»

كما كنت أهيب بنفسي أن أعود أدراج وأمضى إلى حال سببيل، كانت قدمائى تتجذبان بلا ارادة وراء هؤلاء الناس ونشعبهم 200 أسرع الخطي شينكه، فبلغت قرب النعش حتى أحمل ركنا منه، ولكن حين رأيت شخصا منهما تحت النعش وسمعت نهشه تراجعت قدمائى، وقد أطمانت نفسه إلى أن لا أقبل لي بحمل النعش، إلا أن قلبي لم يطعنى، وظلت نفس القوة الخفية تهمس في أذني: «يالاً بآه... 200 شيل... 200 ساعد... لك شراب!»

سألت أحد المشيعين الأربعة أو الخمسة الذين كانوا

172
يمشون في الجنازة عن علاقتهم بالمرحوم فقالوا: مفيش علاقة!

لم يكن للمسكين أحد في هذه الدنيا، لا زوجة ولا ولد، لا آخ، ولا أخت، ولا أهل ولا قريب، قمنا بهذا الأمر من باب الثواب، لماذا نفعل؟! همما كان من أمره فهو في النهاية عبد من عباد الله ومسلم، ومن واجب المسلم أن يعين أخاه في الدين، وهذا مسلم مات بلا حول وقوة.

رأيت ألا مجال للتردد والحيرة، فأسرعت الخطى ودثرت من أحد الشخصين حاملٍ الطرف الخلفى من النعش، أدخلت كتفي تحت النعش وتبدل الحال. لما كانت قامة الرجل الذي كان يحمل الطرف المقابل من النعش أطول من قامتي فقد اختل التوازن وانتقل ثقل المرحوم بكل ضغطه إلى كتفي.

عندما مشيت عدة خطوات أدركت قداحة الخطأ الذي رسمت به خططى، تهدجت أنفاسي وأخذ كتفي يتحرك من مكانه.

كانت التعاسة تبكي في أنثى في البداية لم أسأل أحدا من هؤلاء المؤمنين الأتقياء الذين كانوا يمشون في الجنازة لوجه الله، إذا كان المرحوم رجلاً ثم امرأة ثم طفلاً، كم كان يبلغ من العمر، وكم يبلغ وزنه، وهكذا وضعت بدني الواهين دون ادراك أو تقدير تحت ثقل المرحوم البدين الذي لم أكن أعرفه أبداً!!

١٧٣
شيئًا فشيئًا تفتحت مسام جسدي ألمًا وانهاكاً، فتصيب العرق من فتحة قميصي، وبعد مائتي متر لم أجد أحدًا من هؤلاء المؤمنين الذين كانوا يمشون وراء النعش كانهم أدوا واجبهم وان واجبٍ أن أحمل النعش وأوصله سليماً معافى إلى قبره، انشغلوا بالحديث عن انخفاض أثمان الأراضي وارتفاع أيجارات البيوت وكشف السيد أسد الذي كان بلا رصيد.

انزلق طرف النعش قليلاً من فوق كتفه مرة أخرى دون ارادة مني فانسكت به في الوقت المناسب وقررت أن أنجو بنفستي من تحت النعش وأغرى هاربًا، إلا أن رأيت أنه ليس من الإسلام في شيء أن تكسر ذراعي الميت وأموجه في آخر لحظاته، فضلاً عن حرقانه من الأهل والأقارب وما يدرني أن العدالة لن تسكن بتلابيبنا بتهمة قتله!

في النهاية، وقرب الدافن، أتى أحد هؤلاء الشيعة كان يمشي في الخلف وخلصني ان تصرفت أنتفاسي وذلت كتفي وأردت أن أعود أبناجى، فلم يدعوني وقالوا: هادى قد وصلت إلى هنا فعليك ان تكمل باقي المسافة ولا لا تحترق عين الموت.

يا أبي، ماذا فعل؟ ماذا أفعل؟ لدى عمل انجرزه، ولأ حياتي الخاصة، فلاذهب، كيف أذهب؟ وماذا أفعل حال عين الموت التي ستلاحقني؟ عاد نفس الصوت اللعين الخفي إلى التزيد?

174
روح ۲۰۰ اكسب ثواب ۲۰۰ ماترجع، لا لا ۲۰۰ روح
۲۰۰ الميت عينه عليك ۲۰۰ أنت مسلم، الخيار يعقد لك، إيه
عرفك ۲۰۰ يمكن الحاجات الصغيرة دي تشع لك في الآخرة،
وظل يهتف ويهتف حتى استسلمت.
وصلنا إلى المدافن، قمنا بالمراسم الأولي للدفن،
وعندما أردنا أن نقوم بدفن الجثة لم يكن لدينا تصريح
بدفني، ولم يكن حارس المدافن ليرضى بدفن ميت بدون
تصريح دفن، فاتجه أحد الشيوخ الأربعة أو الخمسة إلى
نائلاً: ياسيد (لم يعرفوا اسمه حتى ذلك الوقت) يبدي لي
انك إذا ذهبتي أنت تستقبل إلى نتيجة أسرع من أي منا، إذ
أن هيشتو تويحي بأن حضرتك "ادارجي"، وسيفهمون
كلامك بسرعة.
أردت أن أقول ان لدى عملا، علاوة على أنني لا
اعرف، عادت نفس القوة الخفية تهمس في آني:
۲۰۰ اكسب ثواب ۲۰۰ ضروري تقوم بال مهمة دي؟! "
قلت: "على عيني ۲۰۰ أروح ۲۰۰ المرحوم اسمه إيه؟"
سيد منير الدين اسحق آبادى عاقبت طلب محمدى بور
فردزاه!؟!، قلت "انتمش قلت دلوقتي أن الراجل الليت
ده مالوش حد؟".
على أية حال، ذهبتي إلى إدارة الوفيات، كتبت شهادة
الدفن، ولكن بما أنه كان بلا أقارب فقد سألت الموظف
۱۷۵
المستول عن اصدار شهادات الدفن عن اسم صاحب الیت
لذونه.

قلت: والله أنا ماعرفش، حضرتك اكتب الاسم اللي
يعجبك؟، فقال: ماينفعش، لازم يكون المرحوم صاحب
أو ريث، من غير دول مش ممكن اصدار تصريح دفن، وانت
ايه علاقتك بالمرحوم؟

قلت: أي علاقة تعاسبها؟

ضاقت صدر ذلك الورد موظف تصاريح الدفن فمزق
الورقة التي كان قد كتبها، وقال في عصبية: احتفظ
ببخشبة حضرتك على الأرض لحد الجثة متعفنن، قلت:
لم العصبية ياسيد؟! هذه ليست جنازة أبي، هل ارتكبت
جرماً إذ شيت سبع خطوات وراء النعش حسب أوامر
الشرع؟!

قال: لا تكثر الكلام، هل تريدي أن أحرر تصريح
الدفن باسمك؟

نظرت إليه شدرا وقالت: لماذا تحرره باسمي؟

قال: اقصد أن ادون اسمك باعتبارك صاحب الیت

قلت: وبعدين معاك يا أستاذ 000

قال: مفیش بعدين، كل حاجة لها أصول 000 ولا

أيه؟

١٧٦
لم اجد مفارا ـ كانت جثة الرجل ذلك العيد من عيان
الله باقية دون داع على حافة القبر وعينه على الطريق ـ قلت
كتب ماشئت ـ فدون اسمي في الورقة باعتبار وريث
الميت وصاحبه وسلمها لي ـ اقلني التاكسي مرة أخرى
عائدة الى الدافن ودفنت الجثة ـ ونظرا لأن المرحوم كان بلا
أهل ولم يكن مشيعوه يملكون سوى بعض عواطف واحاسيس
إنسانية وشعور ديني فقد اخذوا مني سبعين أو ثمانين
تومانا هي كل ممانكت وأعطوها للمغسل والتربي وساقتي
القبر وموزع التمر وخباط الكفن وما إلى ذلك ـ ومشاعينا
باتجاه المدينة ـ وفي الطريق تحدثنا عن سنجاتها المرحوم
ومحاسنه وغربته ـ فتبادلنا الأحزان وعلنا الدنيا وغدراها
وتصيقنا عليها ـ وتقرر انه مدام المرحوم بلا أهل وعينه على
dنيا فلنتذهب الى منزل يتقين للمرحوم سرادقنا لقراءة
الروضة فيتم تذوابنا ويكتمل ـ

في الطريق اصطحبنا مقرنا وميضينا جميعا الى دار
واحتشينا الشاي والقهوة واقعنا سرادقنا لخيتة المرحوم
بصورة مشرفة ثم مضى الناس الى حال سبيلهم وعدت
أنا إلى حياتي المالحة ـ

بعد عشرة أيام من تلك الحادثة أو خمسة عشر يوما
لا أدرى ـ عدت يوم الى بيتي فوجدت رجلا يربو على
الأربعين بثلاث أو أربع سنوات وامرأة في نفس السنين
وخمسة أطفال صغار وكبار وقد جلسوا متحلقين بالغرفة

177
( م 12 ـ القصة القصيرة )
يا كلون البطيخ، فسلتمت وانطلقت المرأة بالدعاء لي باب
ينعم الله على بالخير، «اللهى تمد يدك إلى التراب فيصير
ذهباً»، «نور الله قبره إذا أنجب وترك من ذكراه ابناً»،
نحن ممنون للغاية، عوض الله عليك إذا لا نملك ما
نعموسك به»، وما إلى ذلك.

لا أعرف حتى الآن ما هي القضية ومن يكون هؤلاء
الناس، من ثم أخذت أخشى وأعتدل وأرد التحية قائلاً:
"ممنون جداً، 200 متشكر، 200 ابداً، لم أفعل شيئاً 200 0 0،
00 الآن 200 نعم 200 بكل سرور، العفو ياهام 200،
200 0 0 0 0 0 0

ففي النهاية اتضح أن هذه السيدة ذات العباءة
هي شقيقة المرحوم الذي انتهى أمره منذ عشرة أو اثني
عشر يوماً مضت، وهذا السيد هو زوج شقيقة ذلك
المرحوم، وقد أتيا وبصحبتهما الأولاد لزيارتي، ولكن من
أين لهم بعوانى؟ لا علم لي، لعلهم حصلوا عليه من أحد
من أولئك الأربعة أو الخمسة من المؤمنين الذين كانوا
يضمون بالجنازة.

لا أطيب عليكم، تناولنا الغذاء معا وقتم على خدمتهم
في العشاء والنوم، وفي صباح اليوم التالي ومبكرا جدا
وجدت موظف البريد على الباب حاملاً إلى برقية من الأهواز
فتحتها البرقية، بعد العنوان المفصل للبيت كتب ما يلي:
"السيد فلان، سنصل مع الأولاد في قطار الساعة
الثامنة مساء، انتظرنا، سيد سبحان الدين".

178
ما معنى هذا؟ في أثناء حديثي مع نفسي ومع الأولاد.
بيني لا أعرف أحداً يدعى سيد سبحان الدين هبت شقيقتة
الرحوم سيد منير الدين من مكانها واتجهت في حبور لم
أر مثله على وجه أحد من قبل في حياتي إلى زوجها عريض
القفا الذي كان منهمكاً في تناول طعام الافطار هنيئاً مريئاً
باذن الله وقالت:
"ياسيدي مجتبى 000 ده تلغراف من سسيد سبحان
الدين!"

"0000000000"

ألفت نظرة إلى وجه شقيقتة الرحوم تغمدته الله برحمته
وهى في سرورها وقالت:
"كيف كان ذلك يا هائم؟"
قالت: "مفيش 000 ده السيد سبحان الدين يتاعنا
أنا جاي؟"
قلت: "آه 000 أنا عارف إنه جاي 000 لكن إنه
شأن حضرته؟"
قاطعتني قائلة: "آخر الرحوم منير الدين!؟!
ثم نهضت وابتغت البرقية من يدي!"
"انها لي ، أليس كذلك؟!" في الظهيرة، عدت إلى البيت ولم أدخل من الدهم
179
الى داخل الفناء حتى هرعت إلى ابنة أخت المرحوم سيد منير الدين — وهي طفلاً طفيلة في السادسة أو السابعة من عمرها — قائلة: «خالى حبيبي، خالى حبيبي (وهذا أنا)، عمى سيد سبحان الدين ومرات عمى وخديجة وكلغم وزفت الطين ورجب وفاطي جم!»

شببت بقدمي على الدرج بداخل الفناء ووقفت على أطراف قدمي واتقيت نظرتي من بعيد خلال نافذة الحجرة المطلة على الفناء. لا لا لا هذا صحيح، لقد أتيت عمى سبحان الدين وامرأة عمى وأولاده من الأهواز.

وضعت كيس العنب والبطيخ على جانب من الغرف ودخلت، فنهض سيد سبحان الدين من على الأرض وهو ماشاء الله — بدين وتحت جلده وفرة من الشحم، جذبي من قفاص وقبلتي وقبلته، ومرة أخرى بدأت كلمات الشكر من جانبي والرد المتواضع من جانبي، لا أطيب عليكم كانت لدى شورية خضار ولكن لما كانت الشورية لا تروق لزاج سيد سبحان الدين، إذ كانت «تنفخ» بطنها فقد أرسلت في طلب عشر أو اثنتي عشرة بضعة طازجة، وصنعت عجة وقدمتها لسيد سبحان الدين.

ولما كان «الأفندي» غريبًا في تهران ولا مكان له فيها فقد «تنفصل» بقضاء الليل في داري، وكان أولاد سيد مجتبى قد رأوا أولاد عمهم بعد فراق طويل فقد اشتاقوا لأن يقضوا الليلة أيضًا في بتى ليلعبوا مع أولاد عمهم.

180
وفي صباح الغد وفي أثناء تناول الإفطار التفت السيد سبحان الدين إلى سيد مجبب زوج أخته قائلاً: » لا قدر أن يفقد السيد نصر الدين عنوان إلى هنا! 

بلا إرادة منى دارت رأسي فوق رقبتي وتمدعت نظراتي في عيون السيد سبحان الدين وقلت بصوت يقطر توسلاً:

» أي عنوان قلت ياسيد؟! 

قال ببرود: » ابداً عنوان بيتك! 

قلت: » هل هناك المزيد?! 

قال: » سيد نصر الدين منا! 

قلت: » أعرف، ولكن... 

قاطعوني السيد مجبب قائلاً: » إنه عديلي بمدينة شاهرود! 

قلت: » هل تقرر أنه سيشرفنا؟... 

قال السيد سبحان الدين: » نعم، أرسلت إليه برقة قبل أن أتحرك من الأهواز بثلاثة أيام واعطيته عنوانك، ولكن الآن لا قدر أن يفقد السيد عنوان 000... 

وبابتسامة كريهة نفدت إلى لب عظامي أضفاف: » قدبينكم كبيرة للغاية والاستدلال على عنوان بها أمر صعب... 0

181
قلت: «لا، العنوان مباشر ياسيد، وليس صعبة».
ولم تكد عبارتي تنتبأ ويسمع رجع صوتي تحت سقف الغرفة حتى رن الجرس، ففتحت الباب، عرفت من سحنة الطارق أنه هو السيد القادم من شاهرود، لف سيد نصر الدين يده حول رقبتي في ردهة الباب وأخذ يقبلني وكانهم قسم الله ظهورهم - قد تعلموا فنون المصفحة والعناز في كتاب واحد.

دخل سيد نصر الدين وأم العيال والعياش وعددهم ثلاثة إلى الغرفة وتجدنت الذكريات ٢٠ ونائنا أمام هؤلاء الناس الأوفياء بلا حيلة سوى الترحيب، فبدأت مرة أخرى في الحديث والمجاملة عن سجايا المرحوم الأخلاقية وعظمته، ومر أسبوع على قدم ضبيهى وقد فاض التعب على في جوارهم، وفي ظهر يوم وبعد الغداء قال سيد سبحان الدين حفظه الله:

والله ياسيدنا فلان نحن ممنون لكل ما تحملته من متاعب من أجل المرحوم، وفي اثناء هذه الأيام العدة التي مكثناها، ولكن لدينا أعمال، فأوضح طلباتك حتى نعود إلى بيوتنا وحياتنا في أقرب فرصة».

نظرت إلى السيد وقلت: «أي طلبات ياسيد؟»

قال: «توليت أمتي الموت على كل حال!»

قلت: «توليت أم ميتكم رحمة على روح أبي وقبره».

١٨٢
لم أفعل سوى أنني مشيت سبع خطوات في الجنازة حسب
أوامر الشرع ».

قالوا: « كان المرحوم يمتلك الكثير »

قلت: « وما شآني! زاده الله من نعمه! »

قالوا: « بحثنا فوجدنا اسمك بتصريح الدفن أمام خانة
الوريث وصاحب البيت، وقد تم تسجيلة بالدفتر، وكتبنا
التماسا بالأمس، هل يصح ياسيند فلان أن تأكل مال
القصر بهذه البساطة؟ أن أموال المرحوم. تؤول لهؤلاء
الصغار لا ذلك، لا يرضى الله أن تطمغ في ميراث وثروة
حقنها من الصغار ».

أدركت أن القضية أكثر جدية مما كنت أظن، فأخذت
اتسول: " ياسيند، أقسم بالله وبكذا وبكذا أي لا أدرى
أي شيء، عما تقولون، أنا لم آر المرحوم في حياتي، لا
أعلم أين كان بيته، لم أفعل سوى أن حملت نعشي على
رقبتي - ليتها انكسرت، ولم أفعل غير ذلك، لو كان
المرحوم يملك شيئًا فلابد أن أكله أولئك الأربعة أو الخمسة
من المؤمنين الذين حضروا تشبييع الجنازة وأعطوكم
عنوانى! »

لا أصدق رووسكم، خلال شهرين كاملي جرني هؤلاء
الثلاثة إلى المحكمة وقسم البوليس وإدارة الوفيات وإدارة
الإحصاء والتعداد وإدارة ضرائب المواريث وديوان الدولة

١٨٣
وديوان الحكومة وديوان بلغ وادراة الأموال بلا صاحب
وبيت المغسلم والى كل مكان يخطر بالكلم، وفي النهائية
وبعد أن توصلت وأقسمت الايمان ضقت بالأمر فكتبت
اشهارا ووقعته باسمى ونشرته بالصحف ودفعت اجره من
جبي ونصه انى لا تربطني بالليلت اية صلة أو قرابة، ولم
أى أمواله، فوافقوا على أن يأخذوا ما تيسر منى ويسفحوا
على

الآن وقد ذهبا وتخليصت روحي من قبضتهم لم تتركنى
ادارة ضرائب المواريث حيث تقول:

» عليك ان تدفع مبلغًا سنويا كضريبة عن
الميراث الذي آلت اليك عن المرحوم المغفور له سيد
منير الدين اسحق آبادي عافيت طلوب محمدى بور
فردراده « أظلم الله قبره » 

» ما العمل في ذلك؟!

* * *
القصيدة

بهرام صادقى

قبل الظهر في أحد أيام الثلاثاء من شهر نوفمبر
الصرق الإعلان التالي على الجدران بكل أرجاء مدينتنا:

« لن تقبل المستشفى الحكومي المزيد من المرضى
بعد الآن، وذلك لتكبد مرضاً، وعليها
بمقتضى التوصيات الصريحة لجلس المدينة ووازامير
فخامة السيد المحافظ لن تقبل أيضاً أي نوع من
الوصية أو الوساطة، وعلى جميع الأهالي الشرفاء
الغيرين بهذه المدينة مراعاة مضمون هذا الإعلان
وتنبيه المرضى الوقرين ».

بعد الظهر نفس اليوم مس الجنون اثنين من اهالي المدينة

(*) من مجموعة سنكر ومقمة هاي خالي، 1969، زمان،

تهران.

185
الشرفاء» الخيورين مما اعتبرتهم سابقة القلق المادي والوراثي والمعنوي ولاحقة المشكلات الأسرية، ولو أن الحالة في هاتين الحادثتين قد تفاوتت في أسرة كل منهما—أسرتي السيد «وحداني» والسيدة «شيرين هانم».

كان السيد وحاداني سليماً معاً حتى الظهرة، عاد متعباً منها كعادته من شارع «غريدي» ورد تجاه بئاته وبناته وأماراته الخليصة الحنون ودخل غرفته، بعد نصف ساعة استعان خادمه العجوز، وانه يتحدثها همساً لبعض الوقت ثم أذن لها بالخروج من الخزيفة، وحين خرجت الخادمة كانت تسكن بورقائ مكتب بتوزيعها على كل سكان البيت.

أخذت زوجة السيد وحاداني احدى هذه الورقات، ولا كانت على غير اليوم تام بالقراءة والكتابة فقد لجأت إلى اولادها، كان ابناها وكذلك بناتها الثلاث لإزالون في عجب من الأمر، وأخيراً قرروا أن يقرأوا نص الورقات التي صبعت على نسق واحد، فآسكة ابن الأكبر—ابن البكر للعائلة—بأحدى الورقات والتي طبع أعلاها خاتم المتجر السابق لأبيه، بينما ركز الآخرون عيونهم على فمه:

«لقد افلست حتى مدة، تعلمون ذلك، لكن لماذا؟

اجيبوني!»

186
فقدت مكاتني وكرامتي وحياتي منذ عشر سنوات، من كان يتصور أن يضع يدًا متجرى بكل أجهزته الضخمة المنظمة؟ أين لكم من هو أصدق وآمن مني؟! تعبت سنوات، واستنفدت طاقتي كالكلب، حين كنت في شبابي كنت آكل وجبة وتفوتي وجبة، حرتني نفسى كل لحظة حتى الراقي يحق وعدل يليقان بي، وقتي امراتى وأطفالي عثرات التعاسة، أنا الذي كنت يومًا لا يزيد عن شخص تعس يأكل الجوع في دار أبيه، بلغت بتعليمي المتوسط ونشاطي الدؤوب إلى درجة أن انشغلت بمتناصرة أكبر تجار العاصمة، كان ذكائي واستعدادى الفطريين سبباً في أن اوجه كل حادثة مهما صغرت إلى صخاخ تجرتى، باختصار تضاعفت ثروتي في غضون عامين أو ثلاثة، بلغت أموالي أرقاماً خرافية، وأحببتكم حياة مترفة بلا منغصات، ولكن قولوا لي لماذا أفلست؟ اذهبوا وأسألوا الحكومة، والغرفة التجارية، وزعيم المالية، ورئيس جمهورية ألمانيا، هل هذا جزء عمر من النشاط والكفاية الصادق؟!

في هذه السنوات العشر من البطالة كنت دائم التفكير في سبب بؤسى، هل حل خلل ما باستعداداتي وذكائي ومعدل فعاليتي؟ مطلقاً، أبداً أبداً، كان لكل شيء آخر عكسى على، كنت آدام الليل، أديت فريضة الحج، كنت استيقظ في الصباح، نشيطاً، وأودى الزكاة، باعوا ديابروا وأشمنها ديوانى، صمدروا بضايعى،

187
استولوا على أموالى، وكان كل الناس يهثونى على آني لامدخل السجن، الآن وقعت في ضائقة، أريد عملا! دبروا لي عملا! داهمتى الشخوخة وكذلك زوجتى، وانتميا أطفالي الأبرياء تحمر وجههم من اللحم، كفى، لا مزيد قررت أن أكافح قدر طاقتى وأن أعبر بأعلى صوتي عن آلامى وأحزانى، ولا بد أن أقابل رئيس جمهورية المانيا، ووزير الاقتصاد الأمريكي على وجه الخصوص، ولهذا الغرض احتاج إلى مكبر صوت خشبى أصرخ فيهم به، أود لو يعلم الجميع أن لي اليوم صوتًا عالياً، أضواء – وح단ى

رغم ذلك لم يبد أي قلق أو اضطراب على أي منهم في اللحظات الأولى، ولو أن لقاء رئيس جمهورية المانيا ووزير الاقتصاد الأمريكي كان يبدو ضرورياً من الحمق بعض الشيء، وكان الصوت العالي شيئاً لا سابقة له في حياة السيد وح단ى.

في الساعة الواحدة والربع بعد الظهر بلغ القلق والاضطراب مبلغه في قلوب الأسرة حين تعلت من غرفة السيد وح단ى أصوات ثائرة، كان السيد وح단ى يتلو في وضوح وقوة أشعارًا من شاهادة الفردوسى على طريقة جمعيات الفتوة ويدق على اغتامها على صسندية فضية كبيرة كانت قد بقيت من عهد الثراء.

188
لم يعد الصرير جائزًا ، ولا كانت هذه المدينة خالية
من مستشفى أو من طبيب متخصص في الأمراض النفسية
استقر الأمر فيما بينهم على أن يلحقوا الأب بمستشفى
الأمراض العقلية بسرع وقت ، كانت مدينةنا القصبة هذه
هي المدينة الوحيدة في كل هذه المنطقة الشاسعة أو — على
حدود الإداريين — الوحيدة بكل هذه المحافظة التي حظيت
بتعمة وجود مستشفى للأمراض العقلية ، حتى مركز
المحافظة لم يكن به شيء كهذا ، وفي العاصمة بدأوا مؤخرا
في إنشائها ، كان المحافظ في محافظتنا يختار مرسحا بهذه
الميزة ، ولو أنه أحيانا يتحسر على وجوده في هذه المحافظة
الهادئة المفعمة بالأسرار والثيقة بالبيداء المتراوية الأطراف
وحيدة تفصلها أمثال عن الدهب البهيجة الصافية بالحركة
والعمران النشيط ، كانت صحف المركز تطلق على مدينتنا
واطرافها اسم — المنطقة المنبوذة » ، ومن حين لآخر كانت
تورد على صفحاتها حكايات عن بلاءة قاطنيها وسفاهم .

ربما كان الأمر كذلك ، إذ لم يكن مستشفانا كسائر
المستشفيات ، إذ لم يكن أي من القواعد العلمية أو العملية
مرعاه فيه ، بل ولم يكن معرفا مدى اشترط الإدارة
الصحية عليه ، في الحقيقة كانت تدير هذا المستشفى العظيم
الرمزى جماعة لم تر ايا منهم أبدا ، ولم تكن تلك الجماعة
تشارك في اجتماعات المدينة وكانت تشعر كقائمة قد انتشرت
فجأة وذاعت في المدينة والصحراء والقرى النازية تقول ان
رئيس المستشفى طبيب مجازى هرم يساعد عدد من الأطباء

١٨٩
المسلحين والمرضى الآخرين هرما، أما المسائل الأخرى من قبل ما إذا كان هذا المستشفى حكومي أم أهلى، وكم يضم من المجانين وكم تبلغ ميزانيته، وما إلى ذلك، فهي أشياء قد ظلت في الغموض وبالتالي أضحت غير دينية.

نفيت أسرة السيد وحادانى قرارا، فوصلت شيرين هانم برغبة الأسرة إلى باب المستشفى نسخة متأخرة نصف ساعة.

يقع مستشفانا بأبعد أحياء المدينة وأشدها خرابا. في الواقع كان أشبه بقلعة حربية، بابه الأسود الضخم مغلق دوما تحيط به أشجار الدلاب العتيقة الضخمة من كل جانب.

أتت أسرة السيد وحادانى وأقارب شيرين هانم وقد أفقو لنظام من تأثير الضريبة الأولى المشروعة النافذة، جاءوا إلى باب المستشفى المغلق يستطعون الأمر، كان الابن الأكبر يتخذ موقفا معارضا، إذ اقترح الذهاب بالأدب إلى العاصمة والحاكم بمصحة خاصة، وكانت الأم وبناتها يعتبرن هذا الأمر ضريرا من المستحيل مع ذكر الأرقام والشواهد، إذ لم يكن المال الكافى لملته غير متاح، أما السيد وحادانى الذي كان قد ترك صنيعته القضية بالبيت فقد أخذ يضرب على بطنه ضربا رقيقا وينشد بصوت خماسي.

١٩٠
اصيب أقارب شيرين هانم — الذين كانوا قد اتخذوا ركنًا قصيًا يجتنبون شكوكهم وسوء ظنهم — بالصدمة من جراء مواجهتهم لجماعة أخرى، وسببه اطلاعهم على الضمان الصارم المرير للإعلان المصاغ على باب المستشفى، وهي نفس الصدمة التي أثلت بأسرة السيدة وحادانى بدورها في الدقائق الأولى، كان أقارب الذين لا يحصرون عدداً لسيدات وبنات في أعمال مختلفة: عجائز حديثات لا تساويان لقمة خبن، ونساء سمنيات وفتيات يعانين حسنات ذات أعين سوداء شيطانية، ولم يكن يرفقتهن رجل واحد.

نسنست أسرة السيد وحادانى فجأة ولى نعمتها واستغرقت في الفرجة على هؤلاء النساء، هل لنا أن نقول أن هؤلاء النساء كن يرتدين جميعاً ثياباً وعباءات سوداء مسكة وقد وسمن حراجبهن وطوقن أعناهج وأنعهن بحلقات ذهبية؟، قالت امرأة السيد وحادانى لنفسها: «إن لنا صلة بعائلة دينية تليقة.»

جلست شيرين هانم على ركوب المصاطب الحجرية، العريضة أمام باب المستشفى في مواجهة السيد وحادانى، وقبل أن تنثرش منديلها على ركن منها صاحت:

— أنا ثور، أني ملك أيها السيد البجل! لا تندعه؟ 

انها ثور! هل تفهم؟»

191
صرت السيد وحدائي فجأة عن انشغاله بشأنه ونظر إليها : 
--- لماذا ؟ لماذا ؟ أنا معدهش ، أنا لم أر ثورة مثلك من قبل .

نهضت شيرين هانم ومضت باحمة نحو أقاربها ، ثم قالت وكأنها قد سرت :
--- أخيرا ادرك المرء حقيقة وجوده في هذه الدنيا ،
والاهم من ذلك ان يندميش !

عاد السيد وحدائي الى انناشيده على مصاطبة المستشفى ، ولكن بصوت اهدا واشذ حذرا ، وكان من حين لآخر يختلس النظر الى شيرين هانم التي دخلت في زحمة النساء من اقاربها .

أى جوار المستشفى ومن وراء طابور من اشجار الدلب كان ثمة طريق يؤدى الى أراض بور بلا زرع ولا ماء خارج المدينة ، كان ذلك الطريق يبدو في هذا الوقت من بعد الظهر عريضا جافا ومحشا ، قطعان من الأنعام والماعز تساق إلى المنبع بالمدينة ءجعت على مرتفعات الصحراء ووديانها للطبار للراحة قبل الموت ، كانت أغناها سعوداء وقد اصطفت متناقرة في عدة خطوط متقاطعة تجز أفواهنا وحاما القصيرة في سكينة ، كانت تبدو من بعيد وكأنها جماعات من اللاجئين الجوعى والعطشى وقد تلاصقوا خوفا بانتظار

١٩٢
الطاعون والسكليرما، مريدين الأوراد والأدغمة دون جدوى.

سرعان ما بلغت أحداث شيرين هانم مراحل مخجلة دقيقة: فترك الثور مكانه للخنزير، والجوارد للإنسان، الإنسان الذي يعبر عن أدق دقائق أفكاره وتفاصيل عملية التزاوج، اصطُطفت وجوه الفتيات بحمرة الخجل، الفتيات سود العيون اللاتي كن يمنحن أولاد السيد وح단ى ابتسامات أكثر من ذي قبل، وجعلت النساء والعجائز تصفين بذان أشد جدة حتى لا تفتهن كلمة، توالت عشائر الطرقات على باب المستشفى الحديدي الضخم بمقبضه الأسود المخيف دون جواب إلى جانب ذلك كانت صرخات النساء القعيدات تشتد بحقوق ليهن بدعوى مكانهن والشهرة التي تنممت بها عائلاتهن، وعلت أصوات أولاد السيد وحدانى الحادة تتحدث بحماس وإيمان عن الحرية النفسية وحقوق الأفراد ومستقلية مدير المستشفى مما دل على أن إعلان المحافظ لم يكن له أدنى تأثير، وإن أحدا لم يصغ إلى تعليماته الصارمة.

كانت شيرين هانم تبدو امتحنة قدرة المظهر في الأربعين من عمرها طويلة القامة لها عينان حريتان بلا حيا، وكان وجودها يبدو غريباً بين هؤلاء النسوة المستشحات بالسود اللاتي كان لكل منهن حزن من الحسن والتوافق الدينى النسوي، كانت شيرين هانم لاتزال

١٩٦٣
(م ١٣ - القصة القصيرة)
جلس على المصطبة تروي حكاياتها التي لا تنتهي عن الأعضاء التناسلية والأمور الجنسية، كانت أسرة السيد وحذاني وآقرين شيرين هانم – الذين ما كانوا ليتعارقوا ويتقاربا في فرصة غير هذه – قد جمعت بينهم التعاسة المشتركة (وهذا حدس من جانبيا) فتركوا مرضاها وحدهم وجلسوا متعلقين تحت شجرة الدب العجوز الزليلية يتواصلون.

كانت امرأة أشٌرورين هانم طلقتها زوجها وتزوج بأخريات، التحق ولادها بالجيش وفي إحدى حروب الوطن ذات حلاوة الشهادة، وأينتها أيضا بعد أن تزوجت أصابها السرطان، إلا أنها توفيت وهي تضع وليدها.

قالت احدي الفتيات أن شيرين هانم كانت مصابة بالوسواس منذ بداية حياتها، وفي الليل كانت تحف أن يلدغها الثعابين، وكانت أحيانا تتخيل نفسها وقد جلست بضمنك تأكل الكباب، ولكن للأسف كانت شرائها الكباب، تلك القطع المثيرة الخفيفة، لا تنتهي أبدا وكانت تتطاير من الطبق بلا انقطاع وكانها خيط وتهبط بفمها.

فتاة أخرى لها يدان سميتان بضاوتنا انقرست أسوار الذهب على رصغيها وحفرت عليها أطواقا تحدثت قائلة أن شيرين هانم كانت تهوي الاطلاع وتقرأ الكثير من الكتب وانها بدأت مؤخرا تنظم الأشعار العاطفية، وجدت 194
الفتاة الجميلة الفرصة لكي تزين من عرض يديها وراسها ونديها

كان السيد وحداني وشيرين هانم كلاهما جالسين على
المصاطب بعيداً عن عائلتهما، وقد انخفض صوتهما وختت
من الإرهاق، فأخذا ينظران كل إلى الآخر، كانت العائلتان
مسورتين بأن أهل المدينة لم يعرفوا بالحادث بعد، وإن
كرامتهما لاتزال محفوظة، ولا غريبة في الجديه للفرجة
على الأرضي، في ذلك الوقت كانت ثمة مسألة مقلة
تعذبهمها: هل من الممكن - حتى ولو كان بالضغط م смысл -
أن يقبل هذان الكائنان وان يعالجا؟ يعالجا؟! 

١٩٥

* * *

أخيراً وفي الساعة الرابعة من بعد الظهر، انفتح باب
المستشفى، ذلك الباب الأسطوري المهول نصف فتحة،
مثيراً في الجو ضجيجاً عائياً وتراب، وكأنه لم يفتح منذ
قرون، برز قليلاً من وراء الباب شيخ مهيب بدين يرتدي
رداء أبيض، خيمه الصمامت على الجموع وتهذلوا عدة
خطوات إلى الوراء، لا ريب أن الشيخ البدين إذا الرداء
الأبيض قد ظن النساء المشحذات بالسواءة حدات اصابها
الذرع لحضوره فترجعت، ابتسم:

تقدم ابن الأكبر للسيد وحداني وقال:
-- سيدي الطبيب!

قال «الطبيب»:

-- نعم، أرى، ولكن ألم تقرأوا أخبار المحافظ؟ أثرت كل هذا الضجيج دون مثني، ما لم تتسرع لدينا حتى الخطرين من المجانين ممن يقينون بالسلاسل، لعلكم تدهشون حين أقول إن مكان حتى لنا نحن.

-- رغم كل هذا فلا لننا متعلقين بهذه المدينة، لقد صغرنا خدودنا، أوليناكم كل احترام، كما أن عائلاتنا لا تسمح لها كرامتها بأن تطلع على أسرارها سواءكم انتم وتنظيماتكم.

-- يمكن لكم أن تحيلوه إلى المسؤولين المختصين.

-- لا نريد أن نأخذ مرضاًنا إلى المركز، هذا يقوق طاقتنا، كما انتا نريد حقناً، ينبغي أن يكون كل شيء على المشاع، حتى المستشفى.

-- كم شخص هم؟

حينذا خلق السـيد وحادي نفسه من يد زوجته وخدامته واندفاع إلى الأمام وصـب صوته المصم للاذان على رأس الطبيب ووجهه.

-- أفلاس وبطالة ٠٠٠ هذا يخص حياتنا، مقعد وفراش ٠٠٠ هما كذلك من صميم حياة أولئك السيدات.

١٩٦
 وأشار إلى شيرين هام وآقاربها، أخفى الطبيب جزءاً أكبر من جسمه وراء الباب وقال:
- حالة مريضكم غاية في السوء، علينا أن نتدبر الأمر.

 أمسكت شيرين هام بيد السيد وحداني وانخرطت في البكاء، تقدمت الحدآت بأسماوات، فقال الطبيب:
- تأخذهما ونفحصهما، ونبلغكم بالنتيجة، ربما نشفيفهما تماماً

 قالت إحدى النساء:
- ولكن يجب أن نعرف ما يجري للهما، ربما احتجزتموهما، حينئذ ماذا يحدث لهما؟ لا أحد يعرف خبايا أموركم...؟

- هذا مستشفى، ماظنكم؟!
- حامن أحد خرج منه، لا يدري أحد ماذا يأكلون، وما نؤلوهم، وكيف يعاملون، ألم تسمع مايقال من انكم تقتلون الجنائيين هامنها؟ تلقونهم في زيت محمى أو تشنقونهم؟

 لمت عينا الطبيب وقال:
- انا اكتشفي ما هنا، ولكن ماذا عسانا أن نفعل، مثل هذا يقال دائماً عن مستشفى الأمراض العقلية.

 197
قالت احدى الفتيات:

أيضاً أُمزح - يختنقون.

في نفس تلك اللحظات الأولى، تملك الانهاك الجميع، حسن، ما فائدة كل هذه المفاوضات العقيمة الغبية؟ اليّ من الأفضل أن ألحّقهما بالمستشفى وتمرض كل إلى حال.

198
سياسه؟ وعلى أية حال ما هي قيمة السيد وحادانى وزهيرين
هانم حتى يهدّر كل هذا الكلام فيما لا طائل من وراثته.

فجأة اختفى الطبيب، خرج حارس البوابة لتين البنيان
والذي كان يبدو وكأنه قد تحجر في مكانه، وأخذ السيد
وحادانى وزهيرين هانم إلى داخل المستشفى، تبعتهما
عائلاتها بالنظارات الأخيرة، دار الباب التاريخي الهائل
على كعبه محدثاً صوتاً يقبض القلوب، وثار الغبار مرة
أخرى من ثناياه، وفي نفس الفترة القصيرة التي كان
الباب فيها مفتوحاً إلى منتصفه كانت امرأة السيد وحادانى
قد رأت صقصافة مجنونة ضخمة وقد انتشرت أغصانها حول
حوض ماء ورأت أيضاً مقعدين خضرائيين وتمثالاً حجرياً
لأسد يضحك.

كان الوقت قرب الغروب، وكان النسيم الطيف ينشر
الجوز الرائحة المتصاعدة من مطبخ المستشفى وكان راعى
الغنم ينشد بصوت هادئ، حزين، بعد ساعة، أي في نفس
الحظة التي دقت فيها ساعة المدينة العتيقة باليدان خمس
مرات، افتح الباب مرة أخرى، وفي هذه المرة كان
الحارس لتين البنيان يخفى نفسه وراء حديد الباب، ولم
يكن ثمة طبيب، ظن الجميع أن الباب قد فتح من تلقاء
نفسه بوسيلة خفية، صف من أشجار البذور الصغيرة
وبكرة وعدد من المقاعد الخضراء وأمراة عجفاء منثورة
الشعر نصف عارية تستند إلى شجرة وقد ربطت حول

١٩٩
معصمها أصفاد سوداء، كانت أشياء وقعت عليها عينا
امرأة السيد وحاداني من زاوية أخرى.
قال الحارس بصوت أجش:
ـ تم توقيع الكشف عليهما، حالتهم وخيمة ميؤوس
منها، لا حيلة لنا إلا أن نقنبهما.
قفزت النسوة المتلشحات بالسوداء وعائلة السيد
وحاداني غبطة، كل تهنئة الأخرى على ما تم إحرازه من
نجاح، قال الإبن الأكبر للسيد وحاداني:
ـ لا ينبغي أن نحضر من أجلهما شيئا؟ فيبا،
غذاء؟ لا يجب أن نوقع على أوراق ما؟ أين من مراسم؟
ـ لا.
اغلق الباب، وعلت أصوات الرضا والسرور من
العائلاتين، فقد تخلصت على الأقل من اهادات الكرامة
и نظائر الجيران المنقبة ونفقات باهظة ورعاية مجانين
خطرين، ولكن لم تعد ثمة رابطة بينهما، لأن 333 ربما
لا تشتركان في التعاسة (وإذا حدس من جانبنا)، لذا
فقد انفصلت عن بعضهما البعض، نظائر أولاد السيد
и وحاداني، في هذه اللحظة الأخيرة حين كانت العائلاتان
توعدان بعضهما البعض قد امتزجت بالنظرات السوداء
الشيطنية للفتاتين الحساستين البدينتين وتوقفت قليلا،
وقعوا المعهد فيما بينهم.
٣٠٠
كانت الشمس مشرقة على الأسطح ونشوة تموح في الجو، كان هناك عدد من أهل المدينة يمرون بجانب المستشفى، ألقوا على الفريقين نظرة حادة متشوكة بسقوط الظرن، كان صوت النايف قد خمد، وفي الصحراء الحريطة، تناثرت قطعان الأغنام تارة وراءها سحابة غامضة بلا شكل محدد من الغبار، كان الراعي يقودها نحو مصيرها الدامي.

كلما كانت العائلتان تبتعدان عن المستشفى كل في طريق كان هذا الناء الهائل يبدو وكأنه يكبر ويفقد محدوديته بدلاً من أن يتصغير ويدق حجماً، وصلت أسرة السيد وحاديب بسرعة إلى البيت، وبذات حياتهم الرتيبة الملهية، في روح لابن الأسرة فقط ومض شعاع من أمل كمضى بحافض الضوء.

اضطر أقارب شيرين هانم إلى قطع الطريق في مدة أطول عبر حارات المدينة الضيقة المتداخلة كانت منزلتهم بعيدة بعيدة، كان يلفن رؤوسهن ببعاءاتهن السوداء، فلا تبدو من كل منهن سوى عين واحدة دون الأخرى، في تلألئه إحدى الحارات التقين بجمعية يحملون على اكتافهم نحشا في الطريق إلى المدافن، انتهت النسوة المشحاته بالسواد جانباً وقرآن الفاتحة همسا، ثم استأنفن الطريق، وسط غبار غروب الحارات.

٢٠١
لم نسمع عن أشياء سرية إلا في الأعوام التالية، شائعات كانت تصدر من المدينة نفسها وتنتشر بالبلد والقرى المحيطة ثم تسرى بالمنطقة المنبوذة بأسراها، ثم تعود ثانية إلى حارات المدينة الترابية الضيقة، وفي الليل تتريث تحت الأسقف الخشبية، وحول فرن الدفاة، تزوج ولد السيد وحده من قواتين من امرأة دينية ورحاها بهما إلى العاصمة تراقبهما آمنهما والخادمة العجوز، والأخوات رحلت كل الى مدينة حيث بيت الزوجية، وانشغلت بتربيته ابنائهن، قيل ان السيد وحده قد تزوج من شبكة هائم بالمستشفى، وأنهما قد شفياً، وكان يقال أن أحدا لم يسأل عنهما أبدا طوال هذه السنوات الطويلة، ثمة شخص بالعاصمة سمع من ابن السيد وحده أكبر خبر موت والده بمستشفى الأمراض العقلية، والسبب على ما يبدو في الظاهرة كان الالتهاب الرئوي وضعف القوى الجسدانية، وغيرها 003 وغيرها.

ثمة شائعة سرت تقول إنه ذات صباح حزين مغبر في الخريف، حيث اكتسب الدنيا بلون ترابي، وخلف مبانى المستشفى، وفي نفس الفنان المهرج المحاصر بشجارة الصصاص والدب والبقس المشابكة، وعلى منصة مشنقة مستشفى الأمراض العقلية، تم شنق كل من السيد وحده وشيرين هائم، وفي نفس المكان، دفنت جثثهما.
كتبت هذه الشائعة الأخيرة لا حسب كاذبة أو على الأقل مبالغ فيها، أما الشيء المؤكد فهو أن أحدا لم يتعرض حتى الآن على المستشفى ولا طالب أحد بتقصى الحقائق أو جمع المعلومات فيما يتعلق بكيفية موت هذين المريدين أو المرضى الآخرين، وعن الأوضاع الداخلية لهذه القلعة العتيقة الحصينة النائية.

لعل الكتاب الصحفيين بجرائد المركز ومجلاته كانوا على حق، ربما كان هذا الأمر من اختصاصهم هم.

* * *

٢٠٣
غصن بنفسج من أجل عدد

تسيم خاكسار

أخذوني أنا وعددًا معا، كان المطر يتسبّب قطرات دقيقة، قرب المسكر، كان التراب ذا لون بنى فاتح، كان عدد يتساقط، وكان من حين إلى آخر يستدير بقطرة مطر على جبينه وينظر في وجهي ويبتسم، ابتسامة طفولية وحزينة، كانت أيدينا في قد واحد معا، حارسي كان شابًا، كان يرافقني كظل، وحين كان شيء ما ينذب انتباهي، كان يبطء خطاه، لم يكن بالشارع شيء في مجال نظرى، سوى جواد كان يجري عرية محملة بحِبولة الأسمنت والجدس، والأطفال وهم عائدون من مدارسهم، كان مكنتنا في السيارة ضيقة غاية الضيق، فيما عداى أنا وعدد كان ثمة عدد آخر من الأشخاص في الطريق إلى دائرة المدعو العام، كانوا يروجون الهيروين أو الأفيون، أو متهمين بالسرقة، نزلت أنا وعدد بعد الجميع، الآن حيث كنت نسير على الأقدام أحبينا النظر إلى السماء.

204
كان عدد حزينا لأنه لم يكن بابكائه أن يحرك يديه، عندما خرجنا عن الطريق أفرغ عدد اضطرابه على التراب البهل، بماء المطر قرب العسكر، كان يدب على الأرض بقوة، أو يحرك نعذئه على التراب، ثم يركض الطين العالق بحذائه حوله، ضاقت به حارسه الكهل:

"أهدا يا ياسين! أنت عليك بيضة؟!

ابتسم عدد، عاد وآشار إلى أثر حذائه على التراب،

قلت: "كفاية يا عدد!

قال: "ياسين، حط رجلك هنا".

بلا إرادة وضععت قدمي مكان قدمي عدد لعدة خطوات، ولكن كان الأمر سهلا وكان القيد مؤلمًا.

قال حارسى: "أنت الللى جيهك لنفسك

عاد عدد وابتسم، وقد علقت قطرات المطر بشعره المجعد وسقطت حبة ماء من فوق جبينه، "ميسوب يَا ياسين؟", ثم ركض الطين مرة أخرى، تحرك بندقية حارس عدد الكهل، وكانت تسقط من فوق كتفه.

قلت: "عديد، اهدا! كفرت الراجل العجوز

عاد عدد وحملق في وجه حارسه وقال: "وش زي

وش الخواجة ينی، انت ندهت له؟".

٢٠٥
وقال للرجل السكك: "كان لازم تبقى حارس على كوبري".

قال الكهل: "الله يجازيك! بعد العمر ده كله عايزي نا أقع في ايد قطاع الطرق؟".

ضحك عدد بصوت مسموع: "ليه رأيك ياياسين؟ والنبي مايعجبوكش قطاع الطرق؟".

قلت: "أبوه"، ووضعت قدامي مرة أخرى مكان قدمي عدد.

قال عدد لحارسه: "الحرامية، مش قطاع الطرق".

قال حارسي: "صاحب حبوب اوئ، ها؟".

استنات من كلمته، ولاول مرة استندرت وحملت في وجهه، بدأ لي أحكم غبيا، ساءني أن امزح معه، كان طرف أنفه حادا، وكان له وجه شاحب، كان عدد لابوال يجادل حارسه حول كلمة "قطع الطرق" ويركل الطين العالق بحذائه.

كان لون طوب المعسكر الكبيرتي الأصفر يبدو للعين اشده صفرة، عدد من الجنود يقومون بالحراسة حول المكان ومن حين لآخر كان رئيس المجموعة وهو قائد الحرس يخرج من المر ليلقي نظرة عليهم ويعود في هدوء، وعندما وصلنا إلى الطريق الأسفلت قال حارس عدد.

٢٠٦
«دلوحتي بآه كل الليلي عندي اعمله
قال عديد : « بالراحة على يابا ، الخواجة يئى كان
أرحم كثير »
قال الحارس الكهل : " يعلن أبو أم يئى 22 ابن القحبة
يقول انى زى الخواجات ! 
ضححك حارسى وحك طرف انفه بيده : 
" انت نفسك تبقى زهيم ! "
" مالكش دعوة "
" ايه مليش دعوة ؟ دلوحتى يتنكس أرى ، مش عابز تبقى خواجه "
قال حارس عديد : " اختشى ، وماتعملش عليناـا
" أبو العريف ! 
كان حارسى يحاول الظهور بمظهر المعاصر المتحضر ،
كنت أنا وعديد مسرونين إذ نسير جنبا إلى جنب ، كان
عديد أسعد منى ، كان عديد يود أن يراى أكثر سعاده
على الدوام ، أما أنا فكنت أتذكر أمى ، كنت كلما مرت
بخاطرى استغرق في تفكير عميق ، كنت قد قلت لعديد أنه
سيكون من الأفضل الا تأتي العجوز ، أما الآن فلم أعد أطلق
صبرا ، كان عديد يعرفني ، كان يعرف أن بعض الأمور
تثير غضبي وثورتي وتؤدي إلى مضايقتي."

٢٠٧
كان عدد يدرك أني إذا ما رأيت أمي وسط الجنود،
لكنها فضيحة لي، كنت أغتث ولا يطيعني قلبي أن يرى
سواء حزنياً وقدها الضئيل تحت تلك العباءة السوداء القديمة، لانزال عينها المتوسّلتان بذاكرتي أول يوم
التقيناً وأنا وراء القضبان.

قلت لممدّد: «فكّرك تكون جت؟»
وأنا أختلف أن أنظر داخل الممر.

قال عدد: «لا يا ياسين، مادام قلت لها ماتجيش،
مش هتيجي.»

قلت: «لو جت، لو لقيتها، هالعن جدود أي عسكري.
مين يكون»

قال: «مش جاية يا ياسين! مادام قلت لها ماتجيش
يبقى مش جاية.»

سلم حارسي "أوراق اعتماد" لقائد العسكر، وسلم
أيضاً أوراق عدد، وحين دخلنا الممر فكروا وثقتنا إلا أن
القيود ظلت معلقة بأيدينا، وقف حارسي بجوار الباب،
وجلسست أنا وعدد متجاورين فوق دكة طويلة رمادية
اللون، كانت الغرفة المجاورة للمرص صغيرة وطويلة وق
آخرها باب مربع صغير بدت السماء خلفه بلون بنفسجي
داكن، كنت أود لو أخذوني أولاً، كان حارسي كلهما أدار
رأسه يعود فجأة ويرمقني بنظراته كان يخشى أن أنسى

٢٠٨
خارجا من الباب الصغيرة، أما حارس عديد فكان هادئا، تركنا وذهب إلى دورة المياه، كان كلما اعتراه الغضب أخذ يطلق السباب كالحصى، لم نكن أهذا وعديد تغضب من سبابه، حين عاد قال له عديد:

"ايه يا خواجه يني! امتى تبتدئ بأه؟"

قال: "أصير أنت الآخر بالخواجه يني بتاعك ده!".
ثم عقب هامسا: "انتو الاثنين عاجبنى أوى، أبو طويلة".

ده انا كفرت منه، نفسى يدوله تأبيدة.

تذكرت جبور، كان حين يسير بسبب ضيقا لحارسه الكهل، كان جبور يريد أن يسرع الخطي الا أن الكهل لم يكن يستطيع، كان جبور قد استشاط غضبًا وقال له:

"يا الدغ".

قال عديد: "اذا زودت في الشتيمة هانقولك زي جبور ما كان يبقول لك"

قال: "ملعون أبوك".

قال عديد: "لا 1000" وأطال في حرف الآلف.

قال: "شفتوا به انكو كلكو ولاد قحبة؟!"

كان يستاء من أن يوصف بأنه "الدغ"، كان يغضب غضبا عارما من هذه الكلمة، قال لعديد:

209
(م 14 - القصة القصيرة)
دح واد هش تمام، طلع روحى برجلية الطويلة دى،
وآخرتها يقول يا ألم الغ
قلت: "ماقلتش مايبيندا امتى 
لم يكن الكهل منتبا، تابع حديثه بنفس الطرقية:
هو بصراحة عفلى، صحيح احننا بقينا كراكيب، لكن 
" قال حارسي: "أوه، خلص باه
قال الكهل: "كنت بانتضباق منه أواى، لو كنت مكان رئيس المحكمة كنت أديلة تابيده، هو ابن القحبة ده اللي
سورد عيشتهم »

كنت أنظر إلى الخارج خلال الباب الصغير، ارضية السماء البنفسجية الداكنة تحولت الآن وراء الباب إلى اللون الرمادي الداكن، بلا ارادة تذكرت أمى، سمعت بالحاج انها كانت قد آتت وانها وقفت وراء الباب، سمعت أنهم نهروها، لهذا فائده أيضا: فما كنت أطيق أن ارى كيف نهروها، لابد انهم قبضوا على كتفها الضئيلةين ونهروها، في نفس اليوم حين كنت خارجا من الغرفه رأيت في عيون الجنود دلائل الخسئة، عندما كنت في طريقي لركوب السيارة رأيت هذه الدلائل، لكنى لم اكن أدرى لن تكون دلائل الخسئة هذه في عيون الجنود، وبعد ان جلست بالسيارة قال الحارس لي ذلك، لكن كان قد فات الأوان خرج الأمر من يدي، ولم يكن باستطاعتي سوى أن ارها

٢١٠
بقدها الضئيل الكرم من خلف الزجاج واقفة بجوار باب العسكر، حينئذ فقط أطلقت عليهم ما ورد على لسانى من سبب:

قلت: "يا عزيمي الشرف"، واندهش حارسي من غضبتي الفاجعة.

قال عديد: "يا ساسين، قلت لك مش جاية، لحد امتى هاتفضل تفكر فيها؟!"

قال حارسي: "ندهوا عليك، قوموا لو سمحتم".

بيدي الطليقة مررت على شعر عديد ونهضت، كان شعره مبللا، وقد أضفت قطرات المطر العالية به كحبات الندى ملمسا عطوفا.

قلت: "مع السلامه".

قال: "يا ساسين! لا أدرى ماذا أراد أن يقول حيث قاطعه الكهل قائلا: "سيبه يمشى بآه" وسحنبي من يدى.

قال عديد في غضب: "يألدغ".

كان عديد يحاول من أن يحتفظ بهدوئه، وحين قال: "يا الدغ". أدرك أنه لابد قد غضب، اندفعت خارجا مع الحارس ودفعت إلى قاعة المحكمة، كانت جدران القاعة صفراء اللون، رجال جالسين، بدا لي كل شيء وقد

211
شحب لونه، طلي الأصفر كل الوجه بلون الزعفران، وأن الهواء ينفث رائحة الكبريت، تجلبت هذه السمنة العابسة المنشقة ساعتين كاملتين تحت ثقل ثقيل، وحين خرجت كنت منقبضاً منهقاً.

قال حارسياً: «ها!»

كان عديد واقفاً بباب الغرفة، رفعت له أصابعين قائلاً:

"عاصم".

عندما مر بجانبي في طريقه إلى داخل القاعة قال:

"أنا كنت عارفاً.

كانت على وجهه ابتسامة طفولية حزينة، ونوع من الخرف، طلب من الجندي المكلف بحراستي أن يأخذوني بسرعة. كان قلبي لايزال متقلباً، كان هواء القاعة الثقيل المقبض الذي تحملته ساعتين كاملتين لايزال يثير على أنفاسي.

كان عديد دائم الالتفات حوله في خوف كالعصفور.

قال حارسياً: «لازم نمشى بسرعة».

قلت: «لا، خلينا ندخل الأوضة ونقعد نستنئ عديد هناك».

قال: «لا، هو بمزاجنا؟! دول اتصلوا بالتلفون، لازم نروح عالسجين واحد واحد».
رفعت يدي، قيد الحارس يده إلى يدي معا، خرجنا من المعسكر، كان الجو غامماً، وكانت آثار طين حذاء عديد لاتزال على الأسئلة أمام المعسكر، وعلى الطرية المقابل حصان يجر عربة ثقيلة، وكان السائق واقفاً على العربة ممسكا بلجام الحصان، قنوسه كست رأسه فاكسبت وجهه لونا داكناً فيما مهب الملامح من بعيد، مثل لوحات فان جوخ، ظلّت أنظر إلى العربة من بعيد حتى امحت شعبياً فشياً في الهواء الرمادي، ثم خطونا أذا والحارس والقيد في ايدينا معا على تراب بنى اللون رطب لزج، كانت آثار أقدام عديد يملؤها الماء، لم يعد ممكتاً ان أضع قدمي فيها مهما ضربت بقدمي لم يكن التراب يعلق بحذائي، كان حذائي كتانياً رقيقاً، فكنت إذا وضعت قدمي مكان أقدام عديد كان الماء يغمرها، كنت أنظر باشتياق إلى الفضاء من حولي، كنت أعلم أن ماهو آت لا يزيد عن مجرد بقاء على قيد الحياة في غرفة مغلقة مملة، كنت أود أن احتفظ في ذاكرتي بالمناظر التي أراها آخر مرة: وجه سائق العربة، آثار أقدام عديد، الجو الغامض ورائحة الرطوبة التي تفوح منه ... كنت أود أن احتفظ بالأصوات في خاطري: سباب الحارس الكيل، صوت قطرات المطر، هدير عجلات العربة... وحين بلغنا

٢١٣
الطريق عدت لأركل طين حذائي، وجه حارسى كان لا يزال أبيض شاحبا، بلا أردة ألقى نظرة على بوابة دخول المعسكر: امرأة تتشج بعباءة سوداء وقد وقفت في ركن قصى تحت المطر تنظر الى، درت بسرعة وفي حدة، إلا أن الأصفاد منعتني، توقفت ولوحت لأمي يبدى الطلقة.

خرمشهر، ۱۹۷۲

٢١٤
الخسوف

جمال مير صادقي

رفع الرجل رأسه من فوق الصحيفة وهمهم:

كلها قتل ومذابح، لم تعد ثمة أخبار غير ذلك،
نظر باشفاق إلى طفل دقيق الحجم صغير يخطو أولى خطواته على قدميه، انحنت أمه الشابة تتبعه حريصة على
لا يسقط متعثرا.

كانت حجرة الانتظار مزحمة، أطفال صغار يترددون
بين حجرة وأخرى، وأبابهم وآباؤهم في أعقابهم، نظر
الرجل إلى الأطفال وهم يضحكون ويبكون، ارتدت نظراته
وثبتت على عنوان الصحيفة بالخط العريض، طوى
الصحيفة والقى بها في انتاء القامة.

(4) من مجموعة هراس، تهران، انتشارات اکاه، ۱۳۷۷

۱۱۰
جدار دقيق يفصل بين حجرتي الانتظار، وعلى الجدران ورق حائط منتقوش بالوان ورسوم جميلة، وفي أسفل الجدار بين الحجرتين حوض زجاجي صغير تتحرك باداخله اسماء صغرى ملونة تسبح بين أعلى الحوض واسفله.

ربت الرجل على شعر ابنه الصغير المسترسل الناعم، كانت البنت تجلس بجواره على كرسى جلدى، محمومة ساهمة، تنظر إلى الأطفال.

تردد رنين جرس التليفون في جنبات الحجرة، انتقلت الفتاة التي اتخذت مكانها وراء المكتب الـسماعة وقالت:

"عيادة الأطفال، آمرك."

نظر الرجل إلى وجه الفتاة المتعب وهي تصنع إلى التليفون في آنات، وسمع صوتها الرقيق:

"لا شيء ياسيدتي، هذه حمي واسهامي وبائي، لا تقلق على الطفل، أتريد أن تتحدثى إلى الطبيب؟ لحظة من فضلك."

نهضت ابنه من مكانها وذهبت نحو دمية كبيرة جميلة وضعت على نافذة بداخل علبة زجاجية صغير صغير وقف أمام حوض السمك وأمه تشير إلى الأسماك، عادت البنت ونظرت إليها ثم اتجهت نحو حوض السمك، مشى الطفل وتبعته أمه إلى الحجرة الأخرى.

316
نادت إبنته:

"بابا، بابا، تعال انظر إلى هذه السمكة السوداء، كم هي كبيرة.

ردت الفتاة على مقالة تلفونية أخرى ثم نادت اسما،
امرأة شابة تحمل وليدها، نهضت من مقعدها إلى جوارها،
واتخذت طريقها نحو غرفة الطبيب.

"تعال انظر يا بابا، كم هي كبيرة.

نهض الرجل من مكانه ووقف أمام الحوض، رأى السمكة السوداء وهي تقطع الحوض ببطوله في سرعة، ثم تدور عائلة، والأسماك الصغيرة تفر من طريقها مذعورة تغوص بين الأعشاب المائية ثم تبرز من الجانب الآخر من الحوض، فتهتز الأعشاب الخضراء مع أمواج الماء الرقيقة وبين الأعشاب ترقد صدقة صناعية بيضاء فاغرة فابها فيخرج منه حباب الماء، يصعد الحباب دائرا في الماء نحو السطح ثم ينحى، وفي ركن من الحوض سفينة محكمة ترقد فوق رمال شفافة، تدخل الأسماك الصغيرة وتخرج من نوافدها وأبوابها، الأسماك حمراء وبيضاء وسوداء تتحرك بين الأعشاب بألوانها وذيلها وزعانيفها الشفافة اللامعة واجسما العريضة الرقيقة البراقة وتسبح بين على الحوض واسفله، والواقع الصغيرة تتمال فوق الرمال الملونة متعانقة.

٢١٧
نظر الرجل إلى سمكة حمراء صغيرة بطنها البارزة الحمراء وعيونها الكبيرة السوداء اللامعة وذيلها المستدير الأبيض والوردي وكانها دريشة، خرجت من نافذة السفينة وانسابت بين الأعشاب في حركات هادئة مرحة، وصعدت ساحبة ثم توقفت في سمك تحت بقعة نور منعكسة على سطح الماء، وأخذت تفتحها وغطها، كان المصباح الكهربائي العاري المذابي من السقف ينشر بأركان الحجرة نوراً أصغر شاحباً.

مشى الرجل نحو النافذة، كان الظلام قد هبط، وحبات التلوج الرقيقة تنزلق على حافة النافذة ثم تسقط، جاءت ابنته وراءه:

"تعال يابابا، انظر، سمكة سوداء..." 

أخذت يده وعادت ثانية أمام الحوض، قالت ثائرة:

"السمكة السوداء تريد ابتعاد السمكة الحمراء، انظر، هاها 200..."

رأت الرجل السمكة السوداء وقد أسرعت نحو السمكة الحمراء وسكتت إلى بطنها ضربة بطرف فمها ثم عادت مسرعة، فالت بالسمكة الأصغر رعدة في انجاء جسدها وانسحب بحركات متسقفة نحو قاع الحوض.

قال الرجل: "لا ياصغيرتي، إنها لا تريد ابتعادها، انهما تلعبان..."
تركزت نظراته على الحوض، كانت السمكة السوداء قد عادت مرة أخرى وقطعت الحوض في سرعة، وكانت السمك الصغيرة تفر من أمامها وتختبئ بين أغصان الأعشاب، وكانت السمكة الحمراء قد اتخذت من ركن من الحوض ملاذاً، فلم تلبث السمكة السوداء أن هربت إليها واختارت دائرة ذيلها الأحمر الجميل، ثم ابتعدت عنها وهي تتحرك فسها، ارتضعت السمكة الحمراء واتجهت مضطربة نحو الأعشاب، ففاجأتها السمكة السوداء مرة أخرى من الخلف.

تصاعدت ذرات الأنفاس البراقة إلى سطح الماء، كانت السمكة الحمراء تجر جسمها نحو السفينة وأشلاء ذيلها المبهرة وراءها سكنت الأسماك الصغيرة الأخرى في أركان الحوض وبين الأعشاب هادئة تفتح أعوانها وتغلقها، والأصداف البيضاء ترسل حبابها نحو سطح الماء.

سرت باعصاب الرجل رعدة، وصاحبت ابنته:

«آه 88 بابا 88 آه 88 اعتقلت عينها 88»

كانت السمكة السوداء قد ابتعدت تتحرك طرف فمها، وكانت عين السمكة الحمراء قد تبدت حدقتها من عين سوداء لمدة إلى حفرة بيضاء، دارت السمكة الحمراء حول نفسها بحركات بطيئة نصف ميزة، فحملها الواج إلى السطح.

219
انحنى الرجل في لهفة وضم ابنه إلى صدره قائلاً:
«لا ياصغيرتي، لا، السمكة الحمراء اغفلت عينها فقط.»
ملأت الدموع عيون الصغرى، مشى الرجل نحو النافذة، كان وجه ابنه يحترق من أثر الحمى، أدارت رأسها نحو الحوض وركزت عينيها عليه، فأدار الرجل رأسها وقال:
«انظري حبيبتي، عاد الثلج يتساقط من جديد.»
كان المصباح لايزال ينثر نوره، وشعاعه الأصفر الشاحب متجمد في الهواء، كان يشق طريقه بعصباب الرجل، مر الطفل الصغير بجانبه متعثرًا في خطواته، شيخ هرم همهم وراء ظهره ثم نهض من مكانه وألقى بصوته في اتِّهام القامة.

* * *
ملكة روحيـٰ

كلى ترقصُ

كاشان ، وصلت ، احس ارهاقًا ، أضرب بالصحراء بلا دليل ، أسير على غير هدى ، الجو لطيف جميل ، تملا الهواء ذرات رطبة غير مرئية ، وعبر

سألت : « ياسين حيدري ، ما دوركم في هذه الثورة؟ »

كان يرتد وقد تملكه الأرق من حول الأثارة .

قلت لزوجتي : « يسارة ، الشك في صاحب البيت ، اظنه يتعامل مع إسرائيل »

كانت تجلس بجوار النافذة ، تجلو ملاعقها وشوكها الفضية

كانت سعيدة تنغى همسا بنشيد ثوري

السماء ، فوق رأسى قربى ملمسة في متناول اليد ،

والصحراء ، خضراء تمتد خضرتها حتى سفح الجبل ،

٢٢١
كستها الورود السكرية والشياق الحمراء، وفرة من أشجار الرمان انتشرت في سقوف الوديان، والجبال، بنفسية وإنزودية وحمراء، عارية انثنوية لها ملامح جسد امرأة عجوز، والأفق ممتدى إلى اللانهائية، إلى العدم، وعلى الـبـعـد، في ظل شجرة، مأوى طوق الرياض رجل، وهنا، بالقرب منى، عند مظطف طريق ترابي، وقف حارس يصلى.

تحت قدمى، نبتت أصغر ورود الدنيا.

سألت: «سيدي الشاعر، أين ضميركم التاريخي؟»

قال: «لم أفق بعد من دهشتي من هذه الوردة».

الجو، كم هو صافي عليل، والنسيم ينشر الشذى، شذى الأشجار الريانة والورود الآخذة في التفتح، وكأنها قد مرت خلال سماء مزركشة أو احتوتها انفاس عطرة، لايزال الحارس بمكانه، ساجد، جبهته على الأرض، والدى يعارض أعدام الحرس ولا يفهم معنى محاربة الله.

امرأتى تقول: «التار في الإسلام مباح»، وتنظر في ذهول إلى صور من تم اعدامهم.

الرفاق يقولون: «آن الرحيل».

الرافق يقولون: «يجب آن نبقى، ونتكلم، ونكتب، ونقاتل».

٢٢٢
الرفاق يفكون بسرعة في تأسيس صحيفة ونقابة

السيد حيدر ملا القبو في بيته بالطحين والأرز والكيروسين والحبوب، وأحضر بسطة الحريرية إلى دارنا، سحب أمواله من البنك، وعلق عملاته الذهبية في كيس يتدلى عن عنقه.

زوجتي اكتشفت الله فجأة، وهاج هياجها، كانت تسهر الليل تقرأ الفقه في عجلة وفي أوقات النهار تذهب مهرولة إلى فصل لتوعية المرأة بالتعامل الدينية، قلبت أظافرها، الحمراء، ومسحت الظلل الخضراء من فوق عينيها، تابعت، لا تلعب القمر، غطت شعرها، وتحرض كل الحرص إلا يرى أحد شحمة أذنيها، تجلس إلى جانبي تنظر في نسي، تحدثني عن كرامات الامام الرضا، وعن فضل الله عن شرور الامبريالية وضعة الشيوعية

تسلتي: "لا تؤمن بالله؟"

أفكر في الرجل الذي انتصر ليثبت أن الله غير موجود، وإن الإنسان مالك لصبره وانه ليس مثة ارادته فوق أرادته.

تسلتي: "لا تؤمن بالجنة والنار؟"

تمسك بيدى، جلدها دافيء، وانفاسها لها رائحة الحمي، لا تبدو في حالتها الطبيعية لا تشبه أحدا أعرفه

٢٣٢
التقىّي ليلها سناً سناً، كلما نظرت إليها رأيت عينيها
مفتوحتين، فيغوص قلبي.

الجامعة مزدحمة، ثمة من يلقى خطبة، وجميع
الناس تزداد الصلوات، فوق دكة يسبع اللغت والبطاطا
المسلوقة والفول المطبوخ، وصور الإمام تتبلى من أفرع
الشجر، امرأة عجوز تواجهني رافعة صورة ولدها الشهيد،
من أجل العدل جاءت، ووراء آية من آيات الله مجهول
تسير.

الطريق مغلق، أدوار مبتدأ، الأرصاف مغطاة بالكتب
وشرائط الأناشيد الدينية والنعمانات الكتابية ونطنزونات
الجنيز وصور الشهداء، في ركن من الأركان، قدئى يعلم
جميع من الناس طريقة استعمال رشاش عوزى، وتحت
الأشجار رجل وزوجته واطفاله وقد مداوا مائدة وانشغلوا
بتقسيم الطعام، صبي يقف أمامي، يسالني عن حالى
لا أعرفه، وجهه ملطخ بالسواد وقد لف رقبته بشنقال
مراعات، سترته تبدو أكبر منه، وحذاوته أيضا أكبر من
قدمه عدة نمر.

الغيت محاضرتى، طلابى لديهم جلسة إذ يحاولون
الاستاذة غياباً، يضربون بقبضتهم الجدران اعتراضاً
طلابى يهربون بمرات الكلية بحثاً عن معنى الحرية.

224
يسألون: «سيدى، ما هي وحدة الكلمة؟ المادة هي الأصل أم الفكرة؟ هل الحقيقة هي التاريخ أم الله؟»
طلابي يقرأون «محاكمات روزيه» و«رسائل ماركس» و«توضيح المسائل» ويذلون.

يطرق الباب، الوقت منتصف الليل، امرأة تهب من موقفها ذاتها، يسرع والدي لأخفاء زجاجات العرق، أنه السيد حيدر، جلب لنا لبنا رائبا، ولحما باردا وجبنا وزيت سمند، ستعتبر أنفاسه، يقول: «خلص البنزين الطحين، تفشي الكوليرا والجدري، سرعان ما سيأكل الناس بعضهم بعضًا، سيموت الجميع من زمهرير البرد.

امراتي تبكي وتقول ان الإمام سياتي لنا بالطعام، يضحك ولدتي ويدق بحقد على أجولة الطحسين، ولدى يعتقد أن الثورة الحشة آتية فيما بعد وان النصر للجماهير المقهورة، في أوقات النهاز يذهب إلى المساء ولا يبيتون كيف يقيم صداقة مع العمال، يتردى ثيابا قدرة وينام الليل بحذائه.

الصحراء، كم هي بعيدة عن هذا الصخب، وك هي بريئة لم تمسها يد، لا أدرى كيف عزمت على السفر، جاء الصباح في عجلة، نى نهضت ومضيت، كانت زوجتي منهمكة في الصلاة، تعلمتها حديثًا ولا تحفظ الآيات.

٢٥٥ (م ١٥ - القصة التحصيرة)
القرآنية، فكتبتها على ورق المصصحته على الحائط اتقراً

منه:
كان صاحب البيت بالفناء، هب واقفا حين رأني،
كان يرتد، وكان يتظاهر أحدًا، نظر إلى الحقيقة في
يدى.
سال: «قررت الهرب؟»
قلت: «لا»
سال: «اسمك أيضا في القائمة؟»
هزت رأسي.
قال: «سياخذونني، اليوم أو غداً، وسياخذونك
أيضاً، سياخذون الجميع».
كان والدي أيضاً مستقبطاً، كان جالسا خلف النافذة
يضبط العود، إنه يقضي الليل ساهراً، بيده كيس زبيب
وحلة للطهي السريع، وينهمك في صنع العرق البيتي،
في تلك الفترة كان يقوم بتعليم العود، إلا أن تلاميذه لم
يعودوا يأتون، مسيو آرداواز يأتى في أوقات العصر-
لزيارته، يحتسيان العرق، مسيو آرداواز أغلق متجره الذي
كان يبيع فيه الخمور، اضطرموا النار في متجره، حول
إحدى حجرات بيته إلى دكان يبيع فيه الخبز وكعوب.
الكمثرى، مسعود أرداواز يخشى الامبريالية وقد أعطى صوته للجمهورية الإسلامية.

السيد حيدر يبحث عن عمل في اللجنة، يقوم بالحراسة في أوقات الليل، وكيس عملاته الذهبية تحت أبطه.

أقف، فجأة ينتهي الطريق الترابي، في مواجهتي، حقول القمح وبساتين الخيار والزهور اللونة يحكيها جدار من جذوع الشجر، وعلى البد، عند سفح الجبل، نامت مدينة صامتة بين أحضان أشجار السرو، وعلى محدر طواحين مهجورة ونهر فاض بمانه وعين فیاضة تحت غطاء من الصخور، أحس، خفة ونضائط، أحساس طائر مهاجر يسبح في الفضاء أردو في نفسى:

"يالشدى النباتات بالرياض؟

اذنا في هذه المدينة

اغمي وراء شيء

وراء القوم ربما

وراء ضوء، بسمة، أو حضاعة".

وعلى مدى ابعد، فوق ثل، أرى مورد ماء ضخم في حجرة طينية، بلا باب ولا معالم محددة، أحس بالعذاب، ماء راكد تسحي فيه أسماك دقيقة الحجم وزواحف، اغسل...
وجبي، أرفع السمع، طائر على ال바ذر يغرب، اخرج سيجارة، شعلة الكبريتي تخيف جرذا فيلود بلفرار، أواحل السير، تحت قدمي شيء يخشخش، ثعبان؟ كهل يمر وبجانبه حمار، أمر به، أترك الخشخشة وراء ظهرى تماما، احت الخطي، كاذب على موضع مع أحد أو مكان.
قال صاحب البيت: «لابد سياخذونى، سياخذونك أنت أيضا».

يقول ولدى: «ينبغي قتل الجميع!» وهو عاجز عن قتل حشرة تحت قدميه، يغصي الليل في القاء الخطاب، ويكب على جدران الفناء شعارات بلون أحمر، تلقى ضربا مبرحا، وتحت عينيه أزرق اللون.

امرأة عجوز تجلس بالحقول، والى جوارها بجعة، تتربس الشمس تحت جلدي، أترنج كمن أصابته الحمى، ويود أن تصيبه الحمى، العجوز تمضع شيئا لا ينتهي.

والدى حائر مضطرب، يسب الجميع ويطوي الأرض سعيا وراء الزبيب الجيد، تفرح رائحة العرق الذي يصنعه بالبيت، جلدو مسيو آردواز عشرين جلدة بالسـيـاـت.

افكر في ابنتي التي بلغت الخامسة عشر وهي عاشقة، تمشى حافية القدمين تحت الأشجار تكلم نفسها، فها ممتلئ، أصبحت بديدة، بديدة جدا، تخفي طعامها تحت...

٢٢٨
مردها، وتاكلت في منتصف الليالي، جائعة دائمًا. حين كانت طفلة، كانت تأكل الورق والملاحة والقلم الرصاص
الملون، وكانت تأكل الطين وأوراق الشجر والجير، وهي
الآن عاشقة، تعشق شخصًا لا يعرفه وتبكي.

ألف ألف شخص وقفوا يصلون جماعة، ألف ألف
شخص ينحون ساجدين، امرأة وقفت بجواري ترتد،
وتدعو النساء تحت الأحزمة السوداء، فإن الحارات،
صديق الشاعر طريق الفراش، يقولون أنه قد ممسكه
الجنون، يضرب رأسه في الجدران، أذهب لزيارته، قلبي
متحجر منقبض، نائم، في شبه وعي، شعره مبلل بالعرق,
والمدته إلى جوار الباب، في الممر، جلست تحدث نفسها
همسا، أدخل، تحت عينيه وحول شفتيه أزرق.

إمرأته لا تفهم، امرأته داحلة، راتني فانخرطت في
البكاء، تقول: "لا أدرى ماذا يريد، خائف، ويعلن
توهته على الدوام، في اليوم يصلي مائتي ركعة ويرى كل
شيء نجماً، في أوقات الغروب يصعد إلى السطح، ومن
آذانه وتكبيره يخرج الجيران مذعونين، في الليل ينتخب,
ومن خوفه من لقاء الله لا ينام".

لا أصدق، كم كان صامتاً هادئًا وغموضًا، كان ياتي
في ليالي شهر محرم إلى دارنا، كان يجلس ولا يقول
شيئًا، كنا ننصت، كنا غارقان في الصمت، إلى صيحات

239
التكبير من فوق أسطح المنازل غير الرؤية، والى الهمومات الغريبة من الحارات البعيدة وصوت الرصاص المتالت
فى الظلام، وصرخ صادم من نافذة الجيران يدعو الجميع
لى القيام، ومئات النواذق كانت تفتح، ونساء وشيوخ
والاطفال يخرجون متتائرين وكان صديقي صامتًا لا ينبس.

أوقف، السماء خضراء وكأنها من فصيلة النبات،
الصحراء تسود بلا مقدمات، تراصرين قفار يكسوها
تراب جاف، تحت قمه قفر خلت من الحياة تزحف نحو
بلاد مجهولة مظلمة، ومأسورة مجارى خارية تنتمى هنا،
وطلال مبهمة متداخلة، تراب مخيف يثير الوساوس،
كأنه امرأة نهبة، امرأة مرتمية في عطور الليل السامة
وجفافه المظلمة.

ضللنا الطريق، انعشت الحياة، منهاك، الجو يميل
 الى الظلام، انتقم، أعلم اني لابد عائق، لا أعلم أن القفر
تغوى ولا ترحم، رغم ذلك استمر مسحورًا مستسلمًا.

امرأتي تقول: «ليتنا كنا نعلم أين الآلام الغائب؟ »

على البدع، مستقر الشياطين والأرواح الشاردة.

أعدموا حارس حينا، امرأتة حامل، تأتي كل يوم
بآطفالها على تفاوت أعمارهم الى مفترق الطريق وتلقى
الحجارة على السيارات.
أمراتي رأت في المنام السماء وقد اضمرت فيها النيران،

وي هي خائفة،

يدى لها رائحة الدم، دم حار سفك حديثا، دم صبي
لا أعرف حتى اسمه، كان بجانبي، يتحدث ويجري، كان
يذهب قبضته الصغيرة في الهواء، كان يهد الجنود، فقدت
أثره عند منعطف الطريق، كان ثمة مبنى يحترق، كان
الشارع غارقا في النار والدخان، كانت النساء تجري
والرجال يغلون متاجرهم في عجلة، كان إطلاق الرصاص
قد بدأ، رآيته مرة أخرى، كان منحنية، كانت ودهاء
تحيطان بجذع شجرة، كان طغراً فاه ينظر إلى، كان
يريد أن يقول شيئا، كان في عمر ولدا، ولدى الصغير
كنت قد فقدت عقلني، كان صوت سرية الأسمعاء قد
أصابني بالجنون، رفعته، كان ثقيلا، لم يكن يتنفس،
ناديتي أحدا، اعتراضت طريق رجل، ذهب وراء جدتي،
كانت رأسه على صدرها، لم يكن يتعدى الرابعة أو
الخامسة عشر من عمره، فتحت جيوبه، كانت خاوية،
آه يا طفلني فادئ الهوية! كان أعلى قمه مخضرا بباكر
شارب، كانت يده لاتزال في يدي،

امرأتي توقفت، ترش ماء على وجهي، يبلنني العرق،
ريقى جاف، أنفاسى تتردد، افتح النافذة، اخرج إلى
الشرفة، الثلج يتساقط، جسمى دافئ، احترق، أتوض
الثلج قى يدى وادلك به رقبتى ، رائحة الدم تنبعث من يدى ، دم حار يرى .

يعتقد ابى ان عصر الظلام قد دنا من نقطة الانفجار ,
وان فاجعة كبرى في الطريق .

اخذوا صاحب البيت .

يعتقد ولدى ان صاحب البيت يجب ان يقتل ، ولدى
يعارض النظام الرأسمالي .

ابنتى أيضا عاشقة ، لديها اليوم للفرائشات الملونة
والزهرات الجفافة ، وتجمع صور الفنانين الأجانب ، سعيدة
هي بان المدارس في عطلة ، تنام حتى الظهيرة ، تضع على
شعرها شرائط مخملية ، وقد طالت أظافرها بالوان خضراء
وصفراء وبنفسجية .

امراتى تؤمن بالجهاد ، كنتبه حارة حينا الترابية في
يوم نظافة المدينة , ونشرت النشارة على الرصيف , اماراتى
تفكر أيضا في اعداد ملجأ للفقراء , وبرعت بأقراطها
الفضية للمسجد الكائن على ناصية الحارة .

شخص ينادينى من اطراف الصحراء , شخص
خفى , يمشى بجانب متهجد الانفاس , أخاف , أتوقف ,
القفر ترمقنى بحيرة , القفر تبطنى , ثمة احساس غريب
في الفضاء وروح مضطربة تهيم حولى .

٢٣٢
اسال : ياسين حيدر، ماهر ناجك؟

امرأتي تقول : بدن الكافر كله، حتى شعره وافرازاته

بدنه وأظافره، نجس.

الصحراء تنفس، تتحرك، تحاصرني التلال المتحركة، والرمال السيارة، أحدث نفسى، أغني، أضحك.

أصرخ: الله أكبر، أعني، من أعمق قلبي، أجري.

طلابي يقولون: الموت للفلسفة، الموت للرجعية!

طلابي يعيشون العلوم الاجتماعية.

أتوقف، تخفت المهمات، الصحراء اليفة رحيمة، لا أصدق أرى مناماً أمامي روضة خضراء ودار بيضاء، بين جذوع الأشجار، تبدو مستحيلة في جمالها وبهائها، فتظل طيفاً في الذاكرة، كانتها نبتت من الأرض وتتزلت من السماء، اتقدم ببطء وفي وجل، أخشى أن أرفع ناظري عنها فتفتختي، أخشى أن تعول أنفاسي فتنهر عبر صغير نصف مفتوح باتجاه الجنوب، أدخل، فتآل، ملء الأشجار خال، صامت، غامض، به صفح من أشجار السرو الخضراء العجوز تحيط به الجدران والرياض المكسوة بالنباتات الألوان والزنابق البيضاء الرقيقة، وفي الوسط بركة ماء ضخمة يجري فيها ماء زلال راكد، وحولها فرشت الأرض ببلاط يخسوه غبار ناعم، لا أثر لقدم ولا

٢٣٣
آخر ليد على الجدران، لا حركة من أوراق الشجر، ولا نسيم، سمت وسكون وغياب، يشبه في غرابته ولا واقعيته، روضة من صنع ساحر، والدار، بين أعمدة ساقية، ومزهريات فيروزية، وبها نوافذ بورية شفافة صافية، تواجه السماء، تبدو رقيقة هكذا كانت معلقة في الفضاء.

استند إلى جدار، تنعشني أنفاس الماء وتزييل عن روحي غبار ألف سنة، اجلس على حافة حوض، أغسل وجهي، أشرب، انعش، يا للذة! صورة الدار تشب في قاع الماء وترجى الأشجار على سطحها المرمرى، والحوض، مترع بزرقة السماء، أنظر، مامن أحد، أخلع ثيابي، انتزلق، وأغوص تحت الماء، بارد وحاد، جدل يريد أن ينشق، وان يحترق لب عظامي، أغوص برأسى تحت الماء، أغوص أكثر، تبلت بالماء روحي، وترتد، تهبط الشمس من ثنايا أشجار الصنوبر، والأشجار، انسئت جذوعها، في بواكر الغروب، يقع عيناي على الدار مرة أخرى، فير قلبي، كم هي رقيقة بلا تكلف!، وغامضة، كم هي صادقة! تخففت من الأثقال، تحررت من المادة، خلت من غبار الزمن، كأنها روح مصورة في الفضاء، تذكرني بشخص ومكان، من ٩، أين ٩، شخص قريب ولكنك لا تذكره، شخص استقر في مستهل حلم جميل، في مستهل ذكريات قديمة، في صفائها وظهرها كاتها معصومة من الخصل، تذكرني بامرأة أثيرية، امرأة لها جسد سماوي وعيون مائية، نعم، تذكرني، أنها تشبه صورة عرس أمي.

٢٣٤
والطرحة البيضاء على وجهها، وذلك النظرة العذراء الخجولة، وذلك الوردة ذات الخدود الأربعة بين أصابعها، تشبيه امرأة جاءت تزورنا في وقت متاخر ذات ليلة ثلجية، وقال أبي هي من أقاربنا البعيدين، بل وأبعد منها: امرأة من قومي الأقدمين، امرأة تسري في الزمن.

أخرج، أستاني تصطك ببعضها، غروب القفاز، منعش رطب، أرتدي ثيابي، أمسك بحذائي في يدي، أمشي حافي القدمين اثنتين عشرة خطوة، أعدها، ثمة شخص بالشرفة، كان يصلى، أثره براق، الشرفة ضخمة، ومفتوحة، وبساط أبيض منقوش بزهرة رقيقة زرقاء، ادخل، ساحة منيرة بجداران نقية بلا نقوش، ومقاعد للجلوس، والركن المجاور للإيوان مزين بزهرة دقيقة الحجم جمالية، وثمة امرأة حول النوافذ العفيفة المتواضعة، وعلى جانبي الردهة يابان مفتوحان قليلا، كل يؤدي إلى غرفة ومنها إلى غرفة أخرى، وكل مكان أدخله يؤدي إلى مكان آخر، ويظل على خلوة سرية—ممرات متداخلة ودرج ملتوى وشبه مظلم.

حين اصعد السلم إلى الطابق الأعلى، تتهجك انفاس، من هنا ترى أركان الدنيا الأربعة، والسماوات على بعد خطوة، والصحراء تتصل بنهاية الأفق، بارض البقاع الأبدية، أجلس فترة طويلة، إين أتى أي وقت من الزمن هذا؟ لا أدرى، يغسلاني النعاس، الحلم رابض خلف

٢٣٥
جهوني لا يبلغ داخلي ، أتمدد ، ساعات ، يتوالى ظهور النجوم واحدة في آخر أخرى ، فيما أفكر في اللاشيء ، نظرات سابقة في الفضاء ، وخواطر كدوائر مائية تدور فوق سطح وعيي ، شيئا فشيا أفقد احساسي ببيدي وقديم ، فقد جسدتي تلك الأمادى وتشابكت خطوط ملامحي ، كانت امتداد للشرفة والأشجار والصحراء ، وعيوني تتدلى من الأنيم ، تخلي رأسى فجأة من منطق العائلة وحساسة اللحظات ، كمن أبعدي عن كل الناس وعن كل شيء ، عن التوافق الهندسي للأجسام والتناسب المعقول للأشياء ، وعن حاصل الدرب المطلق للأرقام ، عن الروابط المزينة والخواطر المدونة ، عن لوح القانون الأعظم وكتاب الأخلاط السوية وقواعد العيش ، كمن أبعدي عن سيطرة الماء عن الأمر بالعرف والنهي عن المنكر ، عن آداب الحياة والحتمية التاريخية والحقيقة المطلقة للمثل ، عن حكم الحيض والنفاس وتجلي العقل الأول وعالم القيم ، كمن أبعدي عن صراع الشرق والغرب والمستكبرين مع المستضعفين ، قانون صحة مراسم الدفن والكفن ، وعن القائل أن الشهد مات ومن كان يخشى الموت ومن ينتظر المهدى المنتظر ،

حين استيقظ أجد السحر قد حل ، أنتظر في ذهول وحيرة حولي ، انتهى ، جائع وكم أنا سعيد ! احس خفية وقد زال عن بدني التعب ، نسيم عليل يهب ، يدرك يؤدح على البعد قرية صغيرة ، في القاع ، عند سفح
الجبل، شاهدة، ارتدي حذائي، يعلو دبيب قدمي،
أهبط، شيخ يجلس علي حافة الحوض يتوضأ، ليحيه
كلة بيضاء، ألقى عليه السلام، يهز رأسه، يتلقو الأوراد.

بقيت آثار قدمي علي غبار الدرج، حين أدنى من
الباب اتوقف، أعود وانظر وراء ظهري، أعلم أن هذه
آخر مرة، فينقبض قلبي، الدار تنظر إلى من بعيد، وفي
الليلة، السحر المنير أصيل وكامل لدرجة أن أتردد،
يقول لي شيئا، شيئا طيبا صحيحا، شيئا لا يقال، أدركه
وسعيد بناني أدركه.

عاد الطريق ولم يعد غريبا على، الصحراء ساكنة
صامتة، خلت من الهواجس الرهينة، حين أبلغ النقطة
الفاصلة بين القفر والبقاع الخضر أختل بينهما، أمر من
بين المروج، وحين ابلغ الطريق تتوقف سيارة نقل،
وتنقلني، فتى ذو لحية داكنة وبشرة احترقها الشمس.
صور مئات من آيات الله ملتصقة على زجاج نافذته،
قرب المدينة، أهبط عند مقهى، أدرك فجأة كم أنا جائع،
طبل الصبح، صبح منير وحر الصيف.

شاي دافئ معطر، قشدة، بيض، خبز مقد، أبتني
تعشق العيش الفينو، وهي تأكل أكثر منذ أن هامت عشقاً.
قلبى منقبض، لعلهم يضربون ابنتى، امرأتى تبكي وتظن أنهم قد قادوا ابنتنا إلى الانحراف، تدعو له في نهاية صلاتها، وتطلب من الله أن تموت المادة، تنمي الإمبريالية، فنسعد جميعاً

صبى القهوجي يسأل: "آلا تريد شيئا آخر؟" 

اهز رأسى، انظر إليه، كم هو مفهم بالحياة معافى، وواصئى! كم هو متحفز!

أعود إلى غرفتي بفندق المدينة، مسكات تليفونية عديدة من تهران، واتي صديق كنا قد قررنا الليل الماضية أن نلتقي ومضى تاركا رسالة، على أن أعود بسرعة، حدث أمر هام، رسالة فوق مكتبي، اعتصام طلابي والأساتذة يفكون في التحصين، أجمع ثيابى، أحمل حقيبة يدي وأمشى، محطات البنزين معطلة، أهمهم بالسرباب، لدى القليل من البنزين، أصل إلى قم، الطريق مزدهم بعربات النقل المحمولة والحر وعربات الكارو، وحين ابلغ قم أحد الطريق مسدوداً، ويتحمل، أصير، زحمة من الناس تزعم بالتكبير والصالة، نساء مشتبهات بالسعود يتحركن في تلامح، الجو مليء بالتراب ورائحة الطين والجيف، والحمر، اقف إلى جوار جدار في الظل، أصير حتى يفتح الطريق.

بجانب من الساحة يقفون في مواجهتي، يطلقون تصرح السيارة، أشير إلى الشارة، يفتشون شثنطة ٢٣٨
السيارة والحقيقة وأسفل السيارة، وجيبى، يستطيع أن اتحرك، أضغط على البنزين، رأسى تدور، أمضغ عقب سيجارتي، أضغط أطلق النفيز، أصرخ، امرأة تضرب بقبضتها على كبوت سيارتي، وتطلق السباب، وتفشل يبكي.

حين بلغ الطريق أزيد من سيرعتي، عربات النقل مربية، وتتدفع في مواجهتي بلا رحمة، لم بلغت تهران حيا كانت معجزة، أنظر الى صورتي في مراة السيارة فينقض قلبي، أفتح زجاج النافذة، تراب رمادي ميت وجبال صخرية شاهقة.

امرأتي تقول: "أين الإمام الغائب؟"
والدى ثمل ويطارد امرأة صاحب البيت، حطم عوده وبدأ في ترديد الآناشيد الثورية.

أسأل: "سيد حيدري، إلى أين حملت أثاثك؟"
غدا في الصباح الباكر لدى اجتماع، مقالتي التي كنت قد وجدت بها ظلت ناقصة ولم ترسل، ينبغي أن أذهب للعزة في صديقى.

امرأتي تقول: "ياعزيزي، كن على حذر، مناهض الثورة في ورطة.

قمانى الطوب تظهر على البعد، سيارة ورائي تطلق.
النفير تطلب أساح الطريق، لا يستطيع أن يتحلى إلى جانب من الطريق، الطريق أمامي مسدود، يطلق النفير، يصرخ، يتعدى، أود أن أنزل لأضربه، رائحة العادم والدخان تنتشر في الفضاء، الهيث باحثا عن ذرة من أكسجين، السماء أسفلتة والأفق بعيد، والسحب القبة توقفت فوق رأسى، الهواء ثقيل ملرط يصدم بنظراتي، قلبى منقبض وافتكر في أيام الغليان الآتية، ففجأة، من قاع الأفق الرمادى، من ذلك البعد الأسمنتي المسدود، من طاقة الهية، تلوح صورة الدار كمعجزة، هبة، جديدة، مغسولة، محمرة، تنمو في هدوء، انى أراها هناك، دائما هناك، تختفي أنفسها الملكية وراء الأشياء، واعلم أنها بعد ذلك آتية على حين غرة، تبحث عنى، وأعلم أنها ستكون في أوقات الغروب الرطبة المفيدة، في ليالي اليأس الحاكمة، في حلم تنفس الصبح الطيب، في انتظر اليم معجزة، في زمن الموت، وستريح قلبى المتعب، إنها دائما هناك، كاملة، إنها ملكية روحي.

***

٢٤٠
ملحوظات على بعض كتاب القصة القصيرة وأعمالهم القصصية

يهرام صادقى :
طبيب أديب ، كتب الرواية والقصة القصيرة ، وعمل على تطوير أساليب أدبية محلي في القصة القصيرة ، ومن أعماله القصصية :

- ملکوت (رواية) 1974 ،
- سنكر وقمقمة های خالی (مجموعة قصصية) 1979 .

محمد علي جمالزاده :
ولد بإصفهان عام 1895 ، تلقى تعليمه بلبنان وفرنسا وسويسرا ، وعمل بعد تخرجه بمكتب العمل الدولي التابع

241
(م 16 - قصص قصيرة)
للأمم المتحدة وأقام بسويسرا بصورة دائمة، ولله العديد من المؤلفات والترجمات:

الروايات:
- دار المجانين، 1942
- صحراي محشر، 1944
- قلت ذكر يومني، 1946
- راه آب نامه، 1948
- نمك كديثي، 1950
- سروته يك كرياس يا أصفهان نامه، 1956

المسرحيات:
- معصومة شیرازی، 1954

المجموعات القصصية:
- يکی بود ویکی نیود، 1931 (۶ قصص)
- سرکشی شت عموم حسین علی، 1942 (۷ قصص)
- علی وکیشین، 1956 (۷ قصص)
- شاهکار، 1957 (۷ قصص)
- کهنگ ونوده، 1959 (۸ قصص)

۲۴۲
جمال میرصادقی:

ولد بتهران عام 1932، وحصول على ليسانس اللغة الفارسية وآدابها بجامعة تهران، ثم عمل مدرساً بالمدارس الثانوية، وبمكتبة كلية المعلمين بجامعة تهران، ومن مؤلفاته العديدة ما تمت ترجمته إلى العديد من اللغات:

الرومان:

۱۹۷۰
درانگای شب

۱۹۷۱
این شکسته ها

۱۹۸۴
آتش از آتش

۱۹۸۴
پاد خبر از تغییر فصل می‌دادند

القصص:

۱۲ قصه
مسافر های شب

۱۰ قصه
جشن‌های من خسته

۲۴۳
خسرو شاهانی:

ولد عام ۱۹۴۹ و عمل‌های صنعتی با صفحه خراسان در سال ۱۹۷۵، سپس از جمله خوانندگی و صداپیشگی برای رادیو و تلویزیون و سپس با تهیه و بازیگری در فیلم‌ها. عمل‌های خود را به تدریج به عنوان یکی از محبوب‌ترین هنرمندان ایرانی می‌دانند.

ومن اعماله:

کومیدی افتتاح، ۱۹۷۴
امضای پانکاری، ۱۹۷۵

الگوی هنرمندی:

پهلوان محله، پلا تاریخ (۱۵ قصه)
کور لعنتی، ۱۹۶۵
وحشت آباد، ۱۹۶۹ (۱۵ قصه)

۲۴۴
آدم عوضي ، 1970 (16 قصة)
بالإروبيان وبيضين روبيا ، 1972 (17 قصة)
الكني خوشها ، 1977 (16 قصة)
تفتيت بادي ، 1979 (17 قصة)
كرة كور ، 1983 (31 قصة)
فولكس دكتر بقراط ، 1984 (18 قصة)

كلي ترقي:

ولدت بتهران عام 1939 ، تلقت تعليمها الأولى وحتى الثانوية بإيران وتعليمها الجامعي بالولايات المتحدة الأمريكية حيث حصلت على ليسانس الفلسفة بجامعة دريك ثم حصلت على درجة الماجستير بجامعة تهران ، وعملت بتدريس الفلسفة بكلية الآداب بنفس الجامعة لمدة سنت سنوات حتى اغلاق الجامعة عام 1980.

الروايات:

خواب زامستاني ، 1976
المجموعات القصصية:

من هم جي كوارا هستم ، 1969 (8 قصة)

450
فردون تنكابني:

ولد عام 1937، ألقي القبض عليه عام 1970 على أثر نشر مجموعته القصصية ياداشتهای شهر شلوغ التي هاجم فيها الحكومة كما جرى الرموع.

الروايات:

مردى در قفس، 1961

المجموعات القصصية:

اسير خاك، 1963 (8 قصص)

بياده شطرنج، 1965 (9 قصص)

ستاره های شب تیره، 1968 (10 قصص)

ياداشتهای شهر شلوغ، 1969 (4 قصة)

منتخب داستان، 1973 (12 قصة)

ده داستان کوتاه ونوشتته های دیکر، 1978 (18 قصة ومقاله)

میان دوسفر، 1979 (19 قصص)

سرزمین خوشیختی، 1979 (8 قصص)

الجزایری، 1980

246
نسيم خاکسار:

اشتهر نسيم خاکسار كاتب صحافة شهير منها كتاب جمعه.

المجموعات القصصية:

من ميدانيم بجه ها دوسات ميدارند بهار يباید،
1974
کیاهک، 1978 (7 قصص)
نان ونک، 1978 (8 قصص)
کامهای بیمودن، 1981 (3 قصص)

** * **

۲۴۷
قائمة المراجع

براهيني، رضا. قصة نويسى، جاب دوم، تهران، آشرفی، 1969.

بهار، محمد تقی. سبک شناسی، 3 جلد، تهران، أمیر کبیر، جاب دوم، 1959.

حریری، فارس ابراهیمی. مقامه نویسی در أدبیات فارسی، تهران، انتشارات دانشگاه تهران، شماره 113، 1346.


الفهرس

1 - القصة القصيرة والحكاية
2 - القصة القصيرة الحديثة في الأدب الفارسي
3 - القصة القصيرة بعد 1979

التقديم

1 - القصة القصيرة والحكاية
2 - القصة القصيرة الحديثة في الأدب الفارسي
3 - القصة القصيرة بعد 1979

abi

1 - القصة القصيرة والحكاية
2 - القصة القصيرة الحديثة في الأدب الفارسي
3 - القصة القصيرة بعد 1979

هوامش

450
4 - فارسي شکرایت کهکاها مقامیه
5 - ترجمه لنصر المقدمه الآدبية لمحمد علي جمالزاده
6 - نمازج من القصة القصيرة في ايران من
1921 إلى 1979
الفارسي سقر (فارسي شکرایت) لمحمد علي جمالزاده
لسان حال حمار حين الموت (زبان حال یک
الاغ در وقت مرح) لصادق هدایت
بائع الجاز (نفقی) لصادق جویک
الحفل السعيد (چشان فرخنده) لجلال آل
احمد
التدريس في ربيع بھیج (تدريس در بهاری دل
انکیز) لبهرام صادقی
سنارقة البيض (تخم مرغ دد) لفریدون
تنکابنی

251
الفراشات في الليل ( يوجد بها ها در شبه )
لغلا محسن نظرى
البرج التاريخي ( برج تاريخي ) لحسن شراوي
شاهرانی
109
دفن الميت ( مرده كشي ) لحسن رو شاهرانی
171
القيد ( زنجير ) لهرام صادقی
180
غصن بنفسج من أجل عدد ( يك بنفشه يراي)
عدد ) لنسيم خاکسار
204
الخوف ( هوان ) لجمال مير صادقی
210
ملكيه روحي ( يزرک باثوى روح من ) لكلی
ترکی
221
7 - ملحوظات عن بعض كتاب القصص القصيرة
وعمالهم القصصية
246
المراجع
248
رقم الإعداد 1992/99.09
I.S.B.N. الترميق الدولي 1 - 3207 - 01 - 977 مر
مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب
بعد الأدب الغربي من دعائم الثقافة الإسلامية على مر قرون عديدة، وتحتل الهكادية فيه مكانة بارزة سواء في الشعر أو في المذكر، وتقدم هذه الدراسة خلفية أبدية وتسريخية عن تطور فن النص الموسيدي في تاريخ الأدب الغربي، فقد انتشرت الهكادية الكلاسيكية الغربية بقياس القصيدة العربية إلى النظم في القرن العشرين إلى ما يعرف سابقاً القصيدة القصيرة، الغربية. وتتناول الدراسة مدى سلاسة القصيدة القصيرة، الغربية، وتناقش الدراسة مدى تأثيرها بقواعد هذا الشكل حسب القدوم الأوروبي. ويضم العمل ترجمة لمصالح مختارة من القصيدة القصيرة الغربية عبر مراحل تطورها في العقود الأخيرة. وكما تتبين هذه المختارات من حيث تطور الشكل فإنها تتبين أيضاً من حيث الموضوعات والأسلوب الدّاخلي والأفكار، وينتهي العمل بِنذها من رواد القصة القصيرة من الأدب الغربي والاشهر أعمالهم.

الكتاب القادم:

اجمل ما قرأت عن الموسيقى الشعبية
عبد الحميد توفيق زكي

مطبوعة الهيئة المصرية العامة للنشر
130 قرشاً